في علم الأصوات....

الفونيمات فوق التركيبية
في القرآن الكريم
(المقطع- النبر- التنغيم)
[سورة الواقعة نموذجاً]

في علم الأصوات..
الفونيمات فوق التركيبية فى القرآن الكريم
(المقطع- النبر- التنغيم)
[سورة الواقعة نموذجا]

المؤلف: أ.د. عطية سليمان أحمد
رقم الطبعة: الأولى
تاريخ الإصدار: ٢٠١٩ م
حقوق الطبع: محفوظة للناشر
رقم الإيداع: ٨٦٩٣ / ٢٠١٦
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦١٤٩-٩١-٥

جمع وتنفيذ وإخراج: كمبيورايتر لخدمات دور النشر «عادل ندا»
(002-01000390516) (compu2writer@gmail.com)

الناشر



الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي
٨٢ شارع وادي النيل المهندسين، القاهرة، مصر
تلفاكس: ٥٦١ ٣٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢)
محمول: ١٧٣٤٥٩٣ ٠١٢٢
البريد الإليكتروني:
m.academyfub@yahoo.com

في علم الأصوات

الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم (المقطع - النبر - التنغيم)

[سورة الواقعة نموذجاً]

أد. عطية سليمان أحمد

وكيل كلية الآداب

جامعة السويس

الناشر



الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الأنعام، الآية ١٣٢)

إهــداء

إلى العالـــم اللغوي الكبير أ.د. حسام البهنساوي

فتحتَ للباحثين أبوابَ عالـــمٍ لغوي ، فكنتَ نورَه

وسعيتَ في نشره بين طلابه، فكنت مشرق شمسه

تحية حب وعرفان من شعاع أتى من مشرق شمسِكَ

تحية تقدير وعرفان

قدَّر اللّه المقادير بإذنه، وهو على كل شيء قدير؛ قدَّرَ لنا الحياة فكنّا؛ وقدر علينا الموت فمتنا، وقدر لنا العلماء فكانوا نهر علم لنا، فكيف لا نشكرهم!

اللهم لك الحمد على نعمة العلم والعلماء، أصحاب العطاء؛ ورثة الأنبياء، فهم لنا كوحي السماء؛ إذ لا وحى بعد الرحمة المهداة (عليه الصلاة والسلام) .

قدر اللّه لنا هؤلاء العلماء لنتلقى منهم ما منَّ اللّه عليهم من نور علمه، ووضع في قلوبهم نعمة العطاء؛ فهم يعطون بلا كبر ولا منّةٍ، حبا في اللّه؛ ونشرا لنوره الذي لا ينتهي، لقد هدى اللّه لي من بينهم العالم الكبير الأستاذ الدكتور حسام البهنساوي، الذي تعهد هذا العمل بلا كلل ولا ملل، حبا لكتاب اللّه، ومحاولة منه للمشاركة في اقتباس النور من كتاب اللّه العزيز؛ الذي وصفه بالنور، واختار له النور محمدا (صلى اللّه عليه وسلم) ليبلغه لعباده، فهو نور يتلقاه نور من اللّه نور السماوات والأرض، فهو نور من نور أبلغه نور.

وفى هذا المقام وهو مقام العرفان بالجميل والتقدير لأصحاب الفضل والجميل؛ كان عليَّ أن أتقدم بالشكر والتقدير لهذا العالم الجليل، الذي أعطي ولم يبخل، وتعهد هذا العمل بالتنقيح والتصحيح، فكيف لا أشكره وربنا هو الشكور، الذي يشكر عباده على عبادته؟! وقد علمنا أن نشكر كل ذي فضل، وهو سبحانه يُؤتى كل ذي فضل فضله، وخير شكر لهذا العالم الجليل هو أن أحيله إلى صاحب خزائن السماوات والأرض سبحانه ليجزيه بكرمه وعطائه، فهو الغنى الكريم، فجزأك اللّه عنَّا وعن طلاب العلم خير الجزاء، وبما أنت أهله.

الشاكر لفضل اللّه سبحانه، وفضل العلماء

أد. عطية سليمان

المحتويات

التقديم:

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا إلى أن نقتبس النور من كتابه الكريم؛ فهو نور ما بعده من نور.

وبعد، فإن القارئ للقرآن الكريم يشعر بانسجام صوتي بين آياته، وذلك من خلال نغم خفي يشعر به ولا يعرف مصدره، ولا يدرى أنه انسجام السبك والحبك في فواصله الصوتية ، وما اشتملت عليه من معان قرآنية عظيمة .

وقد فكرتُ في سبب ذلك النغم الخفي الذي يشدُّنَا نحو القرآن الكريم ، نستمع إليه بإنصات؛ فتخشع نفوسُنا له، وتشعر بالهدوء والسكينة، وتظل في حيرة من أمرها، من أين أتى هذا الهدوء وهذه السكينة التي أذهبت عن أنفسنا الحَزَنَ؟! لابد أن هناك علة صوتية تفسر لنا هذا الحدث، هل هناك قافية شعرية أو وزن ثابت من بحور الشعر سار عليه النص القرآني؟ فقمت بتتبع النص الكريم، فلم أجد فيه من هذه الصفات شيئا، فتعالى الله عمَّا يشركون، إنه الإعجاز القرآني.

ورأيتُ أنه قد يفيدنا السير وراء قضية الفونيمات فوق التركيبية، فتهدينا إلى معرفة سبب هذا النغم أو الانسجام الصوتي. ولهذا فكرت في دراسة هذه القضية واستجلاء أمرها؛ لأرى هذا الإعجاز الصوتي القرآني الذي يظهر في الفاصلة الصوتية المواتية للروح والشعور بالدعة والسكينة من خلال سورة الواقعة؛ وليس الأمر مقصورا على تلك السورة؛ وإنما جاء اختيارها درة وجوهرة ثمينة من بين الدرر والجواهر الممثلة لسور القرآن الكريم بوجه عام .

النغم الخفي:

إن الانسجام الصوتي في القرآن الكريم الآتي من فاصلة صوتية يملأ النفس هدوءا وارتياحا، والعقل تفهما ويقينا، إنه النص الذي لا يماثله نص بشري ؛ مهما بلغ من الفصاحة والبيان، لأنه إعجاز الله سبحانه وتعالى الذي لا يدانيه إعجاز .

وقد أدلى العلماء بدلوهم حول الإعجاز اللفظي لكتاب الله، وكذلك فعل عالمنا الجليل أستاذنا د.تمام حسان فقال تحت عنوان (تأملات في القيم الصوتية

في القرآن الكريم) "نعني بالقيم الصوتية تلك الخصائص التي تتمايز بواسطتها الأصوات ويتعلق بها نوع من المعاني يسمى المعاني الطبيعية، التي لا توصف آثارها بأنها عرفية ولا ذهنية لأنها في الواقع مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان، تدركها المعرفة، ولا تحيط بها الصفة، فمثل تأثيرها في وجدان السامع مثل النغمة الموسيقية تطرب لها؛ ثم لا تستطيع أن تقول لِمَ طربتَ؟

ونستطيع أن ننسب إلى الأسلوب القرآني من هذه القيم عددا نأمل أن نتناوله بالدراسة منه الإيقاع والفاصلة والحكاية والمناسبة وحسن التأليف"(١).

وتأتى هذه الدراسة التي ننهض بإنجازها في كتاب اللّه العزيز "القرآن الكريم" في ذات المسار الذي حدده لنا أستاذنا د. تمام حسان، وذلك من خلال دراسة تطبيقية تحليلية في سورة الواقعة، وذلك للوقوف على خصائص التنظيم المقطعي الرباني الحكيم لأنماط القواعد المقطعية، وموضع النبر بأنواعه الرئيسية والثانوية التي تختص بها ما يطلق عليه في الدراسات الصوتية الحديثة "الفونيمات فوق التركيبية" أو ما يمكن أن نسميها ـ أيضا ـ الفونيمات التطريزية.

وقسمت الدراسة إلى:

الباب الأول: تناولتُ فيه بالدراسة الفونيمات فوق التركيبية (المقطع والنبر) .

الباب الثاني: تناولتُ فيه الدراسة التطبيقية للفونيمات فوق التركيبية في سورة الواقعة كنموذج للفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم، في قضية المقطع والنبر، ثم التنغيم ودوره في إحداث انسجام صوتي في النص القرآني العظيم.

أسأل اللّه العظيم أن يوفقني إلى تقديم هذا العمل بالشكل الذي يرضيه، فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

أ.د. عطية سليمان أحمد.

---

(١) البيان فى روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٢٥٧.

الباب الأول

الفونيم وأنواعه

ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية:

- الفصل الأول: الفونيم وأنواعه.
- الفصل الثاني: أولا "المقطع".
- الفصل الثالث: ثانيا "النبر".
- الفصل الرابع: ثالثا "الإيقاع".

الفصل الأول

الفونيم وأنواعه

١. تمهيد:

إن الكلام الذي ننطق به يحوي تيارا مستمرا من الأصوات، ولا تنفصل تلك الأصوات التي تكوّن الكلمات عن طريق التوقف أثناء الكلام، ولكن يجب أن نستخلص تلك الأصوات والكلمات من ذلك الكم المتصل من الهواء الخارج من الجهاز النطقي أثناء الكلام، فالكلام يخرج في شكل كتل صوتية متتابعة في سلسلة صوتية أثناء الكلام المتصل، ولهذا: " يمكن وصف اللغة من حيث التمفصل المزدوج (كما عند مارتينيه). تتألف كل رسالة من سلسلة أصوات تتوافق مع سلسلة من الإشارات، كل إشارة (نموذجا: الكلمة) تملك وجهين هما الدال (الصورة الصوتية) والمدلول (المعنى)... ويتألف كل دال بدوره من سلسلة من الأصوات البدائية التي لا دلالة لها، وهى الفونيمات."[١]

---

(١) الصوتيات: جاكلين فيسيار، ترجمة بسام بركة وروز الكلش.المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى بيروت نوفمبر ٢٠١٣ ،ص٣٠.

٢- القيمة التواصلية للنظام الصوتي

يحقق النظام الصوتي الصفة الأساسية للغة، ووجودها الفعلي، فاللغة كما قال ابن جني: "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغرضهم"[(١)] فبهذا التعريف المشهور للغة حدد ابن جني ما اللغة وما كنهها، وبذلك يبدو لنا الدور الرئيسي للصوت في عملية التواصل بين البشر، فالنظام الصوتي يحمل تشكيلة واسعة من المعلومات. فالمتكلم يُوصل معلومات مختلفة وفقا للطريقة التي يلفظ بها الرسالة الكلامية، والتي لا تخضع لسيطرته إلا جزئيا. فهو يعبر عن المشاعر أو الانفعالات أو المواقف، وهو يستدعي بذلك ردة الفِعل هذه أو تلك لدى المخاطب، ويكشف عن هويته الاجتماعية، والإقليمية، والثقافية. هذا وتتناول الأسلوبيات الصوتية (Ivan Fonagy, Pierre Leon) هذه الأبعاد الموجودة في كل فِعل تواصلٍ والبارزة خُصوصا في الاستخدام الجماليِّ للصوت (الغناء، الشعر، الفنون، المسرحية)[(٢)].

الفونيم Phoneme

من الممكن أن نقسم الوحدات الصوتية التي ننطق بها إلى:

الفونيم Phoneme

تعريفه: هو الوحدة المتميزة الصغرى التي يمكن أن تُجزِّيء سلسة التعبير إليها. وباعتباره أصغر الوحدات الصوتية يمكن العمل عليها في إطار تحليل سلسة التعبير للوصول إلى مكونات تلك السلسة؛ لمعرفة مصدر النغم و سر الانسجام الموجود في أصوات السلسة الصوتية المنطوقة.

وهو: "الفونيم أصغر وحدة وظيفية في النظام الصوتي. وتتمثل وظيفة الفونيمات في لغة ما في إقامة مقابلات بين كلمات هذه اللغة. فإذا ظهر صوتان في الوضعية الصوتية نفسها، ولم يكن بإمكان أحدهما الحلول مكان الآخر من

---

(١) الخصائص لابن جني: تحقيق محمد على النجار ، القاهرة ١٩٥٢م. ص ٣٣/١

(٢) الصوتيات: ٣٠

دون تغيير دلالة الكلمات، أو من دون أن يتعذر التعرف على الكلمة، يكون هذان الصوتان في هذه الحالة تحقيقين لفونيمين اثنين"[1].

نشأته: لقد انبثقت نظرية الفونيم من ملاحظة كيفيات النطق المختلفة، ووظائف الأصوات المتنوعة، ومن محاولة وضع الفبائيات للغات المختلفة[2] لقد كان هم هؤلاء العلماء وضع الأبجديات المختلفة للغات البشر، كما هو الحال في أنظمة الكتابة في اللغات السنسكرتية والإغريقية، أي تحويل الصوت المنطوق إلى رمز مكتوب، وهذا يعني محاولتهم تفصيل وتقسيم السلسلة الكلامية إلى أجزاء ومقاطع صوتية؛ بوضع مقابل لكل صوت منطوق عبارة عن شكل مكتوب (رمز كتابي لكل صوت) يمكن استدعاء ذلك المنطوق عن طريق الشكل المكتوب، وبذلك يكون قد تم تحليل الأصوات المنطوقة إلى مجموعة الرموز المكتوبة التي تكوِّن بعد ذلك الأبجدية الخاصة بتلك اللغة، من هنا جاءت فكرة الفونيم كرمز مكتوب يعبر عن صوت منطوق.

الألفون: ولكن هذا الفونيم الذي كُنَّا نظن أنه صوت واحد هو في حقيقة أمره غير ذلك (فإن السين في كلمة سماء تختلف من ناحية الصفة عنها في كلمة (سطاء) مثلا فهي في الثانية ذات قيمة تفخيمية ليست في الأولى، ومع ذلك فإننا نسمي كل واحدة منهما سينا، ونرمز لها في الكتابة برمز واحد، كما نرمز لأصوات النون المختلفة فيما مضى برمز واحد، ولا تستخدم في اللغة للتفريق بين المعاني المختلفة، هي ما يطلق عليه اسم (فونيم) Phoneme وحدة صوتية/ عائلة صوتية[3].

---

(1) الصوتيات: 31.

(2) دراسة الصوت اللغوي: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة. ط2 سنة 1981 ص 144.

(3) المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب والخانجي، القاهرة. ط1 سنة 1982. ص 83.

١-٢ الفرق بين الصوت والحرف:

يقول د. رمضان عبد التواب عن الفونيم (وفي إمكاننا نحن أن نطلق عليه اسم (حرف) مقصوداً به الرمز الكتابي، ونعمل بذلك على التفريق بين الاصطلاحين (صوت) و (حرف). فالصوت هو ذلك الذي نسمعه ونحسه، أما الحرف فهو ذلك الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى[(١)] إذن الفرق كما قال د. تمام حسان (هو فرق ما بين العمل والنظر، أو بين المثال والباب، أو بين أحد المفردات، والقسم الذي يقع فيه، فالصوت عملية تطبيقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الأخص السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقي حين أدائه، أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات، يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية عضلية، وإذا كان الصوت مما يجده المتكلم فإن الحرف مما يُوجده الباحث[(٢)] وهذه التفرقة بين الصوت والحرف جعل الحرف مساوياً للاصطلاح الغربي فونيم، والصوت مساوياً للاصطلاح الغربي الألفون، وهو أحد أفراد العائلة الفونيمية، وهو الوجود الفعلي للفونيم.

٢-٢ تصور العلاقة بين الفونيم والألفون:

وهناك تصور للعلاقة بين الفونيم والألفون أي بين الرمز المكتوب والصوت المنطوق، فالرمز الكتابي (الفونيم) هو الوسيلة الوحيدة لكتابة اللغة، حيث يرمز إلى مجموعة من الأصوات المتشابه، التي يمكن أن تدرج تحت هذا الرمز، أما التصور الآخر لهذه العلاقة؛ فهو الذي يعتبر الفونيم كالأب الذي له عائلة كبيرة تحمل خصائص هذا الأب، ولكن مع وجود تمايز بين أفراد هذه العائلة، حيث يتميز كل فرد من أبناء هذا الأب ببعض الخصائص التي تميزه عن إخوته، إلى جانب بعض خصائص هذا الأب.

---

(١) المدخل إلى علم اللغة. ص ٨٤.

(٢) اللغة بين الوصفية والمعيارية: د.تمام حسان، القاهرة ١٩٥٨ص ١٣.

ولو عدنا إلى ذلك الأب فلا نجد له وجوداً فعلياً منطوقا، حيث هو مجموعة من الخصائص الصوتية التي لا يمكن النطق بها. (أي التحقيق الفعلي لهذا الأب كصوت) إلا من خلال أحد أبنائه، أي من خلال سلسلة كلامية (كلمة أو عبارة) تحقق الوجود الفعلي لهذا الصوت. فيظهر لدينا في تلك اللحظة أحدُ أبناء هذا الأب، وليس الأب، ومن هنا تتعدد صور الأب (الفونيم) من خلال تعدد الصور التي ترد فيها من خلال السياقات اللانهائية التي نتكلم بها، وتمثل كل صورة من هذه الصور أحد أبناء الفونيم، وهو ما يسمى (بالألفون)، وتلك سلالة ممتدة من هذا الأب لتكوّن سلسلة بشرية، أو سلسلة صوتية متحققة فعليا بالنطق الدائم المتجدد لهذا الأب في كلام البشر الذي لا ينتهي.

لقد قال بهذا التصور دانيال جونز D.Jones: إن الفونيم عبارة عن عائلة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص، مستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه الآخر [1] هذا لأن كل عضو يمثل فرداً مستقلا في تلك العائلة التي فقدت أباها (الفونيم).

ثم يذكر دانيال جونز سبب تسمية أحد أفراد العائلة رئيسياً فيرجع إلى:

١- كثرة ورود هذا العضو في الاستعمال اللغوي بصورة تفوق بقية الأعضاء.

٢- كونه العضو الذي يستعمل وحده منعزلا عن السياق الفعلي.

٣- كونه في الموقع المتوسط بين بقية الأعضاء [2]

هذا التصور لدانيال جونز يشير إلى الصوت المنعزل عن السياق، وهو أقرب ما يكون إلى الصوت الفعلي الذي يرد في السياق ويكون بعيداً إلى حد كبير عن تأثيرات السياق الذي سيوضع فيه. ثم يوضع هذا الفونيم أو الصوت في سياق يحدد خصائصه الجديدة إلى جانب خصائصه الأصلية.

(1) D.JONES the phoneme , its Nature and use ,p. 10,1962

(2) D, JONES the phoneme, p, 212

تحليل الفونيم:

يقول ماريوباي: "قابلية الفونيم للتحليل والتجزئة إلى وحدات ألفونية، حيث تشكل هذه التنوعات الصوتية المتشابهة وحدة الفونيم، وعليها يتوقف استعمال كل منها أساسا على موقعه في الكلمة وعلى الأصوات المجاورة. [١]

وما ذكره ماريوباي من أن الفونيم قابل للتحليل بناء على موقعه في الكلمة والأصوات المجاورة له؛ قال به قبله ابن جني دون أن يستخدم كلمة فونيم، أو ألفون، ولكن في إطار حديثه عن تنوعات الحركات بناء على الأصوات التي تجاورها، يقول ابن جني: (باب في كم الحركات: أما ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث، وهي الضمة والكسرة والفتحة ومحصولها على الحقيقة ست، وذلك أن بين كل حركتين حركة. فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة، نحو فتحة عين عالم وكاف كاتب، فهذه حركة بين الفتحة والكسرة، كما أن الألف التي بعدها بين الألف والياء. والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل ألف التفخيم، نحو فتحة لام الصلاة والزكاة والحياة. وكذلك ألف قام وعاد، والتي بين الكسرة والضمة ككسرة قاف قيل وسين سير فهذه الكسرة المشمة ضما. ومثلها الضمة المشمة كسرا كضمة قاف المنقر... ويدل على أن هذه الحركات متعدات اعتداد سيبويه بألف الإمالة وألف التفخيم حرفين غير الألف المفتوح ما قبلها)[٢] وهذا الكلام يفهم منه أن ابن جني يري الحركات تتغير بتغير الوسط أو البيئة الصوتية التي ترد فيها قبل أن يتكلم عنها المحدثون .

٢-٣ القيمة الصوتية التمييزية بين الفونيمات (القيمة الدلالية):

تبدو القيمة الكبرى للفونيم في التمييز بين المعاني المختلفة، ويشير أد. حسام البهنساوى إلى ذلك بقوله: "معظم علماء هذا الاتجاه [الوظيفي] يشرحون الفونيم على أن وظيفته الأساسية في التفريق بين المعاني، ومن هؤلاء ترنكا: Trinka يقول: إن كل صوت قادر على إيجاد تغير دلالي.

---

(١) أسس علم اللغة: ماريوباى/ترجمة د. مختار عمر ، عالم الكتالقاهرى١٩٩٨،ص٨٧.

(٢) سر صناعة الإعراب: ابن جنى: تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة١٩٥٤م.

"بعض علماء هذا الاتجاه يشيرون إلى وظيفة الفونيم في تركيب اللغة، وفى التمييز بين كلماتها، ومنهم تروبتسكوى؛ الذي يرى أن الفونيم هو أصغر وحدة لغوية التي تستطيع بطرق التبادل، أن تميز كلمة من كلمة أخرى، وهو يعرف الفونيم بأنها: الوحدات الصوتية، التي لا يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية متتابعة من جهة نظر اللغة المعينة التي يقوم الباحث بدراستها. وهو يقرر بأن الفونيمات علامات مميزة، ولا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظائفها في تركيب كل لغة على حدة"[١].

ومن خلال حديث جاكلين فيسيار عن الطرق المختلفة لإخراج فونيم ما؛ أشارت إلى قيمة التمييز الصوتي بين الفونيمات في معرفة معلومات عن المتكلم ولغته وطريقة نطقه، وبيئته، وأثر السياق الصوتي الذي يحيط بالفونيم والحركات النطقية المحيطة بالفونيم في مقطع ما، فتشير إلى التمايز بين الأصوات بما يلي:

أ- تميزات صوتية تخص المتكلم:

"أولا: تعود التغيرات إلي خصائص جسدية "فردية"، وهي تسمح بتحديد شخص المتكلم من خلال إعطاء إشارات عن عمره وجنسه وحالته الفيزيولوجية (صوت أجش، صوت مدخن) والعاطفية (صوت فرح، صوت حزن)" [٢]

"ثالثا: كلما تكلمنا بسرعة أو بتراخ، تقلص نتيجة لذلك الفارق النطقي بين الصوائت والصوامت، وازداد التبادل النطقي بين الأصوات المتتالية في السلسلة الواحدة، ونلاحظ أنه على الرغم من ذلك يمكن لبعض المتكلمين التحدث بسرعة كبيرة وبطريقة متراخية." [٣]

"خامسا: يُكيِّف كل متكلم طريقة لفظه مع الموقف التواصلي، من حيث المستوى (من الأشد "سُموا" إلى الأشد "عامية"، ومن حيث الأسلوب، ومن حيث

---

(١) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث: ١٦١

(٢) الصوتيات: ٣٤

(٣) الصوتيات: ٣٥

الموقف الذي يعبر عنه (الاستياء، السخرية) وهو يستخدم لذلك كل الوسائل المتاحة له: فالتأنيف يُعبِّرُ، في بعض اللغات، عن الاحترام، وعن الاشمئزاز في بعضها الآخر، ويمكن للمتغيرات أن تكون من النوع اللساني الاجتماعي،أو الاجتماعي الثقافي." [١]

"أخيرا تضفي التغييرات الإرادية في طريقة النطق فوارق بسيطة في المعنى على الرسالة (Ivan Fongy): فالطريقة التي تتم بها لفظُ جملة ما، بلُطْفٍ أو دماثة أو برودة أو احتقار، تقوم بدور مهم في التواصل بين البشر. وقد تؤدى هذه المتغيرات إلى إحداث تغيير جذري في المعنى الإجمالي للرسالة.."[٢]

ب ـ تميزات صوتية تخص بيئة المتكلم:

"سادسا: يختلف إخراج الفونيمات وتقابلاتها بين منطقة وأخرى: إذ يتم التعرف بسهولة على اللكنة الجنوبية "الغنائية" في حين تسمح فروقات أشد دقة بالتمييز بين لكنة " ليون " ولكنة " غروبوبل ".[٣]

ج ـ تميزات صوتية تخص السياق الصوتي:

"ثانيا: يؤثر السياق الصوتي الذي يحيط بالفونيم في حركات اللسان والشفتين، وفي حركة الحنك اللين والثنايا الصوتية التي يتحقق فيها..." [٤]

"رابعا: ترتبط الحركة النطقية بموقع الفونيم في المقطع، وبموقع المقطع في الكلمة، وبموقع الكلمة في الجملة، وفقا لهذا الموقع، يمكن أن يكون الفونيم مُهَيْمنا: فيتم نطقه بشكل أفضل ولمدة أطول وبشدة أكبر، فيفرض بذلك بعضا من خصائصه على الفونيمات المحيطة به. في الحالة المعاكسة، يقع هو تحت سيطرة الفونيمات المحيطة به، فيتأثر بها إلى حد الاختفاء في بعض الأحيان.

---

(١) المرجع السابق: ٣٧

(١) الصوتيات: ٣٧

(٢) المرجع السابق: ٣٧

(٤) المرجع السابق: ٣٤

عادة، يتم إخراج الصامت الأول للكلمة وإخراج المقطع المنبّر عند وجوده، إخراجا قويا، أي بطريقة أكثر نمطية." [(١)]

وبهذا يبدو لنا دور الفونيم وخصائصه المتغيرة في تحديد الخصائص الصوتية للمتكلم وسماته الشخصية، بل حالته المزاجية والنفسية وبيئته، إلى جانب إشارة الفونيم إلى تأثير السياق الصوتي المحيط به عليه، وكذلك المقطع الصوتي الذي ورد فيه الفونيم، ولا شك أن نص القرآن الكريم وقراءته وفقا لقواعد التلاوة والتجويد، يعطينا تفسيرا واضحا لكثير من معانيه العظيمة، فهو الأساس في تحليلنا لمقاطعه ومواضع النبر فيه ولتنغيمه .

٢-٤ أنواع الفونيم

يقسم العلماء الفونيم إلى:

أولا: الفونيم التركيبي

وهو عبارة عن الوحدات الصوتية التي تكون جزءا من أبسط صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق، أو قل: الفونيم الرئيسي هو ذلك العضو الذي يكون جزءاً أساسياً في الكلمة المنفردة، كالباء والتاء. والألف والواو، وهي تكوّن ما يسمى بجزيئات الكلام، ولهذا توصف بأنها فونيمات جزيئية أو تركيبية على اعتبار أن الكلام هو سلسلة كلامية، أو مجرى مستمر خلال زمن معين. وبناء على هذا يمكن أن يجزأ المجرى إلى فونيمات أو ألفونات منفصلة." [(٢)]

ثانيا: الفونيم فوق التركيبي

وهذه ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى في الكلام المتصل، وهو عكس الفونيم التركيبي، لا يكون جزءا من تركيب الكلمة، وإنما يلاحظ فقط حين تضم كلمة إلى أخرى أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة. وهي لذلك

---

(١) المرجع السابق: ٣٦

(٢) أسس علم اللغة: ص٩٢

لا تظهر في الكتابة، ولكن في النطق فقط ولأن الكلام امتداد متصل من التحركات التي تؤديها أعضاء النطق، فإن التجزيء إلى علل متتابعة يبدو أمرا مصطنعاً على الرغم من أنه ضروري وعملي لدراسة اللغة وتحليلها.

"وقد وجد في التحليل الدقيق، وعن طريق التجريب أن الانتقالات من نطق الساكن إلى العلة التالية، ومن العلة إلى الساكن التالي. تعد من أهم المفاتيح التي يملكها السامع لمعرفة أي أصوات الكلام تنطق، كما لاحظ العلماء أن المعنى ليس مرتبطا بأصوات الكلام المنفصلة فحسب، وإنما كذلك بالتجمع الصوتي ككل.[١]

فنجد المتكلم يلعب في تلك المنطقة، وهي منطقة الانتقال من الساكن إلى العلة، أو من العلة إلى الساكن. ويتم ذلك من خلال زيادة أصوات العلة أو تقصيرها أو الضغط عليها، وهي أشياء لا تدرك إلا بالاستماع إلى المتكلم ومعرفة طريقته في التعبير عما يريد.

ولهذا نجد أصحاب نظرية الفونيم يضمون إلى ما سموه بالفونيم التركيبي قسما آخر سموه بالفونيم غير التركيبي.... وهي ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة، وتكون الجزيء أو تتابع الجزيئات، ويرمز لها عادة برموز إضافية خارج رموز الجزيئات التركيبية[٢].

وقد سميت فونيمات لأنها تحمل رسائل لغوية، ولها وظائف في داخل العملية الكلامية قد تؤدي إلى تحويل الكلمات من معانيها الأصلية إلى معان مغايرة ومخالفة للأصل. ولهذا السبب أجد أن هذا الجانب من الفونيمات (أي الفونيمات فوق التركيبية) جدير بالدراسة والتحليل، وخصوصاً إذا أضفنا إلى ما سبق القيم الصوتية التي تنتج عند مراعاة تلك الفونيمات من حدوث انسجام صوتي، ومعان إضافية يضيفها الألفون للكلمة، وإصدار نغم يؤثر في النفس.

وهذه الصفة الأخيرة هي الخاصية الهامة للفونيمات فوق التركيبية، حيث

---

(١) دراسة الصوت اللغوي: ١٨٦

(٢) دراسة الصوت اللغوي ١٨٦.

تظهر في قراءة القرآن الكريم بوضوح، ولهذا جاءت فكرة هذه الدراسة وهي محاولة دراسة الفونيمات فوق التركيبية في سورة الواقعة، ومعرفة مصدر هذا الانسجام الصوتي، والنغم الخفي الموجود في هذه السورة بآياتها المختلفة. وهذه الفونيمات الفوق تركيبية تشمل (النبر stress - النغمة tone - التنغيم intonation - المفصل juncture - الطول length وتمثل المقاطع الصوتية جزءاً من هذه المنظومة. يقول د. أحمد كشك "ومن البحث الصوتي أيضا فهم تلك الملامح الصوتية التي تصاحب التركيب اللغوي كله، وذلك كالنبر والتنغيم والطول والسكة وغير ذلك من السمات الصوتية التي له علاقة كبيرة بالتركيب وفهمه."[١]

---

(١) من وظائف الصوت اللغوي: دأحمد كشك، مطبعة المدينة،دار السلام ١٩٨٣ص٧

الفصل الثاني

أولا : المقاطع الصوتية

١. ما هو المقطع ؟

المقطع مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة"[١] "وهو في تعريف واضح: تأليف أصواتي بسيط، تتكون منه واحداً، أو أكثر - كلمات اللغة - متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي - ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها"[٢]. يقول أبركرومبي عنه: "هو نتاج الطريقة التي تعمل بها ميكانيكية تيار الهواء الرئوية، وأساسه نبضة صدرية تركب عليها الحركات المخرجية المنتجة للقطوع، وما يرتبط بها من حركات الطبق والأوتار الصوتية[٣].

قد "اختلفت وجهات نظر العلماء وآراؤهم، حول تعريف المقطع، باختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم في البحث فثمة اتجاه يعرف المقطع أكوستيكيا واتجاه

---

(١) أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب مطبعة الكيلاني القاهرة ١٩٨٦ ص١٣٩.

(٢) علم الأصوات: برتيل مالمبرج ، تر/ د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب ١٩٨٦ ص١٦٤.

(٣) مبادئ علم الأصوات العام: أبركرومبي.تر/د.فتيح، مطبعة المدينة ١٩٨٨، ص١١٢.

آخر، يعرفه نطقيا ماديا، واتجاه ثالث يعرفه وظيفيا فونولوجيا... ونحن إذ نوجه اهتمامنا في تعريف المقطع على الاتجاهين الأساسيين وهما:

١- الاتجاه النطقي (المادي).

٢- الاتجاه الوظيفي(الفونولوجي)." [١]

الاتجاه النطقي: هو ما سنُقِيم عليه تحليلنا للمقاطع في سورة الواقعة فنحاول من خلال هذا الاتجاه أن نخلص إلى فهم هذه الصفة الخاصة بأصوات اللغة، وعلاقتها بموضوعنا (الفونيم الفوق تركيبي) حيث ننظر إلى المقطع كمجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة، وذلك في إطار تعريف المقطع من حيث النطق. ويقول كانتينو في تحديده للمقطع الصوتي: " إن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملا أو جزئيا، هي التي تمثل المقطع"[٢].

وقد عرفه بعض العلماء من الناحية الفسيولوجية على أنه نبضة صدرية، أو وحدة منفردة لتحريك هواء الرئتين: لا تضمن أكثر من قمة كلامية، أو قمة تموج مستمر من التوتر في الجهاز العضلي النطقي، أو نفخة هواء من الصدر.[٣]

١-١ الأساس العضوي للتقسيم المقطعي:

ينشأ المقطع نتيجة لحركة الرئتين واندفاع الهواء منهما دفعة واحدة تسمح بخروج هذا القدر من الأصوات بهذه الكيفية التي يحس بها الناطق والسامع على السواء، ويشرح د. عبد الرحمن أيوب كيف تتم عملية إنتاج المقطع قائلا: (يعتمد تقسيم الحدث اللغوي إلى مقاطع علي عدد ما يتضمن من دفعات هوائية تنتج بتأثير ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين، والمعروف أن إنتاج الأصوات عملية تبدأ

---

(١) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب د. حسام البهنساوى، زهراء الشرق ٢٠٠٥ ص٢٠٨.

(٢) دروس فى علم الأصوات العربية: جان كانتينو ـ ترجمة صالح القرماوى ـ تونس ١٩٦٦ ص ١٩١.

(3) H,Stetson Buse of phonogy , p, 52.

بإخراج الهواء من الرئتين، واعتراض أعضاء النطق المختلفة طريق الهواء، وليس إخراج الهواء عملية عضوية تستمر قوتها دون اختلاف. بل إن ضغط الهواء يتفاوت من جزء من أجزاء الحدث اللغوي إلى جزء آخر(١)

ويلاحظ في أثناء الكلام أن الضلوع السفلية من القفص الصدري يتم رفعها وتثبيتها في وضع الرفع عند الزفير على حين تتولي عضلات البطن ضغط الهواء، وهكذا يتوتر النشاط في تجويف الصدر، فيزيد ذلك من توتر الحجاب الحاجز الذي يقوم بمقاومة نشاط عضلات البطن، وبذلك يتم التحكم في عملية الزفير بواسطة التوازن بين هاتين القوتين... وفي إنتاجية الكلام فيتخذ تيار الزفير صورة دفعات ذات طبيعة إيقاعية تتفاوت قوة وضعفاً، وترتبط هذه الدفعات بحدوث خفقات صدرية يتم على أساسها انتظام أصوات الكلام في مجموعة نفسية(٢).

وهذه الخفقات جعلت ستيتسون Stetson يرجح أن كل خفقة صدرية ترتبط بمقطع من مقاطع الكلام، فقد قاس نشاط عضلات التنفس، وقد لاحظ وجود علاقة بين المقاطع وبين تشنج العضلات التنفسية، وكذلك قارن منحنيات هذه التنوعات العضلية مع منحنى التوتر المسموع. (٣)

ويعلق د.سعد مصلوح على فرضية ستيتسون بقوله:

١. إن الفرض الذي يبدو معقولا - وإن لم يكن كافيا بنفسه لتفسير الأساس النطقي تفسيرا شاملا ومقنعا - يربط بين الخفقات الصدرية وتقسيم تيار الكلام إلى مقاطع.
٢. إن الخفقات الصدرية تتفاوت قوة وضعفا، وينشأ عن ذلك التفاوت المقاطع في قوتها النسبية، ببروز بعضها على حساب بعض، هو ما يسمى بالنبر(٤).

---

(١) أصوات اللغة: ص١٤١.

(٢) دراسة السمع والكلام د. سعد مصلوح، عالم الكتب القاهرة سنة ٢٠٠٠م ص ٢٢٨

(٣) علم الأصوات: برتيل مالمبرج ترجمة د.عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٦ ص ١٦٢

(٤) دراسة السمع والكلام ص ٢٢٩

وفي ضوء تلك المعطيات الصوتية يمكن أن نقول: إن هذا الربط بين الخفقات الصدرية التنفسية والمقاطع الصوتية؛ يمكن أن نستنتج منه:

أولا: أنه يجعلنا نشعر باستقلالية المقاطع عن بعضها؛ فلو حاولنا تقسيم ذلك التيار الهوائي الصادر من الرئتين، فنربط بين كل انقباضة صدرية للحجاب الحاجز وكل مقطع ينتج عنها؛ فيبدو كل مقطع ككتلة صوتية مستقلة عن أختها.

ثانيا: الكلام الذي يخرج على وتيرة واحدة، وفي صورة مقاطع متماثلة في أواخر فصلاته يتم بحركة ثابتة متكررة متماثلة في الصدر، والحجاب الحاجز، وهذا ما يؤدي إلى الانسجام الصوتي الناتج عن السير على وتيرة واحدة في المقاطع، أو ما يعرف بالنغم الخفي الذي نشعر به نتيجة هذا التماثل المقطعي؛ فيكون ذلك الانتظام في المقاطع (طولا وعددا ونوعا) إيقاعا منتظما.

ولذلك فإن ثبات حركة القفص الصدري والحجاب الحاجز على حركة واحدة متماثلة يؤدي إلى ما يعرف بالسهولة والتيسير الناتج عن هذا التماثل في حركة أجزاء الجهاز الصوتي السابقة، حيث ترتاح عضلات الصدر بتكرار حركات متماثلة، كذلك عضلات السمع التي تستقبل الترددات الصوتية المتماثلة نفسها والمتوقعة أحياناً، حيث يؤدي ذلك التماثل إلى توقع السامع للكلمة القادمة نتيجة لذلك التماثل في حركة القفص الصدري والخفقات الصادرة منه في شكل مقاطع متشابهة مرتبطة بكلمات متشابهة تكونت من تلك المقاطع، وهذا الأمر يحدث بكثرة في:

أولا: في الشعر

تأتي أبيات القصيدة على أحد أوزان بحور الشعر المعروفة والثابتة، في شكل مقاطع متقاربة، وتنتهي بقافية تلتزم - في الغالب - بنهايات مقطعية متشابهة في كل بيت، مما يؤدي إلى إيجاد تجانس صوتي ونغم متكرر في كل بيت، فلا يكون هذا النغم صادراً فقط عن حرف الروي، بل من الالتزام المقطعي المتكرر مع نهاية كل بيت، فالتشابه المقطعي في داخل كل بيت آت من الالتزام بوزن بحر واحد، وما به من تفعيلات ثابتة متكررة، مما يؤدي إلى حركة واحدة ثابتة في القفص الصدري، والحجاب الحاجز، وعدد محدد متكرر من الخفقات نتيجة ارتباطها بالمقاطع المتكررة والثابتة في كل بيت (غالبا).

يؤدي ذلك إلى القافية المتوقعة، حيث نتوقع أن تأتي كلمة معينة سوف نسمعها في نهاية هذا البيت، حيث نربط بين معاني القصيدة وإيقاعها وبين مقاطعها المختلفة في الأبيات التي سبقت هذا البيت؛ فنتوقع ما سيختاره الشاعر من بين كلمات اللغة كلها؛ فيأتينا بتلك الكلمة دون غيرها.

ولذا إذا قلنا لماذا نشعر براحة نفسية عند سماع قصيدة جيدة؟ نقول: إن هذه الراحة تأتي من التناسق والترابط بين الصوت والمعنى، فكل من الانسجام الصوتي والنغم المنتظم والمتكرر والمعنى الجيد يجعل الأذن تشعر بتلك الراحة التي تنتقل إلى النفس، ولهذا نرى الميل اللاشعوري إلى ذلك النوع من الكلام (الشعر)، حيث الشاعر يقول ما في نفسي من المعاني؛ ولكن بطريقة لا أقدر عليها، فهو يمثل التعانق بين الصوت والمعنى وصدى ذلك في نفس المتلقي.

فالمتكلم بهذا الكلام (سواء كان شاعراً أم راويا) يشعر بهذه الراحة النفسية بعد إلقاء القصيدة، فكل من الشاعر والراوي إلى جانب استحضار المعنى الجيد يغلب عليهما النغم المتكرر المتناسق والانسجام الصوتي الناتج عن تكرار حركة واحدة متناسقة للقفص الصدري والحجاب الحاجز، وخروج خفقات متماثلة متكررة في مقاطع متشابهة.

ثانياً: في النثر

يحدث هذا في الخطب والمقالات الأدبية والأمثال والعبارات الإتباعية؛ كما في (حار يار ـ شيطان ليطان ـ لا يملك حلوبة و لا ركوبة) حيث تتفق المقاطع الأخيرة في الكلمات لتحقق النغم الإتباعي، كما في الكلمات السابقة،[1] وغيرها من العبارات الإتباعية، وكذلك في الأمثال العربية والعامية نماذج كثيرة.

ثالثا: في القرآن

أما في القرآن الكريم فالأمر يختلف، حيث نجد عناصر كثيرة تحقق الانسجام

(١) انظر كتابنا" الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوي الحديث" د.عطية سليمان أحمد، دار الكتب العلمية ، القاهرة ،٢٠٠٥ص ١٤.

الصوتي والتجانس الذي نشعر به ولا نعرف مصدره، منها عنصر المقاطع. يقول د. عبد الصبور شاهين في تعريف المقطع أنه (تأليف صوتي بسيط تتكون منه واحداً أو أكثر ـ من كلمات اللغة ـ متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي، مع نظام اللغة في صوغ مفرداتها، وهو تعريف مضينا إليه في كتابنا عن القراءات القرآنية[(١)]. فنجده يربط بين المقطع وإيقاع التنفس الطبيعي، وقد تحقق له هذا من خلال الدراسة الصوتية للقراءات القرآنية.

وهناك تعريفات أخرى للمقطع روعيت فيها جوانب أخرى لهذا الحدث الصوتي، الجانب الوظيفي، حيث عرفه دي سوسير (بأنه الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها). وهو اتجاه فونولجي يرى أن المقطع عبارة عن الوحدة التي يمكن أن تشكل درجة واحدة من النبر أو وقفة واحدة كما في كثير من اللغات[(٢)]. وهنا تبدو النظرة واضحة إلى المقطع كوحدة صوتية تصدر من الجهاز الصوتي بخصائص صوتية مختلفة من لغة إلى أخرى.

٢.١ تقسيم الأصوات من حيث وضوح السمع إلى قمم ووديان:

تقوم عملية التقسيم المقطعي للأصوات على طبيعة الصوت، ومدى تأثره أو تأثيره بما يليه أو يسبقه من أصوات مما يدركه السامع من فروق بين تلك الأصوات من خلال خاصية وضوح السمع، يقول د.عبد الرحمن أيوب: المقطع هو مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين بينهما قمة، ويمكن تقسيم الكلام إلى مقاطع بمجرد السماع. ولكن ليس من الممكن على وجه التحديد تعيين النقطة التي ينتهي عندها مقطع ليبدأ بعدها المقطع الذي يليه. وذلك لأن الكلام الإنساني متداخل الأجزاء بحيث يكتسب الجزء القوى شيئا من ضعف الجزء الضعيف الذي يسبقه، وبالعكس يكتسب الضعيف شيئا من قوة سابقه أو لاحقه، ومثال ذلك... النون والدال، وقد فقدت الأولى شيئا من قوة إسماعها لمجاورتها للثانية،

---

(١) علم الأصوات برتيل ص ١٦٤.

(٢) علم الأصوات: برتيل، ص ١٦٢.

ويطلق بعض الكتاب على الأجزاء المرتفعة المبينة في الرسم البياني للتقسيم المقطعي لحدث من الأحداث اللغوية اسم التلال وعلى الأجزاء المنخفضة اسم الوديان. ويقرر أن الوديان قد تكون منحدرة وقد تكون مستوية"[١]

هذه الظاهرة توضح جانبا من القضية؛ وهو الطبيعة الخاصة بالأصوات، وأثر ذلك علي علاقة الجوار بينهم، ودور المقطع في تمييز ظاهرة التأثير والتأثر بينهم، وقيام ذلك التمييز على حاسة السمع.

قال د. أيوب: "مما تقدم يمكن أن ندرك أن بعض الأصوات قد يكون مرة قمة ومرة قاعدة، وأن بعضها لا يقع إلا قمة وبعضها آخر لا يقع إلا قاعدة "[٢]

هذا الأمر يجعلنا نعيد النظر إلى الأصوات وتقسيمها في ضوء تلك المفاهيم السابقة، فلكل صوت طبيعة تكوينية مختلفة، تجعله يُحدث نغما مختلفا عن غيره؛ فيتأثر أو يؤثر في غيره، مما أوجد لنا ظاهرتي المماثلة والمخالفة الصوتية، كذلك الأثر الذي يوجده في السياق الصوتي الذي هو فيه، ونعنى بالسياق الصوتي المقطع الصوتي الذي يوجد فيه داخل الكلمة أو العبارة، فيجعل لهذا المقطع خصائص صوتية مستقلة نتيجة وجود هذا الصوت في هذا السياق الصوتي، لهذا اتجهتُ إلى كلام د. أيوب في هذا الشأن لأعرض على المتلقي بيانا بتلك الأصوات وخصائصها، ذلك لأنني وجدت في أثناء هذه الدراسة التي بين أيدينا كثيرا من الصدى لتلك الظاهرة، حيث نجد بعض هذه الأصوات التي تسمى بالأصوات المقطعية في نهاية الفاصلة القرآنية، وقد أثرت هذه الأصوات المقطعية في ذلك المقطع الأخير من الفاصلة الذي وُجِدتْ به، بل إنها لها أثر علي الآية كلها، وعلاقتها بالفواصل التي بالآيات التي تدخل ضمن مجموعتها - كما سنرى - حسب تقسيمنا للسورة إلى مجموعات صوتية متفقة من حيث الفاصلة؛ فتصبح كل مجموعة كأنها ذات فاصلة واحدة.

(١) أصوات اللغة: ص ١٣٩

(٢) أصوات اللغة: ١٤٠

وقد أشار إلى هذه الأصوات د.أنيس بقوله: "الكلام المتصل يتكون من أصوات لغوية تختلف في نسبة وضوحها السمعي. وترتب على هذه النسبة أن قسموا الأصوات إلى قسمين رئيسيين: هما الأصوات الساكنة وأصوات اللين.

وقد اتضح لهم أن الأصوات الساكنة بطبيعتها، أقل وضوحا في السمع من أصوات اللين.على أن المحدثين قد لاحظوا أن اللام والنون والميم أصوات عالية النسبة في الوضوح السمعي، وتكاد تشبه أصوات اللين في هذه الصفة، مما جعلهم يسمونها أشباه أصوات اللين... وقد وجد المحدثون أن اللام والميم والنون تحتل القمم في بعض الأحيان مثلها في هذا مثل أصوات اللين. ولهذا اعتبروا أصوات اللين ومعها اللام والنون والميم أصواتا مقطعية، لأنها هي التي تحدد المقاطع الصوتية في الكلام. وقسموا لهذا مقاطع الجملة حسب ما فيها من أصوات اللين، وفى بعض الأحيان يضطرون إلى عد ما اشتملت عليه الجملة من لام أو نون أو ميم.[(١)]

١-٢-١ إحصاء الأصوات المقطعية بسورة الواقعة

من خلال ما سبق يتبين لنا أن في السورة ست وتسعين آية تنتهي بصوت: النون والميم والنون الساكنة (التنوين) واللام والباء والدال، وكانت النسبة الكبرى لصوت النون يليه صوت الميم ثم النون الساكنة، مما يعنى غلبة الأصوات المقطعية على تلك الفواصل بسورة الواقعة وبيانها كالآتي:

١. الفاصلة المنتهية بصوت النون: ٥٤ فاصلة بنسبة: ٥٦,٢٥ ٪
٢. الفاصلة المنتهية بصوت الميم: ١٨ فاصلة بنسبة: ١٨,٧٥٪
٣. الفاصلة المنتهية بصوت النون الساكنة: ٨ فواصل بنسبة: ٨,٣٣٪
٤. الفاصلة المنتهية بصوت التاء المربوطة: ١٠ فواصل بنسبة: ١٠,٤١٪
٥. الفاصلة المنتهية بصوت الدال: ٣ فواصل بنسبة: ٣,١٢٪
٦. الفاصلة المنتهية بصوت الباء: فاصلة واحدة بنسبة: ١,٠٤٪
٧. الفاصلة المنتهية بصوت اللام: فاصلة واحدة بنسبة: ١,٠٤٪

(١) الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، الأنجلو المصرية، ط١٩٨١، ٦، ص١٦٠

١ـ٢ـ٢ التوزيع الصوتي للأصوات المقطعية بالسورة:

يجب ألا نفهم مما سبق أن هذه الأصوات المقطعية المتماثلة تأتي متتالية؛ فتأتي الفواصل المنتهية بصوت النون مثلا (وعددها كما ظهر في الإحصاء السابق ٥٤ مقطعا) في صورة متتالية، وكذلك الميم، ثم النون الساكنة، بل تم توزيع تلك الفواصل في صورة تحقق الانسجام الصوتي مع عدم توالي الصوت نفسه؛ حتى لا يمل المستمع ويشعر بالرتابة، فلو نظرنا إلى توزيع تلك الفواصل على هذه الآيات لتبين لنا التناغم الناتج عن الدقة في التوزيع، وذلك من خلال النهايات المختلفة للمجاميع الصوتية التي قسمتُ عليها الآيات، وعددها سبع عشرة مجموعة هي:

١. المجموعة الأولى منتهية بصوت: هاء السكت، عدد الآيات: ثلاث.
٢. المجموعة الثانية منتهية بصوت: النون الساكنة، عدد الآيات: ثلاث.
٣. المجموعة الثالثة منتهية بصوت: هاء السكت، عدد الآيات: ثلاث.
٤. المجموعة الرابعة منتهية بصوت: النون+ الميم، عدد الآيات: خمس.
٥. المجموعة الخامسة منتهية بصوت: هاء السكت (مرة واحدة) + النون (٩ مرات)، عدد الآيات: عشر.
٦. المجموعة السادسة منتهية بصوت: النون الساكنة، عدد الآيات: آيتان.
٧. المجموعة السابعة منتهية بصوت: النون+ الدال+ الباء، عدد الآيات خمس.
٨. المجموعة الثامنة منتهية بصوت: هاء السكت، عدد الآيات: ثلاث.
٩. المجموعة التاسعة منتهية بصوت: النون الساكنة، عدد الآيات: ثلاث.
١٠. المجموعة العاشرة منتهية بصوت: النون، عدد الآيات: ثلاث.
١١. المجموعة الحادية عشرة منتهية بصوت: اللام+الميم، عدد الآيات: أربع.
١٢. المجموعة الثانية عشرة منتهية بصوت: النون+ الميم+ النون، عدد الآيات: أربع.
١٣. المجموعة الثالثة عشرة منتهية بصوت: النون + الميم + النون+ الميم + النون + الميم + النون، على هذا الترتيب، عدد الآيات: ثمان.
١٤. المجموعة الرابعة عشرة منتهية بصوت: النون+الميم، عدد الآيات: سبع عشرة.
١٥. المجموعة الخامسة عشرة منتهية بصوت: الميم+ النون، عدد الآيات: ثمان.

١٦- المجموعة السادسة عشرة منتهية بصوت: الميم+النون، عدد الآيات: خمس.

١٧- المجموعة السابعة عشرة منتهية بصوت: النون+ الميم+ النون+ الميم+ النون+ الميم، على هذا الترتيب عدد الآيات: تسع.

من هذا العرض نتبين أن تلك الأصوات وُزِّعتْ بين المجموعات بصورة صوتية دقيقة؛ قد نجد فيها الصوت الواحد يتكرر في المجموعة عدة مرات، وقد يجتمع في المجموعة أكثر من صوت متشابه أو متقارب أو مختلف مع ما في نهاية فاصلة تلك المجموعة؛ مما أوجد نغما متناسقا منتظما مختلفا عما سبق أحيانا أو متفقا، بطريقة تفاجئ السامع بإيقاع مختلف غير متكرر، بل متجدد، مما ينفي عنه الرتابة والملل من تكرر الإيقاع نفسه مع كل مجموعة.

٣-١ أنواع المقاطع في اللغة العربية

١- مقطع قصير مفتوح: ما تكون من صامت وحركة قصيرة (كَ) ص ح.

٢- مقطع طويل مفتوح: ما تكون من صامت وحركة طويلة (في)ص ح ح.

٣- مقطع طويل مغلق: يتكون من صامت +حركة قصيرة + صامت (مِنْ)ص ح ص.

٤- مقطع مديد: يتكون من صامتين بينهما حركة طويلة (بَاب) ص ح ح ص.

٥- مقطع زائد في الطول: يتكون من صامتين متتاليين في الوقف (بَنْتْ) ص ح ص ص[1]

خصائص المقطع في العربية

١- النوعان الرابع والخامس من المقاطع نادرة الشيوع في اللغة العربية، ولا يكونان في الشعر بل في النثر، "والرابع لا يجوز إلا في آخر الكلمات في حالة الوقف عليها أو في وسطها، بشرط أن يكون المقطع التالي له، مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق، وهذه الحالة الأخيرة، هي ما عبر عنها اللغويون العرب القدامى (بالتقاء ساكنين على حدهما) وهو أن

(١) التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب الخانجي، ط٢ القاهرة، ١٩٩٥، ص ٩٥

يكون الأول حرف لين، والثاني مدغما في مثله نحو ضالِّين وشابَّه ومدهامَّتان. فإذا نشأ هذا المقطع اشتقاقياً في غير هاتين الحالتين حولته اللغة إلى مقطع من النوع الثالث، مثل: يقوم، التي تصبح عند الجزم "لم يقم". وكان الأصل فيها لم يقومْ. غير أن المقطع: قُوْم هو من هذا النوع الرابع، الذي تفر منه العربية، وقد عمم ذلك في حالتي الوصل والوقف هنا، طردا للباب على وتيرة واحدة، فيقال: لم يقم محمد، كما يقال: محمد لم يقم، حين الوقف "[١]

التحليل المقطعي:

أ- لم يقومْ = ص ح + ص ح ح ص ـــ> لم يقُمْ = ص ح + ص ح ص. وذلك بتقصير الحركة الطويلة إلى مجرد ضمة، فتتخلص من التركيب المقطعي ص ح ح ص ـــ>وتحوله إلى التركيب المقطعي ص ح ص.

ب- التقاء الساكنين على حدهما، (الضالّين) ص ح ح ص + ص ح ح ص.

ج- عند الوقف: (شابّة) ص ح ح ص + ص ح ص.

د- التقاء المتماثلين مُدْهامَّتان: ص ح ص+ص ح ح ص+ص ح+ص ح ح ص

٢- يبتعد النظام المقطعي في العربية عن توالي أربعة مقاطع من النوع الأول، وهذا هو السر في تغيير نظام المقاطع في الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك إلى مقطعين من النوع الأول بينهما مقطع من النوع الثالث مثل ضربت بدلا من توالي أربعة مقاطع من النوع الأول كما في ضربت[٢].

٣- أقل ما تتركب منه الكلمات العربية، هو مقطع واحد، وأكثر ما تتكون منه الكلمات العربية هو سبعة مقاطع.

٤- لابد أن يبدأ بصامت ولا يمكن أن تبدأ الكلمة العربية بحركة.

٥- أنه لا يجوز أن تبدأ الكلمة العربية بصامتين.

---

(١) المرجع السابق: ص٩٦

(٢) فصول فى فقه العربية: ١٥٨

٤.١ العلاقة بين المقطع الصوتي والوزن الصرفي:

الميزان المقطعي

يقول د. كشك: "لا يمكن فهم الوزن المقطعي بعيدا عن فهم المقطع اللغوي. والمقطع اللغوي هو أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلم... من أجل ذلك؛ فنحن نكتفي بأن تكون مقاطع الفصحى الدالة عليها هي المقاطع الخمسة السابقة. وعلى أساس من هذه المقاطع نقول إن لدينا ميزانا مقطعيا يزن الكلمة حاسبا تعداد مقاطعها، ونوع هذه المقاطع ليقابلها بميزان مواز لهذه المقاطع كما وكيفا. فإذا أردنا من خلال ذلك أن نزن كلمة ضرب؛ فإننا نقابل هذه الكلمة المكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة هي: ص ح ـ ص ح ـ ص ح. بميزان مكون من هذه المقاطع وهو فعل، ويكون الوزن مطابقا للواقع المستعمل للكلمة. وحين نزن كلمة مثل "نام"؛ فإن هذه الكلمة المكونة من مقطعين هما: ص ح ح ـ ص ح تُقابل بميزان هو: فال مكونا أيضا من هذين المقطعين؛ أي أن هذا الميزان يطابق الواقع المستعمل للكلمة بعيدا عن فرض أصل لها كما يتصور علماء الصرف. هذا الوزن المقطعي قرين علم الأصوات. ولم يك بدعا تماما على الثقافة العربية"(١).

ثالثا: الفرق بين الوزن الصرفي والوزن المقطعي

"من خلال رؤية الوزنين ندرك أن بينهما فروقا منها: أن الوزن الصرفي يعتمد أساسا على فكرة الأصول. وهى فكرة قرينة الدرس اللغوي العربي؛ حيث تجعل المثال المفترض أساسا حاكما لما هو موجود. على حين أن الوزن المقطعي يرفض هذه الفكرة ولا يعتمد إلا على الواقع المستعمل وحده...

من الفروق أيضا الوزن الصرفي من عمل الصرفيين. ومن أجل ذلك فهو مرتبط ارتباطا كاملا بفكرتهم عن حدود الدرس الصرفي. تلك الفكرة التي تربط الدراسة الصرفية عندهم بمجموعة معينة من الكلمات. وهى في عرفهم الأسماء المتمكنة المعربة، والأفعال المتصرفة. وعلى هذا فلا تدخل الدراسة

---

(١) من وظائف الصوت اللغوي: ٢١ ، ٢٥

الصرفية الكلمات التي هي من قبيل المبنيات من الأسماء كالضمائر وأسماء الشرط وأسماء الأفعال الخ، ولا يقبل الدرس الصرفي الفعل الجامد ولا الحرف، فالوزن الصرفي لا يزن كل كلمات اللغة...

أما الميزان المقطعي الذي لا تشغله فكرة الأصول فهو يسير مع فكرة علماء اللغة المحدثين من أن كل كلمة صالحة للدرس الصرفي دون استثناء؛ ومن هنا فبإمكان هذا الميزان أن يزن كل كلمة واردة في اللغة العربية قبلت الدرس الصرفي أو لا؛ لأنه حاسب للمقاطع ومقابل لها بما يماثلها ويوازنها"[١]

كما تأبي اللغة العربية وجود أربعة مقاطع متتالية من نوع المقطع القصير المفتوح (ص ح) في إطار ظاهرة صوتية ترفض توالي أربعة مقاطع متماثلة من النوع (ص ح) ولذلك يبدله عند إسناد الفعل الماضي: كتب = ص ح+ ص ح+ ص ح ــ> إلى ضمير المتكلم (مثلا)، فإن التركيب المقطعي سيكون = كَ + تَ + بَ + تُ

= ص ح + ص ح + ص ح + ص ح

فإن النظام اللغوي الصرفي يأبى ذلك، ويقوم بتحويله بإدماج مقطعين في مقطع واحد هكذا (كتبْتُ) = ص ح + ص ح ص+ ص ح .

هذا الفرق بين الميزانين يجعلنا نعيد النظر إلى الكلام المنطوق - فهو الأساس في النص القرآني - حيث الكلام المنطوق له طبيعة خاصة ومقاييس مختلفة، فننظر هل تؤثر القضية المقطعية على نطق النص القرآني أم لا ؟. تلك القضية جديرة بالدراسة في ضوء علم الأصوات ومعطياته الجديدة .

هذا التعانق بين تقسيم الهواء الخارج عند التكلم إلى مقاطع تكوّن الكلمات التي تصدر عنه؛ أدخل ضمن عناصر تكوّينه عنصر المعنى، وهو العنصر الذي يصنعه المتكلم، وهو عبارة عما يصدر في النفس من أفكار تصنع المعنى، فهي عبارة عمَّا يحدث في داخل البنية التصورية للمتكلم من تفاعلات ذهنية حول أمر ما، قبل ظهور المعنى، ثم يخرج المعنى في صورة دفقات وزفرات

---

(١) من وظائف الصوت اللغوي: ٢٤ ، ٢٦

وأنّات، تُصبُّ في قوالب لغوية مختلفة، تعبر عن مكنونات النفس المختلفة.

فلو حللنا النص القرآني في ضوء هذه المفاهيم؛ فستظهر لنا قدرة القارئ على استحضار معاني الآيات عند النطق بها، من خلال تحكمه في تلك الدفقات عند خروجها، وتقسيمها لمقاطع، وإظهار مواضع النبر فيها، والضغط عليها بصورة توضح معناها وتبرزه.

١-٣-٣ الخصائص التركيبية للمقاطع القرآنية

يتميز المقطع القرآني بسمات تجعل له نغما خاصا، وقدرات لا تتحقق في الشعر ولا في النثر، فلا تتحقق إلا في القرآن الكريم، تلك السمات هي:

١- توالى أكثر من مقطع من النوع (ص ح):

يتوالى أكثر من مقطع من النوع (ص ح) في الآيات القرآنية؛ في أكثر من كلمة، وليس في كلمة واحدة، حيث يتوالي المقطع (ص ح) في أكثر من كلمة، أي في كلمات متتالية؛ ولا يكون ذلك إلا في القرآن الكريم، وقد أشار إلى ذلك أد. رمضان عبد التواب في قوله: "وقد فطن كثير من قدامى اللغويين إلى اختلاف لغة الشعر؛ عن لغة النثر في بعض الأحيان؛ وهذا هو أبو العلاء المعرى مثلا، يقول (لا يزاد في المنظوم على جمع بين أربعة أحرف متحركة، فأما النثر فيجمع الناطق فيه بين متحركات كثيرة؛ لأنه يقدر أن يقول: ضرب وفعل وصنع... إلى أن ينقضي النفس. وأكثر ما اجتمع في كتاب الله عز وجل، من الحروف المتحركة ثمانية؛ وذلك في موضعين من سورة يوسف، أحدهما: قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾[1] فبين واو كوكب وياء رأيت، ثمانية أحرف كلهن متحرك. والموضع الآخر: قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيَ أَبِيَ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾[2] على قراءة من حرك الياء في: لي أبى. ومثل هذين الموضعين: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[3][1].

(١) يوسف: الآية٤

(٢) يوسف: الآية٨٠

(٣) القصص: الآية ٣٥

التحليل المقطعي للآيات:

١ـ [تُ أَحَدَ عَشَرَ كَ] ـ> تُ / أَ / حَ/ د َ/ عَ / شَ / رَ/كَ = ٨ مقاطع ص ح.

٢ـ [ذَنَ لِيَ أَبِيَ أَ] ـ> ذَ / نَ / لِ / يِ / أَ / بِ / يِ / أَ = ٨ مقاطع (ص ح).

٣ـ [دُ عَضُدَكَ بِأَخِ] ـ> دَ / عَ / ضُ/ دَ / كَ / بِ / أَ / خِ =٨ مقاطع (ص ح).

هذه الخاصية خاصة بالمقطع القرآني حيث توالي تلك الحركات تعني توالي ذلك العدد من المقاطع؛ مما أعطى القارئ القدرة على نطق مجموعة من المقاطع دفعة واحدة، وقد فعل هذا كثير من قُرَّاء القرآن ؛ فنجدهم يتبارون في ذلك حسب قدراتهم الشخصية على مد النفس لأكبر فترة زمنية والنطق بأكبر قدر من المقاطع المتماثلة المتوالية بمخزون هوائي واحد؛ كما قال أبو العلاء: إلى أن ينقضي النفس، فهذا القارئ مستمر في النطق بتلك المقاطع المتماثلة المتوالية بذلك الهواء المخزون في رئتيه، في تتابع لتلك الدفقات الهوائية المتتالية والمتماثلة الآتية من صدره، والحركات المتماثلة لقفصه الصدري، كل ذلك لأنه ينطق بثمانية مقاطع من النوع الأول متماثلة متوالية في أكثر من كلمة، فنتج عن ذلك نغم متماثل متكرر ثمان مرات متتالية وإيقاع منتظم. بل إن شيوخ القرَّاء يظهرون تلك القدرة الخاصة بهم وتميزهم عمن سواهم؛ بإشباع الحركة الأخيرة من الكلمة بتجل كبير، مع تخزين أكبر قدر ممكن من الهواء؛ لنطق أكبر عدد ممكن من المقاطع معا.

٢ـ أثر القراءات القرآنية على البناء المقطعي للكلمات:

يقول د. عبد الغفار هلال: "في بعض القراءات القرآنية تتداخل الكلمات بحيث تكوّن عددا متكاملا من المقاطع حال النطق بها، ولا يفصل بينها إلا معرفة المعنى. فإذا التقى المثلان متحركين جاز الإدغام في بعض القراءات ـ بإسكان الأول وإدغامه في الثاني ـ كما في قوله تعالى ﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ

==

(١) فصول فى فقه العربية: د.رمضان عبد التواب، الخانجي، ط١٩٩٩، ص١٦١. وانظر "الصاهل والشاحج" لأبي العلاء المعري تحقيق بنت الشاطئ، القاهرة١٩٧٥م، ص ٤٧٢

﴿ ﴾(٢٠)[1] ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾(٧)[2] ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾(١٩١)[3] ... ولو وازنا بين هذه القراءة، و قراءة الفك لوجدنا أن صورة المقاطع مختلفة، فهي مفتوحة "ب ب ـ ت ت ـ ث ث ". وهذا الذي يحدث في القراءات يجرى مثله في بعض كلمات اللغة"[4]

التحليل المقطعي للآيات السابقة:

يمكن تحليل التركيب المقطعي للكلمات التي وردت في الآيات السابقة، لبيان كيف تكونت المقاطع الجديدة من الكلمات المتتالية نتيجة الإدغام:

١. {لذهب بسمعهم} تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح/ص ح/ ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح ص /ص ح/ ص ح ص =٨ مقاطع، وتتحول بالإدغام إلى ـ> {لذهبِّسمعهم} فتصبح مقاطعها هكذا على التوالي: ص ح/ص ح /ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ص =٧ مقاطع .

٢. { الشّوكة تكون } تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح ص /ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح ص /ص ح =٧ مقاطع، وتتحول بالإدغام إلى ـ> { الشّوكتَّكون } تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح ص /ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص /ص ح = ٦ مقاطع.

٣. {حيث ثقفتموهم } تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح/ص ح ص/ ص ح /ص ح ح/ ص ح ص =٨ مقاطع، وتتحول بالإدغام إلى ـ> {حيثّقفتموهم } تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح /ص ح ح/ ص ح ص =٧ مقاطع.

---

(١) البقرة: الآية ٢٠

(٢) الأنفال: الآية ٧

(٣) البقرة: الآية ١٩١

(٤) أصوات اللغة العربية: د.عبدالغفارحامدهلال، مطبعة الجبلاوي ببولاق، ١٩٨٨ص٢٥٤

نلاحظ في الآيات السابقة (عند الإدغام):

١. تحولَ كبير في البناء المقطعي للكلمات من حيث عدد المقاطع ونوعها.

٢. وأن هذا القول يشير إلى خاصية أساسية في القرآن الكريم وهى التلاوة الدائمة له، هذا الأمر تَتْبَعُهُ طريقة معينة في النطق أو قل طريقة في الأداء تختلف عن غيره من أنواع القول المختلفة، فهو كنص مقدس يتمتع بإمكانيات خاصة منها:

أ ـ القراءة الدائمة آناء الليل وأطراف النهار: هذا الأمر يُظهر ما لدى القرَّاء المجيدين للقرآن من حسن الوصل والوقف عند القراءة، في إطار ما وضعه علماء القراءات القرآنية من قواعد تحكم ذلك العمل وتنظمه. وهذا جعل الدراسة المقطعية تقوم على أساس آخر؛ هو الاستعمال، فإن د. تمام حسان يقسم المقاطع حسب هذا المفهوم (الاستعمال) لنوعين في قوله: "هناك مقطع بحسب الأصل ومقطع بحسب الاستعمال... ونحن معنيون في هذه الدراسة بالمقاطع الاستعمالية لا التنظيمية لأن موضوعنا هو الإيقاع وهو ظاهرة استعمالية ... وليس مما يقع في اهتمام دراسة الإيقاع أن نتكلم عن المقطع ألتأصيلي المجرد تجريدا ذهنيا (مقطع الوصل) الذي لا يتحقق في الاستعمال.[1]

إن ما يعنيه د. تمام هو ما يفعله القرَّاء عند النطق الفعلي للمقاطع الصوتية عند قراءة القرآن الكريم (أي المقاطع في صورتها الاستعمالية) من وصل وفصل ووقف، وما يتبعه من تغيير في بناء المقاطع المختلفة، وانتقال للنبر؛ ولهذا فإن الدراسة التطبيقية لابد أن تكون على نص قرآني كريم مسموع على شيخ من شيوخ القراء المجيدين.

القراءات المختلفة للقرآن:

هذه القراءات تحمل خصائص صوتية في البناء المقطعي لها، فرضت على الناطقين بها طريقة معينة في بناء المقاطع التي ينطقون بها، وهو أمر يرجع إلى الطبيعة الصوتية لهذه القبيلة أو تلك اللهجة التي تعود إليها هذه القراءة القرآنية،

---

(١) البيان فى روائع القرآن: ٢٥٨ ـ ٢٦١

بما يُعرف باللكنة الخاصة بهذا المجتمع اللغوي، هذا ما يعنيه د. هلال من تحول في البناء المقطعي للكلمات بقوله: جاز الإدغام في بعض القراءات.

هذا الأمر يحدث أيضا في كلام الناس من تغيير في بناء مقاطع كلامهم تحت تأثير عادة كلامية معينة لديهم تمثل اللهجة الخاصة بهم.

الفصل الثالث

ثانياً: النبـر

١. ما النبر؟

" قدم العلماء تعريفات عديدة للنبر منها: أنه عبارة عن البروز الذي يعطي لمقطع واحد داخل ما تشكل الوحدة البروزية التي تتطابق في معظم اللغات وهي ما تسمى الكلمة[(١)].

وهو عند د. إبراهيم أنيس" عبارة عن نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد، حيث تنشط عضلات الرئتين عند النطق بمقطع منبور نشاطاً كبيراً، ما تقوى حركات الوترين الصوتيين وتقتربان أحدهما من الأخرى، ليسمحا بتسرب أقل قدر من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات، ويترتب عليه أن يصبح الصوت عاليا واضحا في السمع، هذا في حالة الأصوات المجهورة، أما في حالة الأصوات المهموسة؛ فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما من الصوت المهموس غير المنبور، وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء، كما نلاحظ.

---

(1) A.martient: Elements of general Linguisties, P,: 100,

أيضا - مع الصوت المنبور نشاطا في أعضاء النطق الأخرى، كأقصى الحنك واللسان والشفتين[١].

ويزيد د. تمام حسان الأمر وضوحا بقوله: "إن الصوت الذي يتم عنده الانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى يتطلب قدرا من الضغط على الحجاب الحاجز على الرئتين يزداد به مقدار النفس المطلوب لإحداث الصوت، فعندما يسلط هذا القدر الزائد على الأوتار الصوتية يعلو الصوت عما جاوره؛ فيحظى في السمع بوضوح أكبر من وضوح ما يحيط به من الأصوات. هذا الوضوح النسبي يسمى النبر"[٢]

٢. العلاقة بين المقطع والنبر:

إن النبر على ذلك يقتضي طاقة زائدة أو جهدا عضليا على المقطع المنبور، وهنا تبدو العلاقة بين النبر والمقطع، فلا نبر بدون مقطع ينشأ عليه. يقول د. أحمد كشك: "ولأن النبر قرين المقطع فإن توضيحا له يصبح أمرا لازما في هذا الشأن"[٣] وهذا ما جعلني أقدم دراسة المقطع على دراسة النبر، حيث المقطع هو الأساس الذي يتكوّن عليه النبر، فلا بد أن نفهم المقطع أولا.

يقول د. تمام حسان مؤكداً قيمة سبق دراسة المقطع على دراسة النبر: (الآن نبدأ في شرح نظام النبر الذي لا يمكن شرحه إلا بمعونة البنية المقطعية في نظام الصرف من جهة وفي الكلام العربي من جهة... ويحسن في دراسة نبر الأبنية على نظام الصيغ، وأن نعدل عن ذلك إلى بنائه على ترتيب المقاطع في الصيغ لأن عدد المقاطع، وهي ستة أقل بكثير جدا من عدد الصيغ الصرفية فيؤدي استعمال المقاطع في تحديد قواعد النبر إلى أن يكون عدد القواعد قليلا، وأن يكون الكلام فيها مختصراً[٤].

---

(١) الأصوات اللغوية: ١٦٢

(٢) البيان فى روائع القرآن: ٢٦٢

(٣) من وظائف الصوت اللغوي: ١١٦.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٧١.

نتيجة العلاقة بين النبر والمقطع:

إن ثمرة العلاقة بين النبر والمقطع هي أساس تكوين الإيقاع، فالمدخل إلى دراسة الإيقاع لا يكون إلا من خلال معرفة المقاطع اللغوية العربية مختلفة الكميات، وما يتصل بذلك من قواعد النثر في الكلام، ويقول د. تمام حسان (إن النبر في السياق ربما يختلف عن النبر في الإفراد؛ فتحكمه مطالب أخرى هي مطالب الإيقاع في السياق المتصل) [(١)]

فالإيقاع في حقيقة أمره يتكون من التناسق الحادث بين مقاطع الكلمات، والنبر المتنوع المصاحب لهذه المقاطع، ولهذا عند البحث عن سر إيقاع عبارة أو سياق محدد لابد من معرفة مقاطع هذا السياق، ومواضع النبر فيه، (فإذا تأملنا النص المتصل (السياق) لاحظنا أنه يشتمل على كلمات تختلف طولا وقصرا بين أن تكون على حرف واحد كباء الجر و لامه، وبين أن يكون على عدد أكبر، حتى أن الكلمة قد تكون فعلا من ستة أحرف أسند إلى ضمير متصل ذي حرفين نحو "يستخرجون" و "يستغفرون"، فإذا عطف هذا الفعل بالفاء زاد على حروفه حرفا نحو " فيستغفرون " بل قد يزيد عدد الحروف على ذلك كما في (فسيكفيكهم)، إذ تحف باللفظ عناصر الزيادة...: فإذا علمنا أن هذه العناصر التركيبية الجامدة. كالحروف والضمائر قد تقل حروفها حتى لا تصلح للإفراد، أدركنا أنها قلما يصدق عليها ما تقدم إيضاحه من نبر الكلمة المفردة، ولكنها مع جزء من السياق لا يمكن تجاهلها في الاستعمال، أي عند الأداء الفعلي للكلام.

وهكذا نجد تدخل هذه العناصر في مجرى السياق يفرض على السياق توزيعا جديدا للنبر؛ يقسم أصوات السياق إلى دفعات، كل دفعة منها بوزن كلمة عربية حتى إن امتدت هذه الدفعة على نهاية الكلمة وبداية ما بعدها، فمزجت نهاية السابقة وبداية اللاحقة في خفقة واحدة من خفقات النفس عند التكلم - إن توالي هذه الدفعات أو الخفقات غير المرتبطة بحدود الكلمات المفردة بدءا ونهاية هو ما نعرفه باسم الإيقاع في الكلام)[(٢)]

---

(١) البيان في روائع القرآن ٢٦٦

(٢) البيان فى روائع القرآن: ٢٦٦

إذن هذا الإيقاع يتكون من تغيير نسق المقاطع، وتنوع النبر في السياق مما ينتج عنه هذا الإيقاع الخاص بالسياق، فهو نتيجة التفاعل بين النبر والمقطع. وهو ما قال به ابركرومبى "يمتلك الكلام الإنساني جميعه إيقاعا، ويظهر هذا بوضوح أثناء تلك اللحظات التي ينطق فيها الكلام، ولا يُعْتَرض. والإيقاع في الكلام ... ناشئ عن التكرار المنتظم لنوع ما من الحركات تكرارا محدثا توقعا باستمرار اطراد نوعه. والحركات المرتبطة بإيقاع الكلام هي حركات العمليتين للنبر والمقطع، المكونتين معا ميكانيكية تيار الهواء الرئوية، فإيقاع الكلام أساسا إيقاع عضلي، والعضلات المرتبطة به هي عضلات التنفس"[١].

٣. تغيير موضع النبر (انتقال النبر):

يشير جونز إلى تغير موضع النبر: (إن المقطع المنبور بقوة، ينطقه المتكلم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له في الكلام أو الجملة، فالنبر إذن نشاط ذاتي للمتكلم ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع المناسبة بالنسبة لما يحيط به[٢]، وهذه العبارة الأخيرة لجونز (هو نشاط ذاتي للمتكلم) توضح مدى ارتباط النبر بالمتكلم؛ وليس باللغة "كفونيم فوق تركيبي" حيث يتحكم النشاط الذاتي للمتكلم في النبر، وليست قواعد اللغة، وهذا النشاط الذاتي للمتكلم يرتبط بالطبيعة المزاجية للمتكلم؛ ومن هنا يأتي الاختلاف في موضع النبر في كثير من الكلمات، حيث ينبرها المتكلم أو لا ينبرها؛ متأثراً بتلك الحالة المزاجية له في لحظة النطق بالكلمة نتيجة لانفعال ما أو لطبيعة الشخص نفسه أو للعادة الكلامية لجماعته اللغوية.

ويضيف د. تمام حسان سببا آخر لتغيير موضع النبر، هو تغيير بنية الكلمة بقوله: "حاول أن تنطق الصيغ الصرفية التالية، ثم لاحظ الاختلاف بينها من حيث موقع الوضوح السمعي: فعِل - فاعِل - فعيل... فالنبر في الصيغتين الأوليين على المقطع الأول وفى الثالثة على المقطع الثاني. فإذا ثنيت فقلت: فعلان وفاعلان

(١) مبادئ علم الأصوات العام: ١٤٧

(2) D; JONES: The phoneme, Its Nature and use, p. 134,

وفعيلان؛ انتقل النبر في جميع ذلك إلى المقطع الأخير (أي إلى ألف التثنية) مما يدل على أن موقع النبر في الكلمات تخضع للتبديل بحسب التجريد والزيادة واختلاف البنية المقطعية للكلمة." (١)

وهو ما قال به د. إبراهيم أنيس تحت اسم "انتقال النبر": (قد يطرأ على الكلمة من الأحكام اللغوية ما يستوجب انتقال النبر من موضعه إلى مقطع قبله، أو آخر بعده من الكلمة. فاشتقاق كلمة من أخرى قد يؤدى إلى تغير موضع النبر. فالفعل الماضي (كتب) يحمل النبر على المقطع (ك) فإذا جئنا بالمضارع (يكتب) لاحظنا أن النبر قد انتقل إلى المقطع الذي يليه وهو (تُـ)...

"وقد يطرأ على الكلمة من العوامل اللغوية ما يستوجب أيضا انتقال النبر من موضعه، ويلاحظ بصفة خاصة مع أدوات الجزم. فالنبر في الفعل (يكتب) على المقطع (تُـ)؛ فإذا جزم الفعل انتقل النبر إلى المقطع الذي قبله وهو (يَكْ)...

"كذلك نلحظ انتقال النبر حين يسند الفعل إلى الضمائر، أو حين يتصل بالكلمة ضمائر النصب أو الجر؛ على شريطة أن يغير كل هذا من نسج الكلمة الأصلية ..." (٢)

٤. الأثر السمعي للنبر:

ومن خلال تعريف النبر يصل د. تمام حسان إلى الأثر السمعي للنبر قائلا: والنبر بحكم التعريف ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها، ومادام النبر بحسب هذا التعريف وضوحاً سمعيا، فإن نسبته إلى الكلمات والصيغ خارج السياق نسبة إلى نظام الصرف اقتضاها التحليل، حيث لا يمكن ادعاء وضوح سمعي في كلمات وصيغ صامتة، ومرجع هذا الوضوح السمعي إلى عنصرين يرتبط أحدهما بظاهرة علو الصوت وانخفاضه، وهي ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء؛

(١) البيان فى روائع القرآن: ٢٦٢

(٢) الأصوات اللغوية: ١٧٦

فيؤدي زيادة كمية الهواء إلى ارتفاع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية، فيكوّن من ذلك علو الصوت، ويرتبط العنصر الآخر بتوتر التماس بين أعضاء النطق في مخرج الصوت، وبعبارة أخرى يأتي النبر من التوتر والعلو في الصوت اللذين يتصف بهما موقع معين من مواقع الكلام(١).

٥. وظائف النبر:

تختلف اللغات في استخدام النبر في التفريق بين المعاني، ومن ثم فالنبر ليس فونيماً في كل اللغات التي تستخدمه، وتسمى تلك اللغات باللغة النبرية، وتتميز اللغات النبرية بأنها ثبت النبر في مكان معين على المقطع الأول أو الأخير، أما اللغات التي تستخدم النبر كفونيم، فيكون موضع النبر فيها حراً، ويستخدم حينئذ للتفريق بين المعاني، أو الصيغ عن طريق تغيير مكانه، ويستخدم النبر أيضا في وظيفة تشترك فيها كل اللغات النبرية وغير النبرية، وهي الدلالة على معان إضافية، كالتأكيد ويسمى حينئذ Emphatic أو الانفعالية، ويسمى حينئذ Emotional Stress وهذا النوع الأخير هو ما أشارت إليه عند تعريف النبر: بأنه نشاط ذاتي للمتكلم تتحكم فيه طبيعة هذا الشخص؛ وما هو فيه لحظة كلامه من حالة مزاجية انفعالية تُظهر وظائف النبر في كلامه.

وإلى جانب ذلك يرى أندرية مارتينية أن للنبر وظيفة تباينية، أي أنه يساعد الكلمة أو الوحدة المنبورة بأن تتباين مع الوحدات الأخرى، من النوع ذاته الموجود في الكلام، وذلك فإنه يوجد في اللغة الواحدة نبر واحد لا نبران، وإذا وقع النبر في إحدى اللغات – دائما - على المقطع الأخير منها، كان التباين كاملا كأن الكلمة في هذه الحالة مختلفة اختلافا بينا وواضحا عما سبقها أو يتلوها(٢). ومثل هذا النوع من اللغات يتضح من خلال النبر الرتم الذي تسير عليه تلك اللغات وتميزها عن غيرها؛ فتحديد النبر في آخر مقطع في الكلمة والثبات عليه، وهو رتم خاص بهذه اللغة وصفة مميزة لها.

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٧١

(٢) مبادئ اللسانيات العامة ص ٨٦ـ لأندرية مارتينية ت د. أحمد الحمو، دمشق ١٩٨٥

بل إن أندرية يميل إلى إعطاء النبر قيمة تمييزية حتى في حالة اللغات التي لا يتم فيها تحديد موضع النبر، حيث لا يعرف المرء فيها مكاناً ثابتاً للنبر، وأي المقاطع ينبغي نبره، حيث يقدم أمثلة من اللغات الأسبانية والإنجليزية تبين من خلالها وظيفة النبر التمييزية، وأنها الوظيفة الأساسية للنبر في جميع اللغات التي يؤدي فيها النبر وظيفة لغوية، وأنه ليس للنبر وظيفة تقابلية، لكنه يذكر أن هذه الوظيفة التمييزية (التباينية) قد تطمس بعض الشيء في اللغات التي لا يمكن فيها تعيين موضوع النبر مسبقاً، لأن السامع يتعرف على الكلمة أو لا، بالنظر إلى القمة التي يرسمها النبر [(١)].

وهذه القمة التي يرسمها النبر والتي تمكّن السامع من التعرف على الكلمة تبين القيمة الصوتية اللغوية لهذا النبر من خلال ما يصنع من قمم وأودية يتبين ـ من خلال المقابلة بينها ـ نوع هذه الكلمة المنطوقة والتعرف عليها، ويؤكد هذه الوظيفة التمايزية للنبر د. تمام حسان بقوله: ومن هنا يكون النبر على مستوى الصيغة والكلمة ذا وظيفة صرفية، هي تقديم القيم الخلافية التي تفرق مع الكمية بين معنى صرفي ومعنى صرفي آخر، ويمكن بواسطتها مثلا أن نفرق بين طوائف من الصيغ مثل (فعل - فُعل - فاعل - فعيل) حيث يفرق بين الكلمات الأربع بالكمية، وبين الثلاث الأولى وبين الرابعة بالنبر، فيقع النبر في الكلمات الثلاث الأولى على المقطع الأول، وفى الرابعة على الثاني[(٢)]

إن وظيفة النبر هي جوهر هذه الدراسة، فهي تسعى لبيان عمل النبر في الآيات، حيث تحمِّلُها معان إضافية، يمكن أن نجمع تلك المعاني في مبحث مستقل؛ يتناول المعاني التي نستخلصها من عمل النبر في الآيات، مما يجعل للنص القرآني كنص مقروء منطوق دلالات يعجز أي نص مكتوب أن يحملها، كمعنى الاستفهام والتعجب والتقرير والاعتراض والرفض والتأسف والحزن والفرح لا يمكن أن نفهمها من النص القرآني ولا من غيره إذا كان مكتوبا، أما إذا قُرئ

(١) مبادئ اللسانيات العامة ص ٨٦

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ١٧١

هذا النص فإن سيلا من المعاني ينهال علينا، لهذا كان أمر الله إلينا صريحا واضحا متضمنا هذه القضية؛ وهى تناول النص القرآني منطوقا مقروءا، والانتباه له في هذه الحالة؛ ليسبح السامع مع فيض المعاني الإضافية التي تصل إلى ذهنه عندما يسمع النص القرآني من القارئ فقال تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] أي إذا سمعتم القرآن نصا منطوقا فعليكم الإنصات له، ومتابعة القارئ في نطقه له، وما ينقله لكم من معان إضافية من خلال الاستماع له بانتباه تام؛ فالقراءة مع التدبر بالإنصات تؤدى إلى استحضار المعاني الإضافية للنص.

يمكن توضيح ذلك من خلال استحضار بعض المعاني التي وردت في "الواقعة" التي أبرزها النبر، مع بيان المعاني الأساسية والإضافية كالاستفهام:

١. الاستفهام + الاستنكار + وتوجيه الاتهام لهم بالكذب (أأنتم تخلقونه...الآية).

٢. الاستفهام+ التقرير+ تأكيد رؤيتهم للشيء الذي يسأل عنه (أفرأيتم ما تمنون)

٣. الاستفهام + التعظيم لمكانة الشيء (ما أصحاب الميمنة / ما أصحاب اليمين).

٤. الاستفهام + التحقير + التقليل من مكانة الشيء (ما أصحاب الشمال).

٥. الاستفهام + الاستنكار + التعجب من فعلهم (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون).

هذا نموذج لمعنى أساسي واحد (الاستفهام) وما يمكن أن يحمله معه من معان إضافية يظهرها النبر على بعض المقاطع، كما سنرى في هذه الدراسة.

٦. أنواع النبر:

١- النبر الرئيسي (الأولي). ٢- النبر الثانوي. ٣. نبر السياق.

النبر الأولي أو الرئيسي: يكون بالكلمات والصيغ جميعا لا يخلو منه واحدة.

النبر الثانوي: يكون في الكلمة، أو الصيغة الطويلة نسبيا، بحيث يمكن لهذه الكلمة أن تبدو للأذن كما لو كانت كلمتين، أو بعبارة أكثر دقة عندما تشتمل الكلمة على عدد من المقاطع يمكن أن يتكون منه وزن الكلمتين عربيتين، فكلمة (مستحيل) مثلا يمكن في مقاطعها أن نكون وزن كلمتين عربيتين هما (بعد. ميل) ومن ثم تشتمل على نبر أولي على المقطع الأخير، ونبر ثانوي على المقطع

الأول منها ، ويبقى المقطع الأوسط، وهو ما يقابل الدال المفتوحة دون نبر[١]

ولكل من النبر الأولى والثانوي قيمة صوتية في إحداث توازن في الإيقاع داخل الكلمات الطويلة نسبيا؛ لأن المتكلم عندما ينطق بهذه الكلمة يشعر أنه يُحْدِثُ ضغطتين في داخل كلمة واحدة؛ إحداهما أقوى من الثانية، نظرا لطول الكلمة وحاجة المتكلم إلى التزود بالهواء أثناء النطق بها، وهذا ما يسبب هاتين الضغطتين، فالنبر الثانوي يأتي قبل النبر الأولى الذي يكون غالبا من النوع (ص ح ح ص) وهو مقطع طويل يحتاج إلى هواء أكثر عند النطق به؛ فيأتي النبر الثانوي الذي يسبق النبر الأولى ليساعد على النطق بالنبر الأولى؛ بإعداد الجهاز النطقي للنطق بالنبر الأولى بضغطة خفيفة تسبقه، وتُعِدُّ له؛ بتخزين هواء أكبر في الرئتين بعد أن أُفرِغ ما بها من هواء عند النطق بالنبر الثانوي.

هذا التنوع في الطاقة المبذولة في النطق بالنبرين يؤدى إلى اختلاف في نوع الإيقاع الناتج عنهما، ولهذا كان علينا تحديد موضع النبرين في الآيات، وقد أشار د.تمام حسان إلى هذا بقوله: " لكل منهما قواعد خاصة به التي تنسجم مع وظيفة الإيقاع في حدود الصيغة أو الكلمة"[٢] هذه القواعد تحدد موقع النبرين داخل الصيغة أو الكلمة، لإحداث هذا الإيقاع الموزون داخل الكلمة أو الصيغة الذي لا يظهر إلا في السياق المتصل (أي بداخل الآية كلها، وكذلك عند المقابلة بين آيتين متتاليتين متماثلتين في المقاطع وموضع نبرين فيهما) .

٧. مواضع النبر وقواعده في اللغة العربية:

يمكننا أن نقسم النبر في اللغة العربية إلى نوعين رئيسيين:

أولا: نبر الكلمة أو الصيغة الصرفية.

ثانيا: نبر الجملة أو السياق الكلامي.

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١٧٢

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ١٧٢

أولا: نبر الكلمة (النبر الصرفي)

" إن نبر الكلمة أو الصيغة الصرفية المفردة، هو نبر صامت، صمت القاعدة نفسها، وصمت اللغة كذلك. وهذا النوع من النبر إنما يمثل مقررات القاعدة، و لا علاقة بينه وبين متطلبات السياق." (١)

قامت اللغة العربية بصب أبنيتها ومفرداتها في صيغ صرفية مكنت العلماء من تصنيفها وتقسيمها في أقسام وأوزان صرفية، كانت الوعاء المناسب لصب الصيغة واحتوائها،" واللغة العربية بهذه الميزة قد امتلكت الوسيلة التي تمكن العلماء من تحديد مواضع النبر على صيغها وأوزانها، بل إنها كما يبدو تتميز عن لغات أخرى عديدة توصف بأنها لغات نبرية في هذا التحديد الصرفي.

"ويصبح النبر حينئذ على مستوى الصيغة الصرفية أو الكلمة ذا قيمة صرفية، تتمثل في تقديم القيم الخلافية؛ التي تفرق بين معنى صرفي ومعنى آخر، ويمكن بواسطة النبر أن نفرق بين طوائف من الصيغ مثل: فَعِل فعَّل فاعل فعيل، حيث يفرق بين الكلمات الأربع بالكمية وبين الثلاثة الأولى، وبين الرابعة بالنبر؛ حيث يقع النبر في الكلمات الثلاث الأولى على المقطع الأول، في حين يقع النبر في الكلمة الرابعة على المقطع الثاني"(٢)

ويمكننا اعتماد النظام المقطعي في اللغة العربية أساسا لتحديد مواضع النبر فيها، فإننا قبل أن نوضح القانون الأساسي الذي يحكم مواضع النبر على مقاطع الكلمة، ينبغي أن نُذكِّر بأن نبر الكلمة أو الصيغة، يمكن أن يقسم بحسب الشدة والقوة إلى نوعين اثنين:

أولا: النبر الرئيسي (الأولى) ويرمز له بالرمز (ˋ) فوق قمة المقطع أو زروته، أي فوق الحركات قصيرة كانت أم طويلة.

ثانيا: النبر الثانوي: ويرمز له بالرمز (ˊ) فوق قمة المقطع أو زروته، أي فوق الحركات قصيرة كانت أم طويلة كذلك(٣).

---

(١) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث: ١٧٨

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ١٧٢.

(٣) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث: ١٧٨.

أولا: مواضع النبر الأولى أو الرئيسي:

ندرس هنا عملية تحديد موضع النبر الأولى؛ لما لها من أهمية كبيرة في تحديد ملامح النغم الخفي الصادر من الآية القرآنية، باعتبار النبر أحد أعضاء تلك المنظومة التي تصنع ملامح هذا النغم الخفي الذي نحاول استجلاء أمره، فالنبر يعطى دلالات مختلفة للكلمة، وتغيير موضعه يغير في تلك الدلالات، إلى جانب تأثيره في هذا النغم الخفي الموجود في الآيات، الذي يظهر من خلال المقابلة بين مواضع النبر في فواصل آيات المجموعة، وكذلك المقابلة بين كلمات الآية الواحدة، والمقابلة بين مواضع النبر في الآيات المتتالية في المجموعة الواحدة، والمتماثلة في عدد المقاطع ونوعها، كما في سورة الواقعة:

أ - (فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾)

ب - ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

ج - ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾

د - ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾

فنحن نسمع نغما خفيا، وإيقاعا منتظما، وتناسقا صوتيا عجيبا يصدر عن تلك الآيات، اشتركت في صنعه مجموعة من العناصر الصوتية المختلفة التي من بينها ذلك الضغط الذي نجده على بعض مقاطع الكلمة دون غيرها.

يرى د. تمام حسان أن للنبر في العربية قواعد مطردة، بل إن أطرادها ربما كان أثبت من أطراد قواعد النحو[١] ويرى أن هناك نوعين من النبر هما:

أ - نبر القاعدة أو نبر النظام الصرفي الذي نسبناه إلى صيغة الصرفية المفردة، والكلمة التي على مثال هذه الصيغة، وهذا النبر صامت.

ب- نبر الاستعمال أو نبر الكلام والجمل المنطوقة، ولهذا النبر أثر سمعي يرجع إلى أسباب عضوية محددة.[٢]

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١٧٢

(٢) المرجع السابق: ١٧٢

وهذا النوع الثاني هو ما يمكن ملاحظته في الكلام المتصل، خصوصا عند قراءة القرآن، حتى أن د. إبراهيم أنيس عندما أراد تحديد موضع النبر في اللغة العربية لجأ للقرَّاء المشهورين لهذا السبب، ثم حدد موضع النبر على أساس ذلك، بقوله: "ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية، كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى، ... أما كما ينطق بها القرَّاء الآن في مصر، فلها قانون تخضع له ولا تكاد تشذ عنه، ويمكن أن يلخص هذا القانون في أنه لمعرفة موضع النبر من الكلمة العربية، يجب أن نبدأ أولا بالنظر للمقطع الأخير:

أ - فإذا وجدناه من النوع الرابع ص ح ح ص المديد المغلق، أو النوع الخامس ص ح ص ص. الزائد في الطول المغلق، فهو المقطع الذي يحمل النبر، ولا يكون هذا إلا في الوقف، فالنبر في الكلمة العربية لا يكون على المقطع الأخير إلا في حالة الوقف، وحين يكون المقطع الأخير من النوع الرابع أو الخامس ... ففي الوقف على نستعين في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] أو على المستقر في قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ [القيامة: ١٢] نجد النبر على المقطعين (عين) و (قر).

التحليل المقطعي:

١. موضع النبر في نستعين على المقطع الشديد المغلق: نَسْتَ + تَ+ (عينْ).

ص ح ص + ص ح + (ص ح ح ص).

٢. وكذلك في مستقر على المقطع الشديد المغلق: مَسْ + تَ + (قرّ).

ص ح ص + ص ح + (ص ح ص ص).

ب- أما إذا كانت الكلمة غير منتهية بهذين النوعين من المقاطع، كان النبر على المقطع الذي قبل الأخير بشرط ألا يكون هذا المقطع من النوع الأول ومسبوقا بمثله من النوع الأول أيضا.

"وموضع النبر في الكثرة الغالبة من الكلمات العربية هو المقطع الذي قبل الأخير مثل استفهم أو ينادي أو قاتل أو يكتب، ففي المثالين الأخيرين رغم أن المقطع الذي قبل الأخير من النوع الأول لم يسبق بمقطع مثله من النوع الأول.

تحليل بعض الأمثلة:

أ - " يكتب " تركيبها المقطعي هكذا : يَكْ + تُ + بُ .

ص ح ص + (ص ح ‘) + ص ح.

فالمقطع تُ= ص ح ‘ هو المقطع قبل الأخير عندما نعد من الآخر، وهو المقطع المنبور(نبرا قويا).

ب - "كتب" : كَ + تَ + بَ .

: ص ح ‘ + ص ح +ص ح .

فالمقطع كَ ُ= ص‘ح هو المقطع الثالث عندما نعد من الآخر، وهو المقطع المنبور(نبرا قويا).

ج - "بلحة" : بَ + لَ + حَ + تُن .

ص ح‘+ ص ح + ص ح + ص ح ص.

المقطع الأخير هو المنبور بَ = ص ح ‘ لأنه الرابع عندما نعد من الآخر.

ج- أما في الفعل الماضي الثلاثي مثل: (**كتب وفرح وصعب**) فالنبر يكون على المقطع الثالث حين تعد المقاطع من آخر الكلمة أي على (ك - ف - ص)...

د - وهناك موضع رابع للنبر العربي، وإن كان نادرا، وهو حين تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير في الكلمة من النوع الأول مثل (بلحة - عربة - حركة) ففي هذه الحالة يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد مقاطع الكلمة من الآخر أي على (ب - ع - ح) [(١)].

وقد اعتبر د. تمام حسان هذا كله داخلا في إطار ما سماه بنبر الكلمة المفردة، وذكر أن هناك نوع آخر من النبر هو نبر السياق أو الاستعمال اللغوي فقال: " حين تتجاور الكلمات في السياق اللغوي تنشأ من تجاورها ظروف جديدة تفرض على النبر أن يقع في مواقع من الكلمات لم تكن له في حالة الإفراد.

---

(١) الأصوات اللغوية: ١٧١ - ١٧٢

وهذه الظروف الجديدة هي مقتضيات الإيقاع الذي ينسب إلى السياق ولا ينسب إلى المفردات"[(١)]

هذا القول يشير إلى قضية هامة، وهى تغيير موضع النبر، وهذا يجعلنا نخالف ما ذكره هو من قواعد معرفة موضع النبر في الكلمة؛ لنبحث عن قواعد أوجدها السياق اللغوي، وساهم في صنعها المتكلم، وكذلك دور القارئ المجيد للقرآن الكريم الذي يصنع بمهارته الكبيرة وخبرته وفهمه للنص القرآني مواضع جديدة للنبر تربط كل هذه الأشياء مع معنى النص، إلى جانب استحضاره إدراكه الخاص لتلك المعاني؛ فنجده يضغط على مقاطع معينة من الكلمة محدثا نبر السياق، ونجده في مقاطع أخرى يتعجل في نطقها دون ضغط يذكر على الكلمة، لإبراز أو إخفاء بعض معاني الكلمة المختلفة التي فهمها هو من النص؛ ويريد أن يوصلها إلى سامعه، فيستحضرها كل من القارئ والسامع، فتصطدم بمناطق الإدراك المشتركة بينهما؛ فيستتبع ذلك ردة فعل واحدة لديهما؛ تظهر في شكل صيحات تهليل وتكبير لله تعالى، نتيجة ما وصل إلى السامع من خلال تلك النبرات المختلفة التي التحمت مع المعاني الثابتة في النص، فكان هذا التعظيم والتمجيد لعظمة النص وما حواه من معان مختلفة، وبراعة القارئ في توصيلها.

ويضيف د. عبد الصبور شاهين ملاحظة قيِّمة على طبيعة النبر في اختياره للمقطع حين يفضل المقطع الأخير حين يكون من النوع الرابع والخامس والسادس، حيث يختار هذا المقطع ليرتكز عليه، فإن النبر (يرتكز على مساحة هذه المجموعة في الوقف أصلا لأن المقطع المنبور يمثل قمة في المجموعة، على حين يمثل بقية المقاطع الواقعة بعده القاعدة التي تحمل القمة، بل إن النبر يرتكز أساسا على الحركة التي هي (نواة) في المقطع حين ينفرد بالنبر آخر الكلمة، فإذا تحملت الحركة النبر بقي من عناصر المقطع ما يكفي لاستيفاء حق الوقف اعتمادا عليه، وحين يتكرر المقطع المديد في الكلمة استثناء مثل الضالِّين، فإن الكلمة تتحمل نبرين متتابعين على المقطعين المديدين: ضال / لين، وهو أمر يظهر لدي قرَّاء

---

(١) البيان فى روائع القرآن: ٢٦٤

القرآن فيما يسمونه بالمد اللازم المثقل.

وكذلك إذا ما وقفنا على مقطع من النوع السادس (المتمادي) (التقاص) فإن مساحته البنيوية تسمح للنبر أن يتم على الحركة(النواة) قبل أن يتلاشى الصوت في الوقف، اعتمادا على بقية المقطع، بل إن هذا هو شأن هذا المقطع في حالة الوصل أيضا، لكنه يتحول إلى مقطع مديد من النوع الرابع متبوع بمقطع قصير[1].

هذا ما لاحظته في نهاية أغلب آيات سورة الواقعة (كما سنرى عند تحليلنا لآيات السورة) من وجود مقطع مديد (ص ح ح ص) في نهاية أغلب آيات السورة؛ مما يتيح للنبر أن يوجد عليه؛ فهو يتكرر بكثرة في فواصل السورة؛ فيُحْدث نغما خاصا بها يتكرر مع نهاية كل آية كما سنرى، وهذا ما لاحظه بروكلمان عندما قال (في اللغة العربية القديمة، يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده، فإن لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول منها) [2]. وكأن النبر يبحث عن ركيزة ينطلق منها كما ذكر د. عبد الصبور شاهين، وهي في الآيات تكون في نهاية الفاصلة (غالبا) لتكوّن مع الفاصلة التالية لها نغما موسيقيا متناسقا متكررا مع نهاية كل آية، ويظهر هذا في الفواصل التي تنتهي بالمقطع الرابع[3]. إذن نحن في حاجة لمعرفة موضع النبر في الآيات.

ثانيا: مواضع النبر الثانوي:

حدد د. تمام مواضع النبر الثانوي بقوله: وكما احتسبنا النبر الأولى من نهاية الكلمة متجهين بقواعد صوب بدايتها سيكون حسابنا للنبر الثانوي من النقطة التي وقع عليها النبر الأولى متجهين الاتجاه نفسه إلى بداية الكلمة في اتجاه

---

(١) علم الأصوات ٢٠٣

(٢) فقه اللغات السامية بروكلمان، تر د.رمضان عبد التواب.مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٧

(٣) عدد المقطع الرابع(٧٨) وعدد آيات السورة(٩٦) بأكثر من ٨٠٪ من آيات السورة.

معاكس لمجرى ترتيب الكلمة في الحالتين[١]. وفيما يلي قواعد النبر الثانوي:

القاعدة الأولى:

"يقع النبر الثانوي على المقطع الذي قبل المقطع المنبور نبرا رئيسيا، إذا كان المقطع الثانوي طويلا من النوع الرابع: ص ح ح ص، ومثال ذلك كلمة ضالين: تتألف من مقطعين هكذا:

ص ح حʼ ص + ص ح حʻص .حيث يقع النبر الرئيسي على المقطع الأخير: لين = ص ح ح ص، في حين يقع النبر الثانوي على المقطع: ضال =ص ح ح ص..." [٢].

القاعدة الثانية:

"يقع النبر الثانوي على المقطع الذي بينه وبين المقطع المنبور نبرا رئيسيا مقطع آخر،إذا كان المقطع الثانوي المنبور، يكوّن مع الذي يفصل بينه وبين المقطع المنبور نبرا رئيسيا أحد الأنساق الآتية:

أ) مقطع طويل + مقطع طويل ، ومثال ذلك:

كلمة: علمناه، تتألف من: ص حʼ ص+ ص ح ص+ ص ح حʻ ص.

كلمة: مستبقين: تتألف من: ص حʼ ص+ ص ح ص+ ص ح حʻ ص...

ب) مقطع طويل + مقطع قصير: ومثال ذلك:

كلمة: مستقيم ، تتألف من: ص حʼ ص + ص ح + ص ح حʻ ص." [٣]

القاعدة الثالثة:

" يقع النبر الثانوي على المقطع قبل المنبور نبرا رئيسيا، إذا كانت المقاطع الثلاثة السابقة لهذا المقطع المنبور نبرا رئيسيا تكون نسقا في صورة:

مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع قصير أو مقطع طويل. مثال ذلك:

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٧٤

(٢) الدرسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث: ١٨٦، مناهج البحث فى اللغة: ١٩٦

(٣) المرجع السابق: ١٨٦

كلمة: مستجمين تتألف من: ص ح ُ ص+ ص ح+ ص ح ص+ ص ح ح ُ ص
كلمة: يستفيدون تتألف من: ص ح ُ ص+ص ح+ص ح ح+ص ح ح ُ ص"[١]

٨ـ القيمة الصوتية والدلالية للنبر في اللغة العربية:

يؤثر النبر "تأثيرات هامة على المستوى الصيغة الصرفية من جهة، وعلى مستوى السياق اللغوي والجملة والتراكيب اللغوية على اختلاف صورها من ناحية أخرى. وتتنوع تأثيرات النبر وقيمه على كافة مستويات اللغة، سواء على المستوى الصوتي أو المقطعي؛ حيث يؤثر النبر على أنماط التراكيب المقطعية، فيحدث لبعض المقاطع تقصير أو تطويل، وقد يحدث لبعضها إغلاق أو انفتاح، وقد يحدث اندماج بين مقطعين أو أكثر، أو تفريق وتكثير لمقطع واحد[٢].

أولا: القيمة الصوتية:

إن القيمة الصوتية التي يصنعها النبر الثانوي مع الأوليِّ تسهم في تكوين الإيقاع الخاص بالآيات إلى جانب عناصر صوتية أخرى، فنسمع هذا النغم الخفي الصادر من الآيات. ويمكن تحديد موضع النبرين في الآيات للتعرف على مصادر الإيقاع داخل الآيات وفى فواصلها المختلفة.

١ـ اجتماع النبرين في كلمة طويلة يحدث انفجارين بالكلمة أحدهما شديد (النبر الأوليِّ) والثاني أقل منه (النبر الثانوي) وتظهر قيمة هذا عند المقابلة بين آيتين متتاليتين متطابقتين في موضع نبريهما، أو في آية واحدة تحوى الكلمات نفسها:

أ ـ توافق في موضع النبرين في آية واحدة، نحو: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾
والسَّابقون الأولى تتألف من: ص ح ص + ص ح ُح ص + ص ح ح ُص.
(السابقون الثانية) تتألف من: ص ح +ص ح ُ ح ص + ص ح ُح ص.

---

(١) الدرسات الصوتية عند العلماء العرب: ١٨٦، مناهج البحث فى اللغة: ١٩٦.

(٢) مناهج البحث فى اللغة: ١٩٢

ب- توافق في موضع النبرين في آيتين متتاليتين متطابقتين مقطعيا، نحو: ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ ﴾

أصحاب مستقلة عن السياق تتألف من: ص ح' ص + ص ح'ح +ص ح.

في السياق تتألف من: ص ح +ص ح'ص +ص ح'ح+ ص ح ص فَأَصْحَابُلْ.

الميمنة مستقلة تتألف من: ص ح' ص + ص ح' ص + ص ح + ص ح ص.

في السياق تتألف من: بُلْمَيْمَنَةْ: ص ح' ص+ ص ح' ص+ص ح +ص ح ص.

المشأمة مستقلة تتألف من: ص ح' ص + ص ح' ص + ص ح + ص ح ص.

في السياق تتألف من: بُلْمَشْأَمَةْ: ص ح'ص+ ص ح' ص+ص ح +ص ح ص.

ثانيا: القيمة الدلالية:

القيمة الكبرى للنبر في اللغة تتجلى في إضافة معان جديدة، لم تكن موجودة في العبارة لولا تلك الفونيمات فوق التركيبية؛ فما يصلنا من معان عبر تلك الملامح الصوتية يفوق ما نفهمه من معان تحملها لنا الفونيمات الأساسية للكلمة، بل إننا قد نفهم عكس ما تنطق به الكلمات بعد إضافة تلك الملامح الصوتية، فنقول لمن ألقى علينا السلام بنبر معين: ليتك ما سلمتَ علينا، فقد فهمنا منه معنى آخر غير ما قلت كالسخرية مثلا، فحمل الكلام عكس معناه.

إننا نجد بالآيات التي ندرسها من سورة الواقعة كثيرا من تلك المعاني التي صنعها النبر بالكلمات، التي سيوضحها تحديد مواضع النبر بالآيات والمعاني الإضافية التي يكسبها لها، ويمكن تتبع ذلك من خلال الفصول القادمة.

ثالثاً: نبر الجملة (النبر الدلالي)

يعد نبر الجملة هو القسم الثاني لنبر الكلمة في اللغة العربية، وهو المسمى بنبر السياق، ويقوم نبر السياق بدور دلالي هام في تحديد الدلالة لسياقات اللغة وتركيبها المختلفة، وهو يختلف عن النبر الصرفي في أنه آت من النطق المتصل للعبارة، وليس من النطق بالكلمة مستقلة عن أختها؛ هذا الأمر يعطي الكلمة داخل العبارة تركيبا نبريا جديدا؛ يرتبط فيه النبر الجديد بالسياق الذي يرد فيه؛ تتأثر فيه الكلمة بما قبلها وما بعدها من أصوات؛ حيث تصبح الكلمة عبارة عن

مجموعة وحدات صوتية؛ تكون السلسلة الصوتية للجملة؛ فتدخل ضمن بناء صوتي أكبر هو بناء السياق الذي ترد فيه، وليس بناء الكلمة مستقلة.

يقول د.أنيس" هناك نوع آخر من النبر يسمى نبر الجمل، وهو أن يعمد المتكلم إلى كلمة في جملته فيزيد من نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص، وقد يختلف الغرض من الجملة تبعا لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها...

"وزيادة نبر الكلمة في الجملة، لا يعدو أن يكون زيادة في المقطع الهام من هذه الكلمة...النبر بنوعيه ليس إلا شدة في الصوت أو ارتفاعا فيه. وتلك الشدة أو الارتفاع يتوقف على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين، و لا علاقة له بدرجة الصوت أو نغمة الموسيقية[١].

"والنبر في حقيقته إنما هو ظاهرة سياقية، لأن كل القواعد التي ذكرت للنبر آنفا، ليست واحدة منها تمثل حلا لمشكلة معينة في موضع معين. ولكنها - فقط - تمثل نظام النبر للكلمة المفردة... وفيما يلي نقدم صورا متنوعة ، تمثل قيم النبر وتأثيراته على مستويات اللغة العربية:

أولا: ظاهرة التوصل إلى النطق بالساكن:

فالكلمة المبدوءة بالساكن في بداية الكلام تستوجب من المتكلم أن ينطق بهمزة (يطلق عليها همزة الوصل) ليتمكن من النطق بواسطتها عبور هذا الحاجز الساكن ، وبذلك يتغير التركيب المقطعي من (ص) إلى تركيب مقطعي طويل مغلق (ص ح ص). وبذلك فإن همزة الوصل، قد غيرت التركيب المقطعي، الذي يمثل القاعدة الأصلية لنظام اللغة إلى تركيب مقطعي آخر يمثل قواعد الأداء والنطق الفعلي.

في حين نجد الكلمة المبدوءة بالساكن في وسط الكلام، تتطلب حلا آخر، يستوجب تغيير النظام الأصلي للغة، إلى نظام مقطعي يتواءم مع قواعد الأداء

(١) الأصوات اللغوية: ١٧٤- ١٧٥

والنطق الفعلي في السياق . وذلك بفعل تـأثيرات النبر الطـارئ علـى المقـاطع حسب متطلبات الأداء، ويمكن التمثيل لهذه الظاهرة بالأمثلة الآتية:

كلمة (الكاتب): يتألف تركيبها المقطعي في بداية الكلام... هكذا= ص ح ص + ص حʻح + ص ح ص. حيث تحول المقطع (ص) وفق قواعد النظام الأصلي للغة. إلى مقطع أدائي فعليٍّ بواسطة همزة القطع، إلى التركيب: ص ح ص.

أما إذا وقعت كلمة: الكاتب في وسط الكلام هكذا: جاء الكاتب... فإذا وضعنا الكلمتين في سياق لغوى، تغيرت التراكيب المقطعية لكل منهما هكذا (ص ح ح +ص ح ص+ص ح ح+ص ح ص) حيث نجد المقطع الثاني من صنع الظاهرة السياقية ومتطلبات الأداء، حيث امتد المقطع الكلامي من نهاية كلمة سابقة إلى بداية كلمة لاحقة، وحل محل مقطعين من مقاطع النظام الأصلي للغة هما: ء= ص ح في الفعل جاء،ل (ص) في: الـ من كلمة الكاتب.

وبالتالي تأثر قيم النبر وموضعه الطارئة في تشكيل تراكيب مقطعية مختلفة استوجبتها متطلبات السياق والأداء الفعليِّ، وبالتالي تغيرت مواضع النبر الرئيسي والثانوي هي الأخرى"(١)

في إطار تأثر همزة الوصل بالسياق الذي ترد فيه ، نشير إلى قضية أخرى لم يذكره أد. البهنساوى، وهى وضع اللام التي تلي همزة الوصل، فهي تنقسم إلى قسمين: لام شمسية ولام قمرية ؛ فكل من هما تتأثر صوتيا بما بعدها بصورة مختلفة عن أختها حسب نوع تلك اللام وذلك عند الأداء النطقي؛ كما يلي:

١. اللام الشمسية: تكون قبل الكلمات التي تبدأ بصوت الشين أو أحد الأصوات التي تماثله في تلك الصفة؛ فيكون تأثير الصوت الذي يلي اللام وهو الشين على تلك اللام بصورة مختلفة حسب مكان الكلمة في السياق اللغوي الذي ترد فيه؛ نحو: كلمة (السَّابقون)

أ. في بداية الكلام: تتألف مقطعيا من = (اَسْ: ص ح ص+ سا: ص ح ح...)

---

(١) الدرسات الصوتية عند العلماء العرب: ١٨٦، مناهج البحث فى اللغة: ١٩٣

فتسقط لام التعريف؛ وتبقى همزة الوصل ليتوصل بها إلى نطق السين الساكنة.

ب ـ في وسط الكلام نحو قوله تعالى في سورة الواقعة ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ ﴾ فتتألف مقطعيا من =(وسًّا: ص ح ص +ص ح ح) وذلك بإسقاط (اَلْ) التعريف كلها، وضم الواو للبناء الصوتي الجديد؛ فتصبح بديلا لهمزة الوصل في (ال).

تتألف السابقون الثانية من: (نسًّا: ص ح ص+ ص ح ح) بإسقاط (اَلْ) التعريف.

٢ ـ اللام القمرية: وتكون قبل الكلمات التي تبدأ بصوت القاف أو أحد الأصوات التي تماثله في تلك الصفة فيكون تأثير الصوت الذي يلي اللام وهو القاف عليها هو بقاء اللام في الحالتين نحو:

أ ـ في بداية الكلام: تتألف (القمر) مقطعيا من= (اَلْ: ص ح ص+ق: ص ح...) بالإبقاء على (اَلْ) كلها (همزة الوصل + لام التعريف) في الأداء النطقي.

ب ـ في وسط الكلام: قوله تعالى في سورة القمر: ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ١ ﴾ تتألف مقطعيا من: (ق+ ال: ص ح+ص ح ص) فتتحول إلى (قَلْ: ص ح ص) بإسقاط همزة الوصل دون اللام؛ في الأداء النطقي، ذلك بالوصل بين الكلمتين، واندماج المقطعين معا لتكوّن مقطعا واحدا.

ثانيا: ظاهرة الكمية

في الكلمات المنتهية بحروف المد الثلاثة: ألف والواو والياء؛ إذا وقعت قبل كلمة مبدوءة بالساكن، فإن الحركة الطويلة أو حرف المد يفقد كمية الطول، ويصبح مجرد حركة قصيرة. وبالتالي تتغير التراكيب المقطعية، بسبب قواعد السياق والأداء الفعلي، عما كانت عليه في القاعدة الأصلية لنظام اللغة. ويتسبب في هذا التقصير ذلك النبر الطارئ على مقاطع العبارة أو الجملة...

ثالثا: من الظواهر التي تستوجبها ضرورات الأداء الفعلي والسياق،الإتيان بهاء السكت أو الإشباع وألف الندبة وإطلاق القافية، وغيرها من ضرورات الأداء:

يعد النبر الطارئ على مواضعه المختلفة سببا في تغيير التراكيب المقطعية لمثل هذه الحالات السابقة. ففي كلمة: حسابيه ـ مثلا ـ في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحاقة: ٢٠]. فإن الكلمة قبل هاء السكت تتألف من التركيب المقطعي: حسابي = ص ح +ص ح ح + ص ح ح. اقتضت ضرورات الأداء القرآني الكريم الإتيان بهاء السكت فتغير موضع النبر ، وبفعل هذا التغير للنبر الطارئ، تغيرت التراكيب المقطعية للكلمة، وتحول المقطع الطويل المفتوح في آخر الكلمة= ص ح ح إلى تركيبين اثنين هما: ص ح+ص ح ص، حيث قصرت الحركة الطويلة في نهاية الكلمة، الياء إلى مجرد كسرة قصيرة، فكانت هاء السكت لإغلاق المقطع. للحفاظ على إيقاع الفاصلة القرآنية الكريمة.

رابعا: ما يطرأ على الصيغ الصرفية من زوائد كسوابق أو لواحق تؤثر في تغيير تراكيب الصيغ المقطعية، ويؤثر بدورة النبر الطارئ في تكوينات المقاطع وتركيبها "[(١)].

---

(١) الدرسات الصوتية عند العلماء العرب: ١٨٦، مناهج البحث فى اللغة: ١٩٢ـ١٩٥.

الفصل الرابع

الإيقاع

تمهيد:

لا يمكن أن نعتبر الإيقاع من الفونيمات الثانوية (التطريزية) لكنه يدخل ضمن العناصر الصوتية التي تصنعها الفونيمات التطريزية (المقطع ـ النبر ـ التنغيم...) لهذا يجب دراسة الإيقاع في إطار العناصر التي تصنعه؛ لبيان كيف تصنعه ؟

١. ما الإيقاع ؟

"إيقاع ألحان الغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها"[١] وهو أيضا جرس موسيقي ناتج عن تفنن في طريق ترديد الأصوات في الكلام، فهو قائم على تكرار منتظم لظاهرة صوتية معينة"[٢] وهذا التكرار قد يكون على مسافات متقايسة بالتساوي أو التناسب لإحداث الانسجام، وعلى مسافات غير متقايسة

---

(١) القاموس المحيط: للفيروزأبادى، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٩ مادة (وقع)

(٢) موسيقى الشعر العربي: د.شكرى عياد ،دار المعرفة، القاهرة ١٩٧٨ ،ص١١٠

أحيانا لتجنب الرتابة"[١]

"والإيقاع في الكلام ناشئ عن التكرار المنتظم لنوع ما من الحركات تكرارا محدثا توقيعا باستمرار اطراد وقوعه. والحركات المرتبطة بإيقاع الكلام هي حركات العمليتين للنبر والمقطع، المكونتين معا ميكانيكية تيار الهواء الرئوية، فإيقاع الكلام أساسا إيقاع عضلي، والعضلات المرتبطة به هي عضلات التنفس... والطريقة التي تتكرر بها النبضات الصدرية والنبرية، أي هيئة تتابعها وتناسقها هي ما يحدد إيقاع اللغة. وهناك طريقتان مختلفان أساسا للجمع بينهما. وتؤدى هاتان الطريقتان إلى إيجاد نوعين رئيسيين لإيقاع الكلام . وتتكلم كل لغة في العالم فيما نعلم مع نوع أو آخر من هذين النوعين. ويعرف الإيقاع في نوع منهما باسم" الإيقاع المقطعي... ففيه يستمد تكرر الحركة المنتظم من العملية المنتجة للمقطع، أي أن نبضات الرئة ومن ثمَّ المقاطع تتكرر على فترات زمنية متحدة، فهي متساوية الزمن... وفى النوع الآخر من نوعى الإيقاع المعروف باسم الإيقاع النبري... يستمد تكرار الحركة المنتظم من العملية المنتجة للنبر؛ فنبضات النبر، ومن ثمَّ المقاطع المنبورة، متساويان الزمن. وتوضح هذا النوع الآخر الإنجليزية والروسية والعربية، فهي لغات منبورة[٢]" فاللغة العربية من تلك اللغات المنبورة؛ وعليه يجب تتبع حركات القفص الصدري مع الحركات المصاحبة للنبر الموجود في تلك الكلمات المنبورة من الآية، وما ينتج عن ذلك من إيقاع متناسق ومنتظم؛ آتٍ من انتظام تلك الحركات الصدرية مع كل نبر في الآية.

---

(١) الإيقاع التكرارى فى شعر الملك عبد الله الأول بن الحسين، د.علاء الدين أحمد الغرايبة - المجلة الأردنية فى اللغة العربية وآدابها، ص ١٤٥

(٢) مبادئ علم الأصوات العام: ١٤٦

٢. قيمة الإيقاع:

إن الإيقاع نشاط نفسي لدى المتلقي، وهذا النشاط النفسي لا يتحقق إلا عن طريق تفاعل المتلقي مع النص، وهذا التفاعل يرتبط كيانه بدرجة الإيقاع التي يتميز بها النص. يبين لنا الكلام السابق أن الإيقاع هو: تكرار ظاهرة صوتية أو أكثر على مسافات معينة تساعد على تحقيق ما يعرف باسم الجرس الموسيقي"[(١)]

يربط الإيقاع بين السامع والمتكلم من خلال الإدراك الذي يحدث في نفس المتكلم وينتقل للسامع؛ فيتقمص ذلك الشعور الذي نشأ لدى المتكلم وانتقال إلى السامع المسمى "التقمص الوجداني الصوتي"، يقول ابركرومبى: وهناك فحاوي هامة بخصوص الإدراك هنا، فإيقاع الكلام يتذوق بوصفه إيقاع حركة، ومن الجلي أن المتكلم يتذوقه مباشرة بتلك الطريقة،فماذا يكون الأمر بخصوص السامع؟ يمكننا أن نقول إنه أيضا يتذوق إيقاع الحركة بالنيابة فهو، بمعنى ما، متكلم أيضا." [(٢)]

٣. العلاقة بين الإيقاع والمقطع والنبر في القرآن:

يرتبط الإيقاع بالمقطع والنبر؛ فالمقطع والنبر يمثلان عنصرين أساسيين من عناصر الفونيمات فوق التركيبية، وتكوين الإيقاع، ولهذا اخترتهما ليكونا موضوع دراستي للفونيمات فوق التركيبية في سورة الواقعة، وهي سورة مكية "قال ابن عطية إجماع من يعتد به من المفسرين، وقال القرطبي عن قتادة وابن عباس استثناء قوله تعالى ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ نزلت بالمدينة"[(٣)] وقد ذكر د. عبد الصبور شاهين أن " أهم النصوص النثرية التي تحقق فيها عنصر الإيقاع سور القرآن الكريم المكية ذات الآيات القصار المتساوية في التكوين حيث يقول: غير أن الشعر لا ينفرد بالاعتماد على عنصر الإيقاع، فهناك أنواع من

---

(٣) نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي: حازم كمال، مكتبة الآداب ٢٠١٢ ص١٨.

(٢) مبادئ علم الأصوات العام: ١٤٧.

(٣) التحوير والتنوير مجلد ١١ ج ٢٧ ص ٢٧٩ الطاهر بن عاشور. دار سحنون للنشر تونس ١٩٩٧.

النثر تعتمد عليه كذلك، ولاسيما النثر الخطابي الذي يستخدم اللغة الانفعالية... فالإيقاع عنصر يختص بالكلمة، أي مجموعة الأصوات، ويتركز على مقطع بذاته منها، طبقا لنظام خاص بكل لغة على حده[١]

ثم يذكر مثالا على السور المكية من أول سورة الرحمن، وذكر بعده "تجد أن تساوي التكوين في الآيات قد أبرز عنصر الإيقاع إبرازا مدهشا، وهو أمر أساسي في بناء القرآن المكي في الغالب" وهذا القول جعلنا نتدبر آيات سورة الواقعة، فهي مكية أيضا؛ لنرى ما فيها من الإيقاع الصوتي المتميز؛ الذي تعاون في تكوينه كل من النبر والمقطع وعناصر صوتية أخرى سوف نذكرها بعد الحديث عن النبر والمقطع.

إن الإيقاع يرتبط بالمقطع عن طريق أن الثاني سبب في إيجاد الأول، فعن طريق انتظام المقطع وتواليه في نسق معين ينتج لنا الإيقاع، يقول د.أيوب: "إذا أخذنا عددا من الأحداث اللغوية المتوالية التي تكوّن فيما بينها حديثا، لاحظنا أن الضغوط التي تقع على المقاطع تحدث بصفة منتظمة، ...ومعنى هذا وجود اطراد في الطريقة التي يحدث بها الضغط، والإيقاع هو الجانب السماعي للضغط، فهذا الأخير أمر مادي يحدث في جسم المتكلم، وهو يتمثل في عدد من الحركات العضلية التي تدفع الهواء على نحو معين، أما الإيقاع فأمر وجداني يدركه السامع. وكل من الضغط والإيقاع أمر خاص بمقطع أو مجموعة من المقاطع المتوالية التي يظهر الفرق فيها بين الضغط القوى والضغط الضعيف ويستبين السامع فيه نوعا من الاطراد يدركه سماعا"[٢]

"إن المدخل إلى دراسة الإيقاع لا يكون إلا من خلال معرفة المقاطع اللغوية العربية المختلفة الكميات وما يتصل بذلك من قواعد النثر في الكلام"[٣]

ولكننا قبل أن ننطلق مع بعض عناصر الإيقاع القرآني في المقطع والنبر لابد

---

(١) علم الأصوات: ٢٠٠

(٢) أصوات اللغة: ١٥١ ـ ١٥٢

(٣) البيان فى روائع القرآن: ٢٥٧

أن نفهم فكرة الإيقاع أكثر، لأن هذه الآيات المحكمات تجمعت فيها عناصر الإيقاع، فكونت نغما خاصا بها، جذب القلوب إليها لما جُبلِتْ عليه تلك القلوب من ميل إلى النغم الهادئ والتراتيل الإيقاعية المتناسقة، ونحاول هنا أن نعرف سر هذا النغم، وذلك الإيقاع من خلال سورة الواقعة.

إن الإيقاع في القرآن ليس نتيجة اتحاد كميات الكلمات، مما يؤدي إلى تشابه بينهم ليؤدي إلى وقوع النبر فيها على صورة واحدة، فيجيء الإيقاع متساوي المسافات رتيبا مملا، يقول د.تمام حسان (ولكن اختلاف الكلمات طولا وقصرا وتجردا وزيادة واتصالا وانفصالا حال دون هذه الرتابة وذلك الملل وجعل للغة إيقاعا لا مجرد وقع، ولكن الإيقاع المقصود هو إيقاع في نطاق التوازن، لا في نطاق الوزن، فالوزن في العربية للشعر والتوازن في الإيقاع للنثر، والذي في القرآن إيقاع متوازن لا موزون.

"إن الوزن والتوازن كليهما من صور الإيقاع، وهما أيضا من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالا للفن والجمال... أما التوازن فيكفي أن تنصت إلى صوت قارئ مجيد يرتل القرآن الكريم... وسترى عندئذ أن ما في القرآن من جمال التوازن قد يجاوز أحيانا جمال الوزن، وانظر كذلك إلى الكثير من أساليب الترتيل - وبخاصة ما بني منها على قصار الجمل - وسوف ترى لها جاذبية خاصة تجذب إليها انتباهك، وتمنح أذنك من المتعة ونفسك من الارتياح مالا تجده في بعض الشعر والغناء.

وكلما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم؛ اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها والعكس صحيح، بمعنى أن هذه الكلمات بين نبر وآخر إذا تباينت، ولم تتقارب أحس السامع كأن المتكلم يتعثر في مشيته، بل إن المتكلم نفسه لابد أن يحس هذا الإحساس٠ أما هذا التقارب وذاك الانتظام فهو الذي تجده في إيقاع الأسلوب القرآني[(١)].

(١) البيان في روائع القرآن ٢٦٩-٢٧٠

ونلاحظ في كل هذا الكلام للدكتور تمام أن الإيقاع القرآني يقوم على عنصرين أساسيين هما: النبر والمقطع، فلو حاولنا فهم الإيقاع الموجود في آيات سورة الواقعة من خلال ملاحظة هذين العنصرين (المقطع والنبر) لبدت لنا صورة الإيقاع في سورة الواقعة أوضح.

الفاصلة

الفاصلة في القرآن" هي كلمة آخر الآية، في كتاب الله، قال ابن منظور: وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر... واحدتها فاصلة، وقال الزركشي: هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع"(١) ويعلق د. مختار عمر على هذا التشبيه للفاصلة بقوافي الشعر والسجع بقوله" وواضح من تشبيه القدماء للفاصلة القرآنية بقافية الشعر أو قرينة السجع محاولة توجيه النظر إلى الجرس الصوتي، والملاءمة اللفظية أكثر من لفت الانتباه إلى المواءمة الدلالية، والارتباط العضوي بين مضمون الآيات وخواتمها، وليس هذا صحيحا على الإطلاق حتى إن بعض القدماء قد لاحظ في الفواصل القرآنية تبعيتها للمعاني بخلاف الأسجاع التي تتبع المعاني فيها الألفاظ." (٢)

هذا القول يجعلنا نربط بين الفاصلة القرآنية وعدة قضايا:

١- الإيقاع الصوتي للفاصلة القرآنية: مما يتكون ؟ وكيف نلاحظه؟

٢- أثر هذا الإيقاع الصوتي على المعنى الموجود في الآية .

أولا: تكوين الإيقاع في الفاصلة:

أجاب د. مختار عن قضية العناصر الصوتية التي تكوين الإيقاع في الفاصلة بقوله: لإبراز الجانب الموسيقي في الفواصل، ومراعاة متطلبات الإيقاع ومقتضيات التلاؤم النغمي راعت الآيات ما يلي:

---

(١) لسان العرب: مادة الفصل ، والبرهان ٥٣/١

(٢) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته: د.مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة٢٠٠١، ص٧٣

١. بناء كثير من الفواصل على الوقف حتى لا يختل الإيقاع...

٢. تفضيل كثير من الفواصل لأصوات معينة لحرف الروي وختامها بحروف المد والنون تمكينا للقارئ من تحقيق الترنم والتمكن من التطريب بذلك، ... ويمكن أن يضاف إلى النون الميم، فهما الصوتان الأنفيان الوحيدان في اللغة مما يسمح بالتنغيم والترديد، ... ومع القيمة الخاصة للنون والميم نجد القرآن يلون وينوع أواخر الفواصل ليحدث تنوعا في الإيقاع تبعا لنوع الموضوع والتعبير، وإن كان الغالب الانتهاء بحرف المد واللين وإلحاق النون"[(١)]

وقد حدث هذا الانسجام الصوتي في سورة الواقعة في فواصلها الناتج عن نهايتها بصوتي النون والميم؛ وقبلهما صوت الواو أو الياء بكثرة؛ وقد سبق أن ذكرت بيانا إحصائيا لهذه النهايات في موضع فائت من هذه الدراسة، وكذلك شيوع هذا التركيب الصوتي مع المقطع الأخير من الفاصلة الذي أتى من النوع (ص ح ح ص) فكون انسجاما صوتيا وإيقاعا متميزا.

أنواع التماثل الصوتي في الفاصلة:

ويذكر د. مختار عمر صورا للتماثل الصوتي الحادث في الفواصل القرآنية وأنه يأتي في عدة صور منها:

١. أن الفواصل القرآنية قد وردت متماثلة في حروف مقاطعها، وتسمى المتجانسة أو ذات المناسبة التامة نحو: الطور وكتاب مسطور في رق منشور[(٢)]

٢. متقاربة في حروف مقاطعها، وتسمى ذات المناسبة غير التامة نحو:

أ ـ الرحمن الرحيم/ مالك يوم الدين"[(٣)] (تقارب الميم والنون).

ب ـ "والقرآن المجيد .../ هذا شيء عجيب"[(٤)] (تقارب الدال والباء).

---

(١) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته: ٧٤

(٢) الطور: ١ـ ٣

(٣) الفاتحة: ٤،٣

(٤) ق: ٢، ١

٣. وقد ترد بصورة شتى منها:

أ. متوازية تتفق فيها الكلمتان في الوزن وفى حرف الفاصلة نحو "فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة"(١)

ب ـ غير متفقة في الوزن ولكن في الحروف فقط نحو: "ما لكم لا ترجون لله وقارا/ وقد خلقكم أطوار"(٢)

ج ـ متوازنة أي متفقة في الوزن دون الحروف، نحو: "وآتيناهما الكتاب المستبين / وهديناهما الصراط المستقيم"(٣)

د ـ كما جاءت محققة الاستلزام، وهو أن تلتزم حرفا أو أكثر قبل حرف الفاصلة.

- ❖ "فأما اليتيم فلا تقهر / وأما السائل فلا تنهر"(٤) (الهاء قبل الراء).
- ❖ "ألم نشرح لك صدرك / ووضعنا عنك وزرك"(٥) (الراء قبل الكاف).
- ❖ "والطور / وكتاب مسطور"(٦) (الطاء والواو قبل الراء).
- ❖ "فإذا هم مبصرون / ثم لا يقصرون"(٧) (الصاد والراء و الواو قبل النون).

٤. الإشارة الصوتية على نهاية السورة: أن السورة قد تنتهي بفاصلة منفردة الإيقاع تكون كالمقطع الأخير المومئ إلى الانتهاء ، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾(٨).

---

(١) الغاشية: ١٤، ١٣

(٢) نوح: ١٤، ١٣

(٣) الصافات: ١١٧، ١١٨

(٤) الضحى: ٩، ١٠

(٥) الشرح: ٢، ١

(٦) الطور: ٢، ١

(٧) الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢

(٨) الضحى: ٩-١١. وانظر دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته ص٧٧

هذا القول السابق يدعونا إلى النظر في فواصل سورة الواقعة في ضوء المعطيات التي يعرضها علينا عالمنا الجليل، وما لاحظه علماء السلف العظام كالزركشي؛ لكي نلاحظ مصدر هذا التماثل الصوتي الحادث في فواصل آيات السورة. فنجد أن كل حالة مما ذكرها أستاذنا لها نموذج في سورة الواقعة؛ بل هناك نماذج أخرى لذلك التماثل وصلتُ إليها في السورة لم يذكرها في حديثه السابق. وهذا الأمر يبدو جليا من خلال تقسيمي للسورة إلى مجموعات؛ ذلك التقسيم الذي انطلقتُ فيه من فكرة التماثل الصوتي في فواصل كل مجموعة، ولهذا كان لزاما عليّ بعد عرض كل مجموعة الإشارة إلى صور التماثل الصوتي في فواصل تلك المجموعة؛ ذاكرا كل ما قاله د. مختار عمر وما وصلت إليه من جديد من خلال تلك الدراسة.

ثانيا: العلاقة بين الصوت والمعنى في الفاصلة:

يقول د. مختار عمر" إن جميع الفواصل في القرآن لم تقتصر على مراعاة حسن النظم فقط، وإنما راعت مع ذلك ـ وقبله ـ جانب المعنى، فحققت بذلك إيقاعها الفريد ،وبلاغتها العليا في مطابقتها لمضمون ما قبلها...على سبيل المثال:

أ ـ حذف كاف الضمير في سورة الضحى في: قلى، فآوى ، فهدى، فأغنى. لم يراع الفاصلة وحدها، وإنما حقق حكمة بلاغية. فقد حذف من (قلى) لتجنب خطابه تعالى المصطفى في موقف الإيناس بصريح القول: وما قلاك. لما في القلي من حس الطرد، والإبعاد، وشدة البغض... وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك... وحذف كاف الخطاب في الفواصل بعدها لأن السياق بعد ذلك أغنى عنها.

ب ـ التقديم والتأخير: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾[1] ليس لمراعاة الفاصلة وحدها، ولكن لمراعاة المعنى كذلك، حيث جاء الكلام في سياق البشرى والوعيد، إذ الآخرة خير وأبقى، وعذابها أكبر وأشد وأخزى،

(١) الليل: ١٣،١٢.

وبهذا الملحظ البياني قدمت الآخرة على الأولى في سياق البشرى للمصطفى بآية الضحى: وللآخرة خير لك من الأولى...

ج- تغيير نمط التعبير، كما في قوله تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾[١]. حيث لم يقل كما هو متوقع: وإما أن نلقى" فتغيير النمط لم يحقق مراعاة النغم الموسيقى فحسب، ولكنه يكشف عن رغبة القرآن في تصوير نفسية هؤلاء السحرة، وأنهم لم يكونوا يوم تحدوا موسى بسحرهم خائفين أو شاكين في نجاحهم، وإنما كان الأمل يملأ قلوبهم في نصر مؤزر عاجل. ومعنى هذا أن القرآن حتى في مراعاته للملاءمة اللفظية كان يضع في اعتباره أولا وقبل كل شيء جانب المعنى، واتساق خواتم الآيات، وتناسبها مع السياقات التي ترد فيها، والأغراض التي جاءت من أجلها[٢].

هذا القول يسمح لنا أن نلاحظ ما بين المعنى والصوت بأنواعه من توافق في فواصل سورة الواقعة، حيث نلاحظ ـ كما سنرى في الجانب التطبيقي ـ هذا التوافق بصورة متكررة، دونّاها في موقعها من البحث في نهاية كل تحليل عرضناه لكل مجموعة من مجموعات السورة.

الفرق بين الفاصلة القرآنية وقوافي الشعر:

الفاصلة: هي نهاية الآية وتشبه نهاية قافية البيت الشعري ـ كما ذكرت آنفا ـ ولكن هناك فروق كثيرة بين القرآن الكريم والشعر، أولها وأهمها أن القرآن ليس شعرا، وهذا ما أراد الحق تبارك وتعالى أن يثبته لبلغاء العرب من أهل قريش، فهو يحقق أبلغ مما يحققه الشعر من الانسجام الصوتي الموجود في نهاية البيت من خلال الوزن والقافية - ولكن دون أن يكون هناك وزن ولا قافية، إنه لسر من أسرار هذا القرآن العظيم.

فلو عقدنا مقارنة بين ما في الشعر من جمال صوتي ناتج عن التزام الوزن

---

(١) طه: ٦٥.

(٢) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته ص٧٨، ٧٩.

والقافية؛ وبين الفواصل القرآنية ومالها من انسجام صوتي لوجدنا الفارق كبيرا "إن تقفية الشعر تعني تطابق خواتم الأبيات من الناحية الصوتية، وقد جعلوا الالتزام بالقافية جزءا من عمود الشعر الذي لا يكون الشعر شعرا إلا به، وفي القرآن من الفواصل ما يتشابه جرسه في الأذن ولا يتطابق بالضرورة في الحرف...ويمكن تلخيص الفروق التي بينهما فيما يلي:

أ ـ تتطلب القافية التطابق التام بين عدد من الحروف في آخر كل بيت من القصيدة... بل إن ذلك التزام أيضا في شطري مطلع القصيدة على نية التصريع... [1] "أما الفاصلة: فلا تلزم شيئا من ذلك إذ تراها تجرى في عدد من آيات السورة على نمط ، ولكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر، وفى خلال جريها على نمط واحد قد يكون ما يقوم عليه النمط مقصورا على حرف مد فقط كما في قولة تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة ٧-٨] فلا تصلح إحدى الفاصلتين أن تقفو الأخرى في شعر، وقد يقوم النمط على صفة من صفات حرف في الفاصلة كصفة الضيق مثلا { والمقصود ضيق الفم بتقريب جزء من جسم اللسان من الحنك الأعلى أثناء النطق } وهي الصفة التي يشترك فيها الواو والياء، كما في قوله تعالى بعد الآيتين السابقتين ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة ٩] فهل يصلح للتقفية أن تقوم على توالي ثلاث كلمات مثل التي انتهت بها الآيات الثلاث {عظيم - مؤمنين - يشعرون}؟!

ب ـ وفي كثير من سور القرآن لا يلتزم شيئا بعد الحرف الضيق {الواو أو الياء} كما في سورة الحج، فإذا قرأت هذه السورة مثلا وجدت فواصل الآيات لا تحمل شبها أي شبيه بالتقفية لأن فواصل الآيات تجرى على النحو التالي: عظيم - شديد - مريد - بهيج - قدير ـ القبور ـ منبر ـ الحريق ـ للعبيد ...." [2]

---

(١) البيان فى روائع القرآن: ٢٧٥.

(٢) البيان فى روائع القرآن: ٢٧٦ ـ٢٧٧.

"وقد جاءت الياء في سبع وخمسين فاصلة، وجاءت الواو في عشرين، والألف في فاصلة واحدة، ولم يلتزم حرف من الحروف بعد الياء ولا بعد الواو.

"ولسنا نجد شيئا مما ألتزمته الفواصل القرآنية يصلح أن يكون قافية. فالواو والميم في الشعر لا تقفو الياء والنون، وكذلك لا يكفي للقافية أن تعتمد على المد الضيق دون نظر إلى ما بعده من بيت الشعر...، وكذلك لا يكفي القافية أن يكون الحرف الأخير ألفا مطلقا إذا اختلفت حركات ما قبلها وسكن به، فلا يعد من التقفية أن تتوالي كلمات مثل: عجبا – همسا – تسلما... كما في سورة الأحزاب، و مغزى ذلك أن مطالب الفاصلة تختلف اختلافا تاما عن شروط القافية. "[1] هذا رأي د. تمام حسان في الفاصلة والقافية، ونضيف إلى ما قال أستاذنا الجليل السؤال التالي: ما الفاصلة؟

الفاصلة: الكلمة التي في نهاية كل آية، فهي تختلف عن القافية الشعرية في:

أ - أن القافية تأتي في نهاية كل بيت مسبوقة بكلمات متساوية في الوزن مع البيت الذي بعده، فهي تأتي بعد عدد محدد (تقريبا) من الأصوات، وتنتهي بالصوت نفسه الذي في البيت التالي والسابق لها. وهذا لا يحدث في الفاصلة القرآنية؛ فهي تأتي بعد عدد من الكلمات والأصوات غير المتطابقة من حيث الوزن والنوع مع الآية التي تليها أو تسبقها، ولهذا يختلف محتوى الآية مع الآية الأخرى، ولا يختلف محتوى البيت مع الذي بعده أو قبله، إلا في السور ذات الآيات القصيرة (كما في سورة الرحمن والواقعة)، ولهذا نرى إلحاح العلماء على ملاحظة مثل هذه الصور صوتيا. حيث يظهر الإيقاع في التناسق الصوتي الحادث بين تلك الآيات القصار.

ب- يشير د. تمام إلى أن الفاصلة لا تلتزم ما يلتزم به الشعر من صوت واحد في نهاية القافية، ونضيف إلى ما قاله عالمنا الجليل إن الفاصلة لم تلتزم بما

---

(١) البيان في روائع القرآن: ٢٧٨-٢٧٩.

التزمت به القافية الشعرية، بل التزمت بالمقاطع المتماثلة في نهاية كل فاصلة. فالمقطع الأخير من الفاصلة الذي يحتوي على صوت مد (صوت ضيق كما يقول د. تمام) كوّن لنا من هذا التماثل المقطعي مقطعا من النوع (ص ح ص) يتكرر في نهاية كل فاصلة كما في سورة الحج الذي استشهد بها، وهذا الالتزام أغناه عن الالتزام بتكرار الحرف الأخير فكوّن نغما خاصا بسورة الحج بعيدا عن القافية ذات الصوت الواحد المتكرر بالمقطع الواحد مع مجموعة أصوات متشابهة.

بديل القافية الشعرية: كان البديل عن القافية الشعرية عدة أمور:

١. الالتزام بالمقطع الواحد في نهاية كل فاصلة غالبا.
٢. النبر الأولى الموجود على هذا المقطع.
٣. الالتزام بوزن واحد في كل فواصل هذه السورة غالبا(الحج) وهو وزن فعيل: عظيم - شديد - مريد - سعير - هيج - قدير، ثم ينتقل إلى وزن قريب منه ليكسر الملل، ثم يعود إليه وهو وزن فعول بإبدال الياء واوا، ثم العودة السريعة إلى الياء حتى لا يغلب عليه نظام الشعر حتى في هذا الجانب، بل يحطم ذلك التكرار بكلمة (قبور) بعد الفاصلة السادسة وبكلمة (يشاء) بعد الفاصلة السابعة عشرة، ثم يعود سريعا إلى (فعيل) ثم يُذكِّرُنا بالفاصلة الأولى (فعول) بفاصلة (جلود) بعد (فعيل)، ثم يستمر مع فعيل مرة أخرى، ثم يعود إلى فعول بكلمة سجود... هكذا في تبادل مستمر بينهما مع غلبة "فعيل" ليكون هو النغم السائد على الإيقاع العام للفاصلة في آيات السورة كلها.

والعجيب في ذلك هو التبادل بين فعيل و فعول التي لا يمكن أن يدخل تحت قاعدة تحكمه، بل هو في تناوب وتبادل غير محدد، فلا تتوقع الكلمة القادمة كما في قوافي الشعر، بل يفاجئنا مع نهاية كل فاصلة بشيء منهما لا نتوقعه، ولكن يغلب على الآيات وزن فعيل مع أغلب الفواصل؛ ثم يليه فعول’، إلى جانب هذا التوالي والتتابع الذي لا يخرج عنه، وهو توالي المقطع (ص ح ص) فالاتزان الذي لا يخرج عنه أبدا هنا هو اتزان مقطعي.

٤- الالتزام بعلامة الإعرابية واحدة في فواصل بعض السورة[١]، (وذلك لكي تحافظ على الانسجام الصوتي عند الوصل بين فاصلة الآية وأول الآية التي تليها) كما نرى في سورة الأحزاب التي تمسكت بحالة النصب في كل الفواصل؛ مما أدى إلى تحويل المقطع (ص ح ح ص) في نهاية الفاصلة إلى مقطعين لوجود النصب،(هذا في حالة الوصل بين الآيات دون الوقف عند الفاصلة) فأصبح الحرف الأخير ألفا مطلقا على الرغم من اختلاف حركات ما قبلها وسكناتها؛ فلو نظرنا إلى هذه الآيات من سورة الأحزاب لوجدنا الفاصلة الأولى تنتهي بقوله تعالى (إن الله كان عليما حكيما) فالكلمتان الأخيرتان تتفقان في الوزن "فعيل" والإعراب بالنصب (خبر كان) والحرف الأخير (الميم) قبلها ياء مد، وكلاهما يتكون من التركيب المقطعي نفسه: { ع/ لي/ م + ن } * { ح/ كي/ م + ن } وهو التركيب المقطعي للكلمتين نفسهما إذا وقفنا عند كل كلمة مع تنوينها ونصبها، ثم تأتي الفاصلة التالية على الوزن والتركيب المقطعي نفسه؛ مع تغيير في الحرف الأخير من الميم إلى أقرب الأصوات للميم في الصفات وهو الراء، ثم الفاصلة التي بعدها مع غير الراء وهو اللام، والمعروف أن كلا من اللام والراء والميم يتم التبادل بينهم، فهي - كما ذكرت آنفا - أصوات مقطعية، ويتم التبادل بين الفواصل في نهاية كل السور بين هذه الأصوات، وكأنها صوت واحد في نهاية كل فاصلة، وكأنها قافية وليست بقافية، بل هي أصوات ذات نغم واحد، وجرس واحد، فكانت بذلك بديلا للقافية.

بل إن الحق تبارك وتعالى يكسر هذا التكرار بأصوات أخرى، مثل الزاي والقاف، ولكن مع الوزن فعيل نفسه، نحو (عزيزا - فريقا) أو بوزن قريب هو مفعول، نحو (مقدورا - معروفا) إن هذا الاختلاف في نهاية الفواصل والاتفاق

(١) نقصد العلامة الإعرابية وليست الحالة الإعرابية؛ فالأولى تعنى الصوت الذي تنتهى به الكلمة، أما الثانية فتعنى سبب ذلك الصوت، لذا قد تتفق الكلمتان فى الحالة الإعرابية (الرفع) وتكون العلامة فيهما مختلفة نحو: الرفع فى الاسم المثنى، وفى الاسم المفرد.

الذي يتم في بعض العناصر الصوتية التي أشرت إليها لهو قمة من قمم الإعجاز القرآني، حيث لا يلبس المرء أن يهتدي لعنصر صوتي يشير إلى تكرر نغم معين حتى يفاجأ بكسر هذا العنصر وظهور عنصر آخر.

يقول د. تمام حسان عن سر جمال الفاصلة (تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق للنص جانبا جماليا لا يخطئه الذوق السليم لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات صوتية تعد معالم للوقف وللابتداء، وتتضافر مع الإيقاع الذي سبق شرحه؛ فينشأ من تضافرهما أثر جمالي لا يبعد كثيرا عما نحسه من وزن الشعر وقافيته، ولكن هذا الأمر يختلف عن ذلك بالحرية من كل قيد تفرضه الصنعة على الوزن والقافية..والفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة نراها في كثير من آيات القرآن وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة، ... وهذه الوظيفة جمالية تستحق الرعاية ولو تعارضت رعايتها مع بعض أنماط التراكيب النحوية)[1]

ومن هنا نرى أن عناصر التناسق الصوتي في الفاصلة يأتي من تحقيق التناسق بين المقاطع، ومن التساوي في مواضع النبر؛ والفترة الزمنية بينها، فيصنع ذلك إيقاعًا متميزًا مع كل فاصلة، كما سنرى من خلال هذه الدراسة.

---

(١) البيان في روائع القرآن: ٢٧٩

الباب الثاني

الدراسة التطبيقية (المقطع والنبر)

ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية:

- الفصل الأول: دراسة المقطع والنبر في سورة الواقعة
- الفصل الثاني: التنغيم والحوار

الفصل الأول

التحليل المقطعي في سورة الواقعة

"**بين يدي سورة الواقعة**":

يقول القرطبي: سورة الواقعة مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ سَبْعٌ وَتِسْعُونَ آيَةً مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ وَجَابِرٍ وَعَطَاءٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: إلا آيَةً مِنْهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾... وَقَالَ مَسْرُوقٌ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ نَبَأَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَنَبَأَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَنَبَأَ أَهْلِ النَّارِ، وَنَبَأَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَنَبَأَ أَهْلِ الْآخِرَةِ، فَلْيَقْرَأْ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ. وذكر أبو عمر ابن عَبْدِ الْبَرِّ فِي (التَّمْهِيدِ) وَ (التَّعْلِيقِ) وَالثَّعْلَبِيُّ أَيْضًا: أَنَّ عُثْمَانَ دَخَلَ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ: مَا تَشْتَكِي؟ قَالَ: ذُنُوبِي. قَالَ: فَمَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: رَحْمَةَ رَبِّي. قَالَ: أَفَلا نَدْعُو لَكَ طَبِيبًا؟ قَالَ: الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي. قَالَ: أَفَلا نَأْمُرُ لك بعطائك؟ قَالَ: لا حَاجَةَ لِي فِيهِ، حَبَسْتَهُ عَنِّي فِي حَيَاتِي، وَتَدْفَعُهُ لِي عِنْدَ مَمَاتِي؟ قَالَ: يَكُونُ لِبَنَاتِكَ مِنْ بَعْدِكَ. قَالَ: أَتَخْشَى عَلَى بَنَاتِي الْفَاقَةَ مِنْ بَعْدِي؟ إِنِّي أَمَرْتُهُنَّ أَنْ يَقْرَأْنَ سُورَةَ (الْوَاقِعَةِ) كُلَّ لَيْلَةٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا."[1]

---

(١) تفسير القرطبي: ج٩ ص٦٣٦٤

إن من يقرأ هذه السورة يجد أنها مقسمة إلى مجاميع صوتية متناسقة؛ كل مجموعة منها تمثل إيقاعا مستقلا خاصا بها، نشأ من تنظيم مقطعي متميز، ونبر خاص أبرز معان إضافية بها، وتحتوي هذه المجموعة على ثلاث آيات أو أكثر أو أقل، ثم تليها مجموعة أخرى بالعدد نفسه من الآيات يزيد أو يقل، وبين المجموعتين آية تعتبر مفصلا أو ركيزة للانتقال من إيقاع إلى إيقاع آخر، وتجمع هذه الآية بعض الخصائص الصوتية الموجودة في المجموعتين تمهيدا للانتقال من المجموعة الأولى إلى الثانية.

وقد قسمتُ السورة إلى مجموعات، فوجدتُ أنها تحتوي على سبع عشرة مجموعة، وسوف أتناول بالدراسة والتحليل كل مجموعة على حدة، ثم أنظر إلى هذه المجموعات في صورة أكبر، تبين مشاركتها كمجموعات متتالية في تكوين لوحة تمثل موقفا ما أوصورة معينة أو حدثا كبيرا بالسورة؛ فهي عبارة عن الفكرة التي أرادت تلك المجموعات التعبير عنها، فقد تكون تلك اللوحة معبرة عن موقف من المواقف (كيوم القيامة) أو حدث من الأحداث التي وردت في السورة كعملية تقسيم الناس يوم القيامة، تعاونت تلك المجموعات الصوتية في صنعها.

تقدم الدراسة تحليلات تطبيقية من خلال هذا التقسيم لمجموعات، تعرض فيه:

١. أنواع المقاطع الشائعة في السورة الكريمة.
٢. كما تقدم عرضا لأنواع التنظيم المقطعي وأحواله من خلال قراءة الشيخ على عبد الرحمن الحذيفي و الشيخ صديق المنشاوي، والمقارنة بينهما.
٣. كما ترصد ما يحدث من تغييرات لتلك المقاطع ودور التلاوة والتجويد في ذلك؛ باعتبار سورة الواقعة نموذجا قرآنيا كريما منطوقا .
٤. كما ترتكز الدراسة على تقديم الخصائص المقطعية وسماتها للوقوف على ما تشتمل عليه من إعجاز لفظي في القرآن الكريم.

المجموعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ۝٣ ﴾ [الواقعة: ١ - ٣].

أولا: من أقوال المفسرين

قال الألوسي: إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ أي إذا حدثت القيامة على أن وَقَعَتِ بمعنى حدثت والْواقِعَةُ علم بالغلبة أو منقول للقيامة، وصرح ابن عباس بأنها من أسمائها وسميت بذلك للإيذان بتحقيق وقوعها لا محالة كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط فليس الإسناد كما في- جاءني جاء- فإنه لغو لدلالة كل فعل على فاعل له غير معين، وقال الضحاك: الْواقِعَةُ الصيحة وهي النفخة في الصور، وقيل: الْواقِعَةُ صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة وليس بشيء "[1]

ثانيا: تحليل المقطعي لآيات المجموعة:

تشتمل المجموعة الأولى على آيات قرآنية كريمة ثلاث آيات منتهية جميعها بمقطع مفتوح؛ محدثا لدى السامع لآيات الذكر الحكيم انسجاما صوتيا، عن طريق وحدة الفواصل الصوتية لتلك الآيات .

وسوف أقوم بتحليل الآيات ، وذلك بالقيام بكتابتها كتابة مقطعية، ونخلص من ذلك بالوقوف على خصائص التراكيب المقطعية، التي تشتمل عليها تلك التراكيب التي في السورة الكريمة.

أتت آيات المجموعة في عدة مقاطع، ولتحقيق الانسجام الصوتي في الآيات نجد تناسقا بين هذه المقاطع، يظهر هذا التناسق عند نهاية كل آية في الفاصلة وهذه الفواصل هي: (الواقعة - كاذبة - رافعة).

---

(١) روح المعاني للألوسي: طبعة المكتبة التوفيقية٢٠٠٨المجلد الثالث عشر ص٤٦١

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾

إِ /ذَا /وَ /قَ /عَ /تِلْ /وَا /قِ /عَةْ

ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح ح /ص ح /ص ح ص

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾

لَيْ /سَ /لِ /وَقْ /عَ /تِ /هَ /كَا /ذِ /بَةْ

ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح ص

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾

خَا /فِ /ضَ /تُنْ[1] /رَا /فِ /عَةْ

ص ح ح / ص ح / ص ح /ص ح ص/ ص ح ح/ ص ح/ص ح ص

جاء التحليل المقطعي للآيات كما قرأ الشيخان (محمد صديق المنشاوي/ على عبد الرحمن الحذيفي) متطابقا؛ فلم أجد فروقا صوتية في نطقهما (حسب سماعي الشخصيّ لهما، وتحليليّ لأنظمة التركيب المقطعي الواردة في قراءة الشيخين) فقد جاءت متطابقة فيما بينهما في قواعد التنظيم (التركيب) المقطعي في اللغة العربية.

اشتملت آيات المجموعة على المقطع القصير المفتوح: ص ح، للدلالة على الحكم القاطع بوقوع إرادة الله وتمام أمره.

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١- شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة خمسة وعشرون مقطعا من ثلاثة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر اثنتي عشرة مرة.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر ثمان مرات .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر خمس مرات .

هذا البيان الإحصائي يوضح:

(١) هذه النون نون التنوين تنطق ولا تكتب ولهذا تم ضمينها بالتقسم المقطعى للنطق بها.

أ- شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح.

ب - ولا نجد بالمجموعة المقطعين: المديد المغلق و لا الزائد في الطول.

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ - الآية الأولى: تحول المقطع {عَتْ اَلْ: ص ح ص + ص ح ص } إلى {عتل: ص ح+ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية [سياق الاستعمال]

ب - الآية الثانية: تحول المقطع { تها: ص ح + ص ح ح } إلى { ته: ص ح + ص ح} بتقصير المقطع الطويل (ص ح ح) للوصل. [سياق الاستعمال]

ج - الآية الثالثة: تحول المقطع {فِضَةُ: ص ح+ ص ح ص} إلى {فضتن: ص ح + ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣ - إغلاق وفتح بعض مقاطع المجموعة:

أ - فتح مقطع مغلق: بالآية الأولى {عَتْ: ص ح ص >عَ تل: ص ح+ص ح ص}

ب - غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة { ـةُ: ص ح > تُنْ: ص ح ص }.

٤ - عناصر تكوين الإيقاع في فواصل المجموعة: الواقعة، كاذبة، رافعة

جاء الإيقاع المنتظم في فواصل المجموعة من اتفاقها بل تماثلها في:

أ - التكوين المقطعي: جاءوا في صورة واحدة {ص ح ح+ ص ح+ص ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة

ب - البناء الصرفي في كلمات الفواصل واحد، وهو الوزن "فاعلة".

ج - الحرف الأخير في كلمات الفواصل واحد، وهو (هاء السكت).

د - حرف قبل الأخير متقارب فهو في الفاصلة الأولى والثالثة عين والثانية باء.

ثالثا: مواضع النبر في الآيات:

من خلال قواعد تحديد مواضع النبر الذي أشرتُ إليها آنفا؛ يمكن تحديد مواضع النبر في كل آية على حدة، وكذلك في الآية التي تليها، حتى نصل إلى نهاية آيات المجموعة، ثم ننظر إلى الإيقاع العام للمجموعة الناتج عن التوزيع الدقيق لمواضع النبر فيها. بهذه الكيفية يمكن معرفة النغم الخفي في آيات المجموعة.

وقد جعلتُ هذه العلامة (‘) للنبر الرئيسي، والعلامة (’) للنبر الثانوي.

ويمكن تنفيذ هذه الآلية من خلال تحديد موضع النبرين بكل آية على حدة، نحو:

الآية الأولى: إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ

إِ /ذَا /وَ /قَ /عَ /تِلْ /وَا /قِ /عَةْ[1]

ص حʻ /ص ح ح/ص حʻ /ص ح/ص ح/ص ح ص/ص حʻ ح/ص ح/ص ح ص

النبر الأولى: إِذَا: إ: ص حʻ، وقعَتْ: وَ: ص حʻ، الواقعة: وا: ص حʻح

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله { عَتْ اَلْ } فغيره إلى(تِلْ) بأن:

أ- حول تركيبه المقطعي من {ص ح ص+ ص ح ص} إلى {ص ح+ ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

ب- فَتَحَ المقطع المغلق: فتحول {عَتْ: ص ح ص } إلى -> { عَ: ص ح }.

ج- ظل النبر الأولى على المقطع (وا: ص حʻ ح)

الآية الثانية: لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ

لَيْ /سَ /لِ /وَقْ /عَ /تِ /هَ /كَا /ذِ /بَةْ

ص حʻ ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص حʻ/ص ح/ص ح/ص حʻ ح/ص ح/ص ح ص.

النبر الأولى: لَيْسَ: لي: ص حʻص، لوقعتها: عَ: ص حʻ ، كاذبة: كا: ص حʻ ح.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على {تِهَاْ} فغير فيه إلى (تِهَ)بأن:

حول المقطع {تها: ص ح + ص ح ح } إلى { ته: ص ح + ص ح } بتقصير المقطع الطويل (ص ح ح) للوصل، "ظاهرة الكمية"، أي تقصير حركة طويلة لتصبح (ص ح). فظل النبر على المقطع (كا: ص ح ح).

الآية الثالثة: خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ

خَا /فِ /ضَ /ةُ+ نْ[2] /رَا /فِ /عَةْ

ص ح ح / ص حʻ / ص ح/ص ح ص/ ص حʻ ح/ ص ح/ص ح ص

(١) هذه العلامة (/) إشارة إلى بداية المقطع.

(٢) هذه النون نون التنوين تنطق ولا تكتب ولهذا تم ضمينها بالتقسم المقطعى للنطق بها.

النبر الأولى: خافضة: فـِ: ص ح ʻ، رافعة: را: ص ح ʻح.

نبر السياق: وقع النبر في الآية على قوله { فِضَةٌ } فغير فيه إلى(فضة+ن) بأن:

أ- حول المقطع {فِضَةٌ: ص ح+ص ح+ ص ح} إلى {فضتن: ص ح + ص ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب- غَلَقَ المقطع المفتوح: هكذا { ـةُ: ص ح ـ> تُنْ: ص ح ص }.

ج- ظل النبر الأولى في الفاصلة على المقطع (را: ص ح ح)

موضع النبر في فواصل المجموعة:

نلاحظ أن النبر وقع في الفواصل كلها في موقع واحد؛ على المقطع الثالث حين نعد من آخر الفاصلة، وأنه على مقطع من نوع واحد (ص ح ʻ ح)، مما يؤدى إلى توافق بين فواصل المجموعة كلها في الإيقاع نتيجة الاتفاق في موقع النبر ومقطعه في كل فواصل المجموعة.

التنغيم:

وقع التنغيم في آيات المجموعة في موضع واحد تكرر في الموضع نفسه في فاصلة كل آية وهو(الواقعة: **وا** /كاذبة: **كا** / رافعة: **را**) في مقطع واحد (ص ح ص) مما يؤدي إلى تناسق والتوافق الصوتي في المجموعة.

نوع التنغيم:

١. الآية الأولى: التنغيم مستوى، لأن الآية جملة شرطية ذكر فيها فعل الشرط فقط، فكان التنغيم مستويا إنتظارا لجواب الشرط الآتى بعد ذلك.
٢. الآية الثانية: التنغيم هابط ، حيث الآية جملة خبرية انتهى معناها بنهايتها.
٣. الآية الثالثة: التنغيم هابط ، حيث الآية جملة خبرية انتهى معناها بنهايتها.

رابعا: أثر تعانق العناصر الصوتية على صناعة المعنى:

تعاونت العناصر الصوتية السابقة معا لصنع الإيقاع الخاص بهذه المجموعة فجاء في صورة نغم خاص بها، ليكوّن صورة لهول هذا اليوم، ويبدو ذلك في:

١. النبر على أول الآية الأولى على المقطع الأول من كلمة (إذا) أظهر ما فيها من

معنى الشرط التحذيري، فقد تم الجمع بين زمنين مختلفين من خلال كلمتين ١. زمن المستقبل في (إذا) حيث تعنى التحذير من وقوع حدث قادم. ٢. زمن الماضي في الفعل (وقعتْ) الذي دلَّ ببنيته على الماضي. فاجتماع الزمنين معا أعطيا دلالة جديدة إلى جانب الدلالة الزمنية والشرطية، وهى الدلالة التحذيرية التي تفهم من قوله تعالى: إذا وقعت، أي احذروا أن تقع.

٢. هاء السكت التي في نهاية كل فواصل المجموعة التي تنطق هاءًا للوقوف عليها، مع وجود النبر على المقطع الأول من الكلمة (التي هي الفاصلة) جعل المتكلم يضغط على المقطع الأول، ثم يستمر في نطق سائر مقاطع الكلمة، ليمهد للوقوف على المقطع الأخير فيها، ثم يمتد نفس المتكلم لينتهي مع تلك الهاء التي انطلقت من جوفه (فهي صوت حنجري) حتى ينقطع النفس عند هذه الهاء مع الوقف عليها، ليسكت مُشكِّلا بذلك نغما واحدا متماثلا مع نهاية فواصل كل آيات المجموعة. .

٣. تكرار كلمة ما مع أحد مشتقاتها في الآية الأولى؛ كوّن إيقاعا خاصا بتلك الآية، وكأن الثانية صدى للكلمة الأولى، وأكَّد على المعنى الكلمتين، نحو: الفعل (وقع) + مصدره (واقعة) ـ> ليدل على معنى الوقوع، مما أوجد لدينا شعورا بحقيقة وقوع حدث القيامة؛ كأنه قد وقع حقا فيما مضى

٤. الوزن الصرفي: يتعانق الوزن الصرفي مع الصوت لتأكيد المعنى؛ ذلك من خلال تكرار وزن معين هو "فاعلة". فقد تكرر عدة مرات في داخل المجموعة موزعا بطريقة تصاعدية، حيث ظهر في الفاصلة الأولى أول مرة، ثم الفاصلة الثانية، وسيطر على الآية الثالثة كاملة حيث تكرر مرتين في كلمتين هما كلمات الآية الثالثة كلها، ذلك من خلال تلك الكلمات (الواقعة ـ كاذبة ـ خافضة ـ رافعة) فكان لتكرار هذا الوزن مع حسن توزيعه بشكل متصاعد في المجموعة ما له من أثر صوتي كبير، حيث تكرار الوزن نفسه يعنى تكرار مقاطعه نفسها داخل آيات المجموعة بصورة متماثلة، فهو تماثل في حركات وسكنات هذا الوزن وتتابعها، واقتران ذلك بالمعاني المتقاربة لهذه الكلمات التي جاءت لتؤكد المعنى بذكر الفعل ومصدره؛ فتصور هول ذلك اليوم .

المجموعة الثانية

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾.

أولا: من أقوال المفسرين:

قال القرطبي: "قوله تعالى: إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا أي زلزلت وحركت عن مجاهد وغيره، يقال: رجه يرجه رجا أي حركه وزلزله. وناقة رجاء أي عظيمة السنام. قال الكلبي: وذلك أن الله تعالى إذا أوحى إليها اضطربت فرقا من الله تعالى. قال المفسرون: ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى يتهدم كل ما عليها، وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها. وعن ابن عباس: الرجة الحركة الشديدة يسمع لها صوت... وقيل: أي وقعت الواقعة إذا رجت الأرض؛ قاله الزجاج والجرجاني. وقيل: أي: اذكر إذا رجت الأرض رجا مصدر وهو دليل على تكرير الزلزلة.

"قوله تعالى: وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا أي فتتت، عن ابن عباس. مجاهد: كما يبس الدقيق أي يلت. والبسيسة السويق أو الدقيق يلت بالسمن أو بالزيت ثم يؤكل ولا يطبخ... أي تصير الجبال ترابا فيختلط البعض بالبعض. وقال الحسن: و " بست " قلعت من أصلها فذهبت، نظيره: ينسفها ربي نسفا...: وقال الحسن: قطعت قطعا. والمعنى متقارب.

" قوله تعالى: فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا قال علي رضي الله عنه: الهباء الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب، فجعل الله أعمالهم كذلك. وقال مجاهد: الهباء هو الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار. وروي نحوه عن ابن عباس. وعنه أيضا: هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطير منها شرر فإذا وقع لم يكن شيئا... وقراءة العامة منبثا بالثاء المثلثة أي متفرقا من قوله تعالى: وبث فيها من كل دابة أي فرق ونشر." [(١)].

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٦٥ ـ ٦٣٦٧.

ثانيا : التحليل المقطعي

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾

إِ / ذَا / رُجْ / جَ /تِلْ / أَرْ / ضُ / رَجْ / جَ

ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾

وَ / بُسْ / سَ / تَلْ / جِ / بَا / لُ / بَسْ / سَ

ص ح/ص ح ص/ص ح /ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾

فَ / كَا / نَتْ / هَ / بَا / ءَ+نْ / مُنْ / بَثْ /ثَ

ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح

ثالثاً : التركيب المقطعي للمجموعة

جاء التحليل المقطعي للآيات كما قرأ الشيخان (محمد صديق المنشاوي/ على عبد الرحمن الحذيفي) متطابقا، فلم أجد فروقا صوتية في نطقهما (حسب سماعي الشخصيّ لهما، وتحليليّ لأنظمة التركيب المقطعي الواردة في قراءة الشيخين) فقد جاءت متطابقة فيما بينهما في قواعد التنظيم (التركيب) المقطعي في اللغة العربية.

اشتملت آيات المجموعة على المقطع القصير المفتوح: ص ح، للدلالة على الحكم القاطع بوقوع إرادة الله وتمام أمره.

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة هي:

١- شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة سبعة وعشرون مقطعا من ثلاثة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر اثنتي عشرة مرة.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر إحدى عشرة مرة .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر أربع مرات .

د - التوافق العددي في المقاطع بآيات المجموعة؛ فهي تسعة مقاطع بكل آية.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ - شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح.

ب - لا نجد بالمجموعة المقطعين: المديد المغلق ولا الزائد في الطول.

ج - توافق عدد المقاطع بكل آيات المجموعة؛ أوجد توافقا في عدد الانقباضات الصدرية مع كل آية وأختها، وتناسقا بحركة القفص الصدري فأنتج رتما واحدا.

٢- اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ - الآية الأولى: تحول المقطع {جَتْ اَلْ: ص ح ص + ص ح ص } إلى {جَ تِلْ: ص ح + ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل. [سياق الاستعمال]

ب - الآية الثانية: تحول المقطع {سَتْ اَلْ: ص ح ص+ ص ح ح} إلى {سَ تل: ص ح + ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل . [سياق الاستعمال]

ج - الآية الثالثة: تحول المقطع {باءً: ص ح ح+ ص ح} إلى {باءن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣ - إغلاق أو فتح بعض مقاطع المجموعة:

أ - فتح مقطع مغلق: كما في الآية الأولى { جَتْ: ص ح ص > جَ: ص ح }.

ب - غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة {ءً: ص ح > ءَنْ: ص ح ص }.

٤ - التكوين المقطعي للفاصلة:

أتى الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة في تكوينها المقطعي؛ حيث جاءت الفواصل بنهاية مقطعية واحدة { ص ح ص + ص ح } فأحدث توافقا بالدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية مع كل فاصلة: رجًّا ، بسًّا ، منبثًّا.

التكوين المقطعي للمجموعة وعلاقته بسابقتها:

١- تنتهى فواصل المجموعة كلها بمقطعين هما: (ص ح ص) و(ص ح) على

التوالي، وهذا يعني أن كل فواصل المجموعة تُنْطق بطريقة واحدة، وبالخفقة الصدرية التي يخفقها الصدر مع كل فاصلة من فواصل المجموعة، نتيجة لأن الخفقتين الأخيرتين متماثلتان، وهذا التوافق في الجزء الأخير من الفواصل المتتالية أنشأ الرتم المتكرر الذي نتج عنه الإيقاع الخاص بتلك الفواصل؛ فما يثبتُ بالذهن هو الإيقاع الأخير من الفاصلة، الذي يتكرر في كل الفواصل.

٢. عدد المقاطع في آيات هذه المجموعة واحد، هو تسعة مقاطع في كل آية، وهذا يعني أن كمية الأصوات فيها متقاربة، وإن لم تكن متطابقة؛ وهذا يستوجب أن يكون عدد الخفقات فيها واحدا أيضا، حيث كل مقطع يتم نطقه بخفة صدرية واحدة، أي دفعة هوائية واحدة، وهذا التطابق بين عدد المقاطع في الآيات يعطي نغما ساحرا خفيا وإيقاعا واحدا منتظما، إلى جانب ذلك نلاحظ عدم التطابق بينهم في توزيع المقاطع داخل كل آية، فلكل آية تناسق وتسلسل مقطعي خاص بها، مختلف عن أختها لِيُنَوِّع الإيقاع داخل الآيات، ولا يتطابق بل يتقارب، وهذا التنوع والاختلاف في توزيع العدد نفسه من المقاطع هو سر هذا النغم الآتي من تناسق المقاطع وحسن ترتيبها، وهو التوازي بين الآيات.

٣. إن هذا العدد من المقاطع في هذه المجموعة (تسعة مقاطع) هو نفسه عدد مقاطع الآية الأولى من المجموعة الأولى، على الرغم من أن الآيتين التاليتين لتلك الآية في المجموعة الأولى مختلفتان، هذا الاختلاف أحدث تنوعا في الإيقاع بتنوع عدد المقاطع؛ فهو مختلف في وسط المجموعة الأولى ومتوافق في عدد المقاطع في الآية الأولى منها، مع العدد نفسه ثلاث مرات في آيات المجموعة الثانية كلها، فأحدث هذا الاختلاف هزة للسامع لفتتْ انتباهه وأخرجتْه من رتابة التكرار، بتنوع الإيقاع الناتج عن اختلاف في عدد المقاطع.

٤. جاءت فواصل المجموعة على نمط واحد مختلفا عن المجموعة التي قبلها؛ لاختلف فواصل المجموعتين في نوع المقطع الأخير وما قبله؛ فأحدث ذلك اختلافا في إيقاع المجموعتين؛ فأذهب عنهما رتابة التكرار بتغيير إيقاعهما.

٥. صدى الصوت: نلاحظ أن هذا التشديد (الذي هو إعطاء الصوت مدة زمنية أطول عند النطق) ينطلق من وسط كل آية لنسمع صداه في نهايتها عند الفاصلة في نغم متآلف مع ذلك التشديد الآتي من الفعل الذي في وسط الآية، وظهوره كصدى الصوت في مصدر هذا الفعل الذي أتى في نهاية الآية، فلو حاولتَ تكرار كل كلمتين من هذه الكلمات عدة مرات نحو: { رُجّتْ رجًّا // بُسّتْ بَسًّا // مُنْبثًّا } فستسمع هذا الصدى وتلاحظ القيمة الصوتية لهذا التشديد الذي أدى إلى:

أ. ظهور نغم متقارب ناتج عن تكرار جذر واحد في الآية أتى من الجمع بين الفعل ومصدره.

ب. الأثر الدلالي: نرى أثر الصوت على المعنى العام في الإحساس بزلزلة يوم القيامة؛ نتيجة الصوت المشدد في هذه الكلمات المتتالية {رُجّتْ رجًّا // بُسّتْ بَسًّا // مُنْبثًّا} فأعطى معني الشدة الذي توافق مع المعنى الأصلي للكلمات المتفق من طبيعة حدث القيامة.

ج. ناهيك عن النغم الجميل المتسلل عبر هذه الآيات المتمثل في صوت الضمة الموجود في أول الفعل رُجّتْ، والفعل بُسّتْ، وعلى فاصلة الآية الأخيرة مُنبثًّا فنلاحظ حسن التوزيع صوت الضمة في آيات المجموعة، حيث توافق موضع الضم في أول الفعلين: رُجَّ وبُسَّ، في أول آيتين مع أول الفاصلة الأخيرة؛ فجاءت على هذا الترتيب: رُجَّتْ ..(٤) بُثَّتْ ...(٥) ... مُنْبثًّا(٦).

من هذا التنوع في توزيع الأصوات نستطيع القول: إن القرآن الكريم، سار على نهج معين في تحقيق الإيقاع في آياته؛ انطلقا من مفهومين أساسيين هما:

الأول: التوافق بين الإيقاع الموجود في الآيات المتتالية بعنصر من عناصرها الصوتية لإيجاد هذا الإيقاع الصوتي؛ ثم تكراره بمقطع أو نبر أو صوت معين.

الثاني: سرعة تبديل هذا العنصر المحقق لهذا الإيقاع المتكرر بعنصر آخر مشابها له في المجموعة التالية، وربما في الآية التالية، مما أنتج إيقاعا خاصا متنوعا متبدلا يصعب أن يوضع في إطار قاعدة تحكمه، وتقيده، أو تحد من تنوعه كالوزن والقافية، أو يحد من الإبداع فيه بسبب التكرار وعدم التجديد،

فينتج عن ذلك ما يعرف في الشعر بالقافية المتوقعة، حيث يتوقع السامع ما سيقوله المتكلم في نهاية البيت، بل إنه يحمل عنصر المفاجأة للسامع بالانتقال من إيقاع إلى إيقاع جديد لا يتوقعه السامع، كذلك الانتقال بمصدر الإيقاع من موضع إلى آخر، مع كلمة جديدة ومعنى جديد؛ يفاجئ به السامع؛ فيظل مستعدا لسماع الجديد منه.

رابعاً: مواضع النبر في الآيات

الآية الأولى: إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا

إِ / ذَا / رُجْ / جَ /تِلْ / أَرْ / ضُ / رَجْ / جَ

ص ح ٔ /ص ح ح /ص ح ٔص /ص ح /ص ح ص /ص ح ٔص /ص ح /ص ح ٔص /ص ح.

نبر الأولى: إذا: إ: ص ح ٔ، رُجَّتْ: رُجْ: ص ح ٔص، الأرض: أَرْ: ص ح ٔص، رجًّا: رَجْ: ص ح ٔص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {جَتْ اَلْ } فغيره بأن:

أ) حول تركيبه المقطعي من {ص ح ص+ ص ح ص} إلى {ص ح+ ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

ب) فَتَحَ المقطع المغلق: فتحول {جَ تْ: ص ح ص} إلى ـ>{ جَ: ص ح }.

الآية الثانية: وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا

وَ / بُسْ / سَ / تَلْ / جِ / بَا / لُ / بَسْ / سَ

ص ح /ص ح ٔص /ص ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ٔ ح /ص ح /ص ح ٔص /ص ح.

نبر الأولى: بُسَّتْ: بُسْ: ص ح ٔص، الجبال: با: ص ح ٔح، بَسًّا: بَسْ: ص ح ٔص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {سَتْ اَلْ } فغيره إلى (تِلْ) بأن:

أ) حول تركيبه المقطعي من {ص ح ص+ ص ح ص} إلى {ص ح+ ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

ب) فَتَحَ المقطع المغلق: فتحول {سَ تْ: ص ح ص} إلى ـ> {سَ: ص ح }

الآية الثالثة: فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا

فَ / كَا / نَتْ / هَ / بَا / ءَ+نْ / مُنْ / بَثْ /ثَ

ص ح/ص ح ٌ ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ٌ ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ٌ ص/ص ح.

النبر الأولى: كانت: كا: ص ح ٌح، هباءً: با: ص ح ٌح، مُنْبَثًّا: بَثْ: ص ح ح.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله { باءً } فغيره إلى(ءَ+نْ) بأن:

أ) حول المقطع {باءَ: ص ح ح+ ص ح} إلى {باءن: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين، كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلْقَ المقطع المفتوح: هكذا { ءَ: ص ح ـ> ءَنْ: ص ح ص }.

ملاحظات على مواضع النبر:

١. جاء موضع النبر في هذه المجموعة علي المقطع قبل الأخير في كل فواصلها؛ فكان موضع النبر، مما جعل الإيقاع الآتي من كل فواصل المجموعة متساويا متماثلا، لتساوي الفواصل في عدد مقاطعها، ومواضع النبر فيها، كالتوافق الذي رأيناه في فواصل ومواضع النبر في المجموعة (الأولى) فيصبح لكل مجموعة إيقاعا خاصا بها نتج عن توافق مقطع وموضع النبر في كل مجموعة على حدة، فيتغير بذلك نوع الإيقاع في المجموعة الثانية عن إيقاع المجموعة الأولى، وطريقة خروج الهواء، وانقباض القفص الصدري فيهما.

٢. نلاحظ أن الآية الأولى في المجموعة الأولى والآية الأولى بالمجموعة الثانية كانتا عبارة عن جملة شرطية بدأتا بـ(إذا) الشرطية فيهما، هذا الأمر أدى إلى توافق صوتي بين الآيتين؛ في بدايتهما المقطعية، وموضع النبر فيهما، وقد أتى هذا التوافق التركيبي الصوتي لأسباب دلالية، وهى أن الحدث فيهما في يوم واحد، فهو في الأولى إشارة إلى وقوع الواقعة (يوم القيامة) وفى الثانية إشارة إلى أثر ذلك على الأرض والجبال، فاستخدم لذلك التركيب الشرطي نفسه (إذا) فأكد على معنى الاستقبال في الحدثين بالضغط على المقطع الأول من (إذا).

التنغيم:

وقع التنغيم في آيات المجموعة في موضع واحد تكرر في الموضع نفسه في فاصلة كل آيات المجموعة وهو(رَجًّا: **رج** / بثًّا: **بث** / مبثًّا: **بث**) في مقطع واحد (ص ح ص) مما يؤدي إلى تناسق والتوافق الصوتي في المجموعة.

نوع التنغيم:

١. الآية الأولى: التنغيم مستوى، لأن الآية جملة شرطية ذكر فيها فعل الشرط فقط، فكان التنغيم مستويا إنتظارا لجواب الشرط الآتى بعد ذلك.
٢. الآية الثانية: التنغيم مستوى أيضا، حيث الآية الثانية معطوفة على ما قبلها.
٣. الآية الثالثة: التنغيم هابط ، حيث الآية جملة خبرية انتهى معناها مع نهايتها.

خامساً: أثر التكوين المقطعي على المعنى

نلاحظ في هذه المجموعة تأثير التكوين المقطعي على المعنى، حيث نجد المقطع الثالث الذي تكوَّن على أفعال المجموعة ومصادرها المشددة كان هذا التشديد مناسبا لهول ذلك اليوم، فبين أثره على الأرض والجبال. فلولا التشديد على هذه الأفعال ومصادرها ما شعرنا بذلك الهول؛ فصوّر لنا ذلك كله المقطع الثالث في المواضع المختلفة من الآيات، يقول الإمام الرازي "إذا وقعت الواقعة" تزلزل الناس، فتخفض المرتفع، وترفع المنخفض، ... والواقعة التي تقع ترفع المنخفضة فتجعل من الأرض أجزاء عالية ومن السماء أجزاء سافلة، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ ﴾ فإنه إشارة إلى أن الأرض تتحرك بحركة مزعجة، والجبال تتفتت، فتصير الأرض المنخفضة كالجبال الراسية، والجبال الشامخة كالأرض السافلة، كما يفعل هبوب الريح في الأرض المرملة"[١] فصور لنا تشديد الصوت هذا الهول.

(١) التفسير الكبير: للرازي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ٢٠٠٣المجلد الخامس عشر ص ١٣٦.

المجموعة الثالثة

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ ﴾ الواقعة: ٧ – ٩.

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "قوله تعالى: وكنتم أزواجا ثلاثة أي أصنافا ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه، كما يشاكل الزوج الزوجة، ثم بين من هم فقال: فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون. فأصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار؛ قاله السدي. والمشأمة الميسرة، وكذلك الشأمة... وقال ابن عباس والسدي: أصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين حين أخرجت الذرية من صلبه فقال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي. وقال زيد بن أسلم: أصحاب الميمنة هم الذين أخذوا من شق آدم الأيمن يومئذ، وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر. وقال عطاء ومحمد بن كعب: أصحاب الميمنة من أوتي كتابه بيمينه، وأصحاب المشأمة من أوتي كتابه بشماله. وقال ابن جريج: أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات، وأصحاب المشأمة هم أهل السيئات. وقال الحسن والربيع: أصحاب الميمنة الميامين على أنفسهم بالأعمال الصالحة، وأصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم بالأعمال السيئة القبيحة... وقال المبرد: وأصحاب الميمنة أصحاب التقدم، وأصحاب الشأمة أصحاب التأخر. والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي: اجعلني من المتقدمين ولا تجعلنا من المتأخرين. والتكرير في ما أصحاب الميمنة و ما أصحاب المشأمة للتفخيم والتعجيب، كقوله: الحاقة ما الحاقة و القارعة ما القارعة كما يقال: زيد، ما زيد ! وفي حديث أم زرع رضي الله عنها: مالك وما مالك ! والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب ولأصحاب المشأمة من العقاب وقيل: "أصحاب" رفع بالابتداء والخبر ما أصحاب الميمنة كأنه قال: فأصحاب الميمنة ما هم؟، المعنى: أي شيء هم؟. وقيل: يجوز أن تكون "ما" تأكيدا، والمعنى فالذين يعطون كتابهم بأيمانهم هم أصحاب التقدم

وعلو المنزلة."[١]

ثانيا: التحليل المقطعي:

وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ وَ/ كُنْ / تُمْ / أَزْ / وَا / جَ+نْ / ثَ / لا / ثَةْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ ص ح ص

فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ فَ / أَصْ / حَا / بُلْ / مَيْ / مَ / نَ / ـةِ / مَا/ أَصْ / حَا / بُلْ / مَيْ / مَ / نَةْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص

وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾

وَ /أَصْ /حَا / بُلْ / مَشْ / أَ /مَ / ـةِ / مَا / أَصْ / حَا / بُلْ / مَشْ / أَ / مَةْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص

جاء التحليل المقطعي للآيات كما قرأ الشيخان (محمد صديق المنشاوي/ على عبد الرحمن الحذيفي) متطابقا، فلم أجد فروقا صوتية في نطقهما (حسب سماعي الشخصيّ لهما، وتحليليّ لأنظمة التركيب المقطعي الواردة في قراءة الشيخين) فقد جاءت متطابقة فيما بينهما في قواعد التنظيم (التركيب) المقطعي في اللغة العربية.

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة هي:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة تسعة وثلاثون مقطعا من ثلاثة أنواع هي:

---

(١) تفسير القرطبي: ج٩ ص٦٣٦٨

أ ـ المقطع القصير المفتوح (ص ح) تكرر اثنتي عشرة مرة.

ب ـ المقطع الطويل المغلق (ص ح ص) تكرر تسع عشرة مرة .

ج ـ المقطع الطويل المفتوح (ص ح ح) تكرر ثمان مرات .

د ـ التوافق في عدد المقاطع ونوعها وترتيبها بآية الثانية والثالثة من المجموعة.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ ـ شيوع المقطع الطويل المغلق، يليه المقطع القصير المفتوح، ثم المقطع الطويل المفتوح.

ب ـ لا نجد بالمجموعة المقطعين: المديد المغلق ولا الزائد في الطول.

ج ـ توافق عدد المقاطع ونوعها وترتيبها في الآية الثانية والثالثة من المجموعة مما أوجد توافقا في عدد الانقباضات الصدرية مع هاتين الآيتين وتماثلا وتناسقا في حركة القفص الصدري فأنتج رتما واحدا فيهما.

٢ـ اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ ـ الآية الأولى: تحول المقطع { واجَ: ص ح ح+ ص ح} إلى { واجن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

ب ـ الآية الثانية: تحول المقطع {بُ اَلْ: ص ح + ص ح ص }إلى { بُلْ: ص ح ص } بإسقاط همزة الوصل. {تكرر ذلك مرتين بالآية} [سياق الاستعمال]

ج ـ الآية الثالثة: تحول المقطع {بُ اَلْ: ص ح + ص ح ص }إلى { بُلْ: ص ح ص } بإسقاط همزة الوصل.{تكرر ذلك مرتين بالآية} [سياق الاستعمال]

٣ ـ إغلاق أو فتح بعض مقاطع المجموعة:

غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الأولى { جَ: ص ح > جَنْ: ص ح ص } .

٤ ـ التكوين المقطعي للفاصلة:

أتى الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة في تكوينها المقطعي؛ حيث انتهت الفواصل بنهاية مقطعية واحدة هي { ص ح ص } فأحدث ذلك توافقا في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة: ثلاثة، ميمنة، مشأمة .

العلاقة بين المعنى والصوت والتكوين المقطعي في المجموعة:

١. **تتكون هذه المجموعة من ثلاث آيات تنتهي فواصلها بالمقاطع:** (ثة - نة - مة) (ص ح ص) لتكوّن نغما متجانسا مختلفا عما قبله، وقد جاءتْ الفاصلتان الأخيرتان على الوزن نفسه وترتيب ونوع مقاطعهما. مع تبادل بين الميم والنون في المقطع الأخير منهما، مما يستوجب على القارئ استخدام الكمية نفسها من الهواء؛ ليُخْرِج العدد نفسه من الدفقات الهوائية، فيتحرك قفصه الصدري بالعدد نفسه من الحركات ، نتيجة لوجود المقاطع نفسها وتطابقها.

٢. **تغير البناء التركيبي ليحقق التوافق المقطعي والصوتي في المجموعة**، نحو:

أ - بدأت الآية الثانية بحرف الفاء لتكوّن المقطع (ص ح) في مقابل الواو في بداية الآية الثالثة لتكوّن المقطع نفسه (ص ح)أيضا: فيحدث التوازن الكامل في عدد المقاطع ونوعها بين الآيتين، انظر لقوله: فأصحاب الميمنة... الآية❖ وأصحاب المشأمة... الآية. هذا الأمر جعل الآيتين متساويتين تماما في نوع المقاطع وعددها وترتيبها وموضع النبر في فاصلتهما على الرغم من اختلاف المعنى وتضاده في الآيتين؛ فكوَّن إيقاعا متشابها في الآيتين المتتاليتين.

ب- كلا الآيتين السابقتين يمكن تقسيم كل آية منهما على قسمين متساويين؛ فتبدو لنا كل آية منهما في شكل قسمين متساويين من حيث عدد المقاطع ونوعها وترتيبها، ذلك إذا قرأنا كل الآية منهما على دفعتين متتاليتين، فنقف في منتصف كل آية بهاء السكت فنقول: فأصحاب الميمنة {مع سكتة خفيفة} ما أصحاب الميمنة؛ وأصحاب المشأمة {مع سكتة خفيفة} ما أصحاب المشأمة، فنجد أنهما قد كوَّنا قسمين متساويين تماما، مما يعطي كل آية إيقاعا متميزا متساويا متكررا نتيجة لهذا التوازن.

ج- هذه السكتة الخفيفة في وسط الآية أعطت معنى الدهشة الذي أظهره الاستفهام الآتي بـ (ما) فهو استفهام تعجبي ناتج عن إبراز أداة الاستفهام (ما) بهذه السكتة الخفيفة التي قبلها، بل إننا نؤكد هذا الإيقاع

الخاص بالعبارة الأولى في كل آية بتكرارها هي نفسها مرة أخرى في جملة الاستفهام التي بعدها.

وقد ربط الرازي بين إعراب الآية والمعاني التي يمكن أن تنتج عن هذا الإعرابي، مع تصور وجود هذه السكتة بين الجملتين، بقوله: "ما إعرابه ومنه يعرف معناه؟ نقول: (فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ) مبتدأ أراد المتكلم أن يذكر خبره فرجع عن ذكره وتركه، وقوله: (مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ) جملة استفهامية على معنى التعجب، كما تقول لمدعي العلم: ما معنى كذا مستفهما ممتحنا زاعما أنه لا يعرف الجواب، حتى إنك تحب وتشتهي ألا يجيب عن سؤالك ولو أجاب لكرهته؛ لأن كلامك مفهوم كأنك تقول: إنك لا تعرف الجواب، إذا عرفت هذا فكأن المتكلم في أول الأمر مخبر ثم لم يخبر بشيء لأن في الأخبار تطويلا ثم لم يسكت، وقال ذلك ممتحنا زاعما أنك لا تعرف كنهه، وذلك لأن من يشرع في كلام ويذكر المبتدأ ثم يسكت عن الخبر قد يكون ذلك السكوت لحصول علمه بأن المخاطب قد علم الخبر من غير ذكر الخبر، كما أن قائلا: إذا أراد أن يخبر غيره بأن زيدا وصل، وقال: إن زيدا ثم قبل قوله: جاء وقع بصره على زيد ورآه جالسا عنده يسكت ولا يقول جاء؛ لخروج الكلام عن الفائدة، وقد يسكت عن ذكر الخبر من أول الأمر؛ لعلمه بأن المبتدأ وحده يكفي لمن قال: من جاء فإنه إن قال: زيد يكون جوابا وكثيرا ما نقول: زيد ولا نقول: جاء، وقد يكون السكوت عن الخبر إشارة إلى طول القصة كقول القائل: الغضبان من زيد ويسكت ثم يقول: ماذا أقول عنه. إذا علم هذا فنقول لما قال:)فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ (كان كأنه يريد أن يأتي بالخبر فسكت عنه ثم قال في نفسه: إن السكوت قد يوهم أنه لظهور حال الخبر كما يسكت على زيد في جواب من جاء فقال: (مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ) ممتحنا زاعما أنه لا يفهم ليكون] ذلك دليلا على أن سكوته على المبتدأ لم يكن لظهور الأمر بل لخفائه وغرابته، وهذا وجه بليغ، وفيه وجه ظاهر وهو أن يقال: معناه أنه جملة واحدة استفهامية كأنه قال: وأصحاب الميمنة ما هم؟ على سبيل الاستفهام، غير أنه أقام المظهر مقام المضمر، وقال: (فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ) والإتيان بالمظهر إشارة إلى تعظيم أمرهم

حيث ذكرهم ظاهرا مرتين، كذلك القول في قوله تعالى: (وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ) وكذلك في قوله: (ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢) وفي قوله: (﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ ﴾.[1]

لقد أشار الرازي هنا إلى القيمة الدلالية للاستفهام؛ من خلال إعرابه للآية، فتصور وجود سكتة قبل السؤال (ما أصحاب الميمنة؟) تلك التي أشرتُ إليها آنفا، وبيَّن القيمة الدلالية لوجود هذا التصور، وهنا يربط الرازي بين تصور سكتة ما أثناء الكلام؛ والمعنى الناتج عن ذلك التصور، بما يُعرف عند المحدثين بالفونيمات فوق التركيبية وقيمتها الدلالية، حيث ينظرون إلى الصوت المنطوق وخصائصه الصوتية التي تنطق ولا تكتب؛ والتي تُظْهِر من خلال النطق به المعاني التي لا تظهر بالكتابة، حيث الأصل في الصوت النطق به؛ ذلك لما يحمله من دلالات تعجز عن حملها حروف الكتابة، فجعل مكان السكتة خبر محذوف، استنتجه من وجود تلك السكتة، وهنا تصبح للسكتة قيمة دلالية (كصوت كان ينبغي أن يُنْطق به) تساوى القيمة الدلالية للصوت المنطق تماما.

ثم يوضح الرازي القيمة البلاغية لهذه السكتة قائلا: "المسألة الخامسة: ما معنى قوله: (مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ)؟ نقول: هو ضرب من البلاغة، وتقريره هو أن يشرع المتكلم في بيان أمر ثم يسكت عن الكلام، ويشير إلى أن السامع لا يقدر على سماعه كما يقول القائل لغيره: أخبرك بما جرى عليّ، ثم يقول هناك هو مجيبا لنفسه لا أخاف أن يحزنك، وكما يقول القائل: من يعرف فلانا؟ فيكون أبلغ من أن يصفه، لأن السامع إذا سمع وصفه يقول: هذا نهاية ما هو عليه، فإذا قال: من يعرف فلانا؟ بفرض السامع من نفسه شيئا، ثم يقول فلان عند هذا المخبر أعظم مما فرضته، وأنبه مما علمت منه[2]"

٣- **المقابلة الصوتية بين الآية الثانية والثالثة من المجموعة:** عند المقابلة الصوتية بين هاتين الآيتين نجد تطابقا صوتيا تاما بينهما على الرغم من تضادهما

---

(١) التفسير الكبير للرازي: المجلد ١٥ج٢٩ ص١٤١

(٢) المرجع السابق: المجلد١٥، ج/٢٩، ص ١٤٠

التام في المعنى، فهما قد توافقتا في عدد الأصوات والمقاطع ونوعها وترتيبها، وموضع النبر فيهما، وكأنك تكرر العبارة نفسها أربع مرات (أصحاب الميمنة... أصحاب المشأمة) أدى ذلك إلى إحداث إيقاع واحد متوافق متكرر أربع مرات متتالية على أذن السامع، فلم يُخْرِجْ السامع من سحر هذا الإيقاع المتوافق سوى ذلك التضاد في المعنى الذي ذهب به كل مذهب، فجعله يخرج من سحر الإيقاع المنتظم، ولذة الأمل بأن يكون من أصحاب الميمنة؛ ليفاجئ النصُ سامعه بصورة مناهضة تماما لما سبق؛ هي صورة أصحاب المشأمة، وما يتبعه من شؤم العاقبة والوعيد الذي جاء مع ذلك الاستفهام، وقد قال عنه الرازي " {ما أصحاب الميمنة} جملة استفهامية على معنى التعجب"[(١)] على عكس الاستفهام الذي في الآية الأولى الذي يحمل البشرى لسامعه. يقول الطاهر ابن عاشور"استغني هنا عن الإخبار عن كلا الفريقين بخبر في وصف بعض حاليهما بذكر ما هو إجمال لحاليهما مما يشعر به ما أضيف إليه أصحابه من لفظي الميمنة والمشأمة، بطريقة الاستفهام المستعمل في التعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة، وهو تعجب ترك على إبهامه هنا لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن من الخير والشر فـ(ما) في الوضعين اسم استفهام"[(٢)]

٤. **المقابلة الصوتية بين المقطع الأخير في فواصل المجموعة الأولى والثالثة:** يتبين من تلك المقابلة أنهما تحتويان على نهاية مقطعية واحدة، فكل منهما ينتهي بفاصلة تنتهي بمقطع (ص ح ص) وهاء السكت بآخر هذا المقطع؛ فنجد فواصل المجموعة الأولى تنتهي بـ(عة - بة - عة) و في الثالثة بـ(ثة - نة - مة) وكأنَّ ذلك تذكرة بالإيقاع الأول للمجموعة الأولى أو تكرار له هنا، من خلال أصوات جديد مع المقطع (ص ح ص) نفسه، وصوت هاء السكت، التي تمكن القارئ من تفريغ مخزون الهواء في صدره مع الوقف عندها،

---

(١) التفسير الكبير: المجلد الخامس عشر / ص١٤٠

(٢) التحرير والتنوير: المجلد الحادى عشر/ج ٢٧ /ص٢٨٦

وانتهاء النفس بخروج الهواء من أعماق الحلق (فالهاء صوت حنجري مهموس) أي يخرج الهواء معه بدون عائق من الوترين أو حركة منهما ، وينتهي النفس الممتد عند هذه الهاء، مع نهاية كل آية في فواصل المجموعتين الأولى والثالثة.

ثالثا: موضع النبر في الآيات

الآية الأولى: وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً

وَ / كُنْ / تُمْ / أَزْ / وَا / جَ+نْ / ثَ / لا / ثَةْ

ص ح/ص ح' ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح' ح/ص ح ص/ص ح/ص ح' ح/ ص ح ص

النبر الأولى: كنتم: كُنْ: ص ح' ص، أزواج: وا: ص ح'ح، ثلاثة: لا: ص ح'ح .

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {جَ + نْ } فغيره بأن:

أ) حول المقطع {جَ: ص ح} إلى {جَن: ص ح ص} بإضافة نون التنوين، كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { جَ: ص ح ـ> جَنْ: ص ح ص }.

الآية الثانية: فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ

فَ / أَصْ / حَا / بُلْ / مَيْ/ مَ / نَ/ ـةِ / مَا/ أَصْ / حَا / بُلْ / مَيْ / مَ / نَةْ

ص ح/ص ح' ص/ص ح' ح/ص ح ص/ص ح' ص/ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح' ص/ص ح' ح/ص ح ص/ص ح' ص/ص ح/ص ح ص.

النبر الأولى: أصحاب: حا: ص ح'ح، الميمنة: مَيْ: ص ح'ص ، أصحاب: حا: ص ح'ح ، الميمنة: مي: ص ح'ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {بُ اَلْ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص} إلى {ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الثالثة: وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ

وَ /أَصْ /حَا / بُلْ / مَشْ / أَ /مَ / ـةِ / مَا / أَصْ / حَا / بُلْ / مَشْ/ أَ / مَةْ.

ص ح/ص ح ص/ص حَ ح/ص ح ص/ص حَ ص/ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص حَ ح/ص ح ص/ص حَ ص/ص ح/ص ح ص

النبر الأولى: أصحاب: حا: ص حَ ح، المشأمة: مَشْ: ص حَص، أصحاب: حا: ص حَح، المشأمة: مَشْ: ص حَص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {بُ اَلْ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص} إلى {ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

نبر ثانوي: أصحاب: أَصْ: ص ح ص، بُ المشأمة: بُلْ / ص ح ص.

عناصر تكوين الإيقاع في الفاصلة:

كلمات الفاصلة في المجموعة هي: (ثلاثة ـ الميمنة ـ المشأمة) تمثل هذه الفواصل الثلاثة الإيقاع الذي يتكرر في نهاية الآيات الثلاثة، وقد نتج هذا الإيقاع المتماثل والمتكرر في الفواصل عن التوافق الصوتي بينهم في:

أ- المقطع الأخير فيهم واحد: (ثة ـ نة ـ مة) فكلها من المقطع (ص ح ص).

ب ـ الحرف الأخير فيهم واحد، هاء السكت.

ج ـ التطابق في الوزن الصرفي في الآيتين الأخيرتين، فهما على وزن مفعلة.

التنغيم:

وقع التنغيم في آيات المجموعة في موضعين؛ الأول في الآية الأولى على المقطع قبل الأخير(ثلاثة: لا: ص حَ ح) والثاني في الآية الثانية والثالثة على المقطع الثالث جين نعد من الآخر(الميمنة: مي: ص ح ص❖ المشأمة: مش: ص ح ص) فاختلف بذلك موضع التنغيم في المجموعة

نوع التنغيم:

١ـ الآية الأولى: التنغيم هابط، لأن الآية جملة إخبارية.

٢ـ الآية الثانية: التنغيم صاعد، لأن الآية جملة استفهامية، بها معنى التعظيم.

٣ـ الآية الثالثة: التنغيم صاعد، لأن الآية جملة استفهامة، بها معنى التعظيم.

اللوحة الأولى: مشهد يوم القيامة

أ- وصف اللوحة مقطعيا:

تشتمل هذه اللوحة على الآيات من الآية (١) إلى الآية (٩) تناولت عرضا ليوم القيامة؛ وما يحدث فيه من أهوال في ثلاث مجاميع، كل مجموعة تمثل إيقاعا مستقلا في جمل قصيرة، انتهت المجموعة الأولى بالمقطع (ص ح ص: عة – بة – عة) وفي المجموعة الثانية بالمقطع (ص ح: جَ - سَ- ثَ) وفى المجموعة الثالثة بالمقطع (ص ح ص: ثة. نة. مة) كما في المجموعة الأولى.

وقد أدى الانتقال من فاصلة منتهية بالمقطع (ص ح ص) إلى فاصلة منتهية بالمقطع (ص ح) ثم العودة إلي فاصلة منتهية بالمقطع (ص ح ص) إلى تغيير في رتم الإيقاع داخل اللوحة، من إيقاع متكرر في ثلاث فواصل متتالية إلى إيقاع آخر؛ مختلف عما سبقه، ثم العودة إلى الإيقاع الأول.

ب- التقسيم المقطعي وأثره على المعنى:

١- تقسيم الآيات إلى جمل قصيرة ذات إيقاع متساوٍ منتظم أعطى الإحساس بتقسيم الناس يوم القيامة، إلى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة.

٢- استخدام الفعل المشدد أعطى الإحساس بالزلزلة من هول ذلك اليوم وأثر ذلك على الأرض والجبال والناس.

٣- استخدام الفعل المشدد مع مصدره بالآية نفسها أعطى توافقا في النغم وتساوٍ في الإيقاع، مما أعطى الإحساس بغلظة و شدة هول ذلك اليوم.

٤- تكرار الكلمات والعبارات نفسها في الآية الواحدة أكد المعنى ولفت الانتباه إليه، في إيقاع جميل وفريد نتيجة تكرار المقاطع نفسها ومواضع النبر بها.

كل هذه العناصر كونت لنا تلك اللوحة التي صورت هول يوم القيامة وانقسام الناس فيه، ثم يكتمل الإعجاز القرآني بذكر ثلاث جماعات بدأت بأصحاب الميمنة، ثم أصحاب المشأمة، ثم السابقون، ثم جاء تفصيل القول عنهم..

المجموعة الرابعة

قال تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "السابقون الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم ذكره المهدوي. وقال محمد بن كعب القرظي: إنهم الأنبياء. وقتادة: الحسن السابقون إلى الإيمان من كل أمة. ونحوه عن عكرمة."[1]

وقال ابن كثير: وقوله: (وكنتم أزواجا ثلاثة) أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السدي: وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار - عياذا بالله من صنيعهم - وطائفة سابقون بين يديه وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددا من أصحاب اليمين؛ ولهذا قال: (فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ) (وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ) وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٧]، وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه[2].

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٦٩

(٢) تفسير ابن كثير: ٥١٥

ثانيا: التحليل المقطعي:

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾

وَسْ/سَا/ بِ/قُو/نَ /اَسْ /سَا/ بِ / قُوْنْ أُوْ/ لا / إِ / كَلْ / مُ / قَرْ / رَ / بُوْنْ

ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح

ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ح ص ص

فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

فِي / جَنْ / نَا / تِنْ / نَ / عِيْمْ ثُلْ/ لَ/ةُ + نْ/ مِ/ نَلْ / أَوْ / وَ / لِيْنْ

ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص ح ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ ص

ص/ص ح/ص ح ح ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾

وَ /قَ / لِيْ / لُ+ نْ / مِ / نَلْ / أَ / خِ / رِيْنْ

ص ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح ص.

تقديم: جاءت المجموعة في إيقاع جديد يختلف عمًّا سابق، حيث ظهر المقطع (ص ح ح ص) لأول مرة في السورة، الذي سيصبح إيقاعا ثباتا ومتكررا في أغلب الآيات القادمة. وهذه المجموعة مكونة من خمس آيات، تنتهي آياتها بالمقطع (ص ح ح ص) جاء في كما الآتية: (قون – بون - عيم - لين - رين).

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة أربعون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ ـ مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر خمس عشرة مرة.

ب ـ مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر ثلاث عشرة مرة .

ج ـ مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر سبع مرات .

د ـ مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر خمس مرات .

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ - شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح ، ثم المقطع المديد المغلق.

ب - ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

ج - ظهور المقطع المديد المغلق مع نهاية الفاصلة والوقف عليها .

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ - الآية الأولى: تحول المقطع {وَاَلْسَ: ص ح+ص ح ص+ص ح} إلى { وس: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل ولام التعريف.لأنها شمسية [سياق الاستعمال]
السابقون الثانية: تحول المقطع {اَلْسَ: ص ح ص+ص ح} إلى{اَسْ: ص ح ص} بإسقاط لام التعريف لأنها لام شمسية، وبقاء همزة الوصل. [سياق الاستعمال]

ب - الآية الثانية: تحول المقطع { كَ الْ: ص ح + ص ح ص } إلى { كَلْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء لام التعريف لأنها قمرية [سياق الاستعمال]

ج - الآية الثالثة: تحول المقطع {تِ اَلْ: ص ح+ص ح ص}إلى { تِن: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل ولام التعريف لأنها شمسية. [سياق الاستعمال]

د - الآية الرابعة: تحول المقطع { لةَ: ص ح + ص ح} إلى { لةُ نْ: ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

: تحول المقطع {نَ اَلْ: ص ح + ص ح ص }إلى { نَلْ: ص ح ص } بإسقاط همزة الوصل. [سياق الاستعمال]

هـ - الآية الخامسة: تحول المقطع {نَ اَلْ: ص ح + ص ح ص}إلى {نَلْ: ص ح ص } بإسقاط همزة الوصل. وبقاء لام التعريف لأنها قمرية [سياق الاستعمال]

: تحول المقطع { ليلُ: ص ح ح + ص ح} إلى { ليل+ ن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣ - إغلاق بعض مقاطع المجموعة:

أ - غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الرابعة { ـةُ: ص ح > تُنْ: ص ح ص }.

ب ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الخامسة {لُ: ص ح > لُنْ: ص ح ص}.

٤ ـ التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة في الانتهاء بالمقطعين {ص ح+ ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية. كذلك يحتوى كل مقطع أخير في فواصل المجموعة على حرف ضيق، هو: واو أو ياء.

ثالثا: موضع النبر في الآيات

أنتج النبران الأولى والثانوي مع الانتهاء بالمقطع (ص ح ح ص) بفواصل آيات المجموعة إيقاعا متساويا بكل آيات المجموعة للتساوي في المسافات التي بين النبرين (الأولي والثانوي) كما يأتي:

الآية الأولى: وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾

وَسْ/سَا/بِ/قُوْ /نَ /اَسْ /سَا / بِ/ قُوْنْ

ص ح ص/ص حʼ ح/ص ح/ص حʻ ح/ص ح/ص ح ص/ص حʼ ح/ص ح/ص حʻ ح ص.

نبر أولى: السابقون: قُو: ص حʻح ، السابقون: قُوْنْ /ص حʻح ص

نبر ثانوي: السابقون: سا: ص حʼ ح. السابقون: سا: ص حʼ ح

الآية الثانية: أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ

أُوْ/ لا / إِ / كَلْ / مُ / قَرْ / رَ / بُوْنْ

ص ح ص/ص حʻ ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص حʼ ص/ص ح/ص حʻ ح ص

نبر أولى: أولئك: لا: ص حʻ ح، المقربون: بُوْنْ: ص حʻح ص

نبر ثانوي: المقربون: قر: ص حʼص

الآية الثالثة: فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾

فِي / جَنْ / نَا / تِنْ / نَ / عِيْمْ

ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص حʼ ص/ص ح/ص حʻ ح ص. نبر أولى: في: ص حʻح، جنات: نا: ص حʻ ح، النعيم: عِيْمْ: ص حʻ ح ص

الآية الرابعة: ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

ثُلْ/ لَ/ةُ + نْ/ مِ/ نَلْ / أَوْ / وَ / لِيْنْ

ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ ص ح ص/ص ح ص/ص حʼ ص/ص ح/ص حʻ ح ص

نبر ثانوي: جنات: جن: ص حَ ص، تِنْعيم: تِنْ: ص حَ ص	نبرأولى: الأولين: لِيْنْ: ص حَ ح ص نبر ثانوي: الأولين: أو: ص حَ ص

الآية الخامسة: وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ ﴿١٤﴾

وَ /قَ / لِيْ / لُ+ نْ / مِ / نَلْ / أَ / خِ / رِيْنْ

ص ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص حَ ص/ص ح/ص ح/ص حَ ح ص.

نبر أولى: قليل: لِيْ: ص حَ ح، مِنْ: مِنْ: ص حَ ص، الآخرين: رِيْنْ: ص حَ ح ص

نبر ثانوي: من الأخرين: نَلْ: ص حَ ص.

تعاون النبران الأولى والثانوي لإحداث نغم منتظم بالفواصل:

قد نتج ذلك عن التطابق التام في مواضع النبرين بفواصل المجموعة، كما في:

الفاصلة	مقطع أول	مقطع ثان	مقطع ثالث	نبر أولى	نبر ثانوي
سابقون[1]	سا	ب	قو	قو	سا
سابقون	سا	ب	قون	قون	سا
المقربون	قر	ر	بون	بون	قر
النعيم	ان	ن	عيم	عيم	ان
أولين	أو	و	لين	لين	أو
نلأخرين	نَلْ	أ	خ	رين	نَلْ

ملاحظة: كانت المسافة بين النبر الأولي والثانوي هي مقطع واحد بكل آيات المجموعة عدا الآية الأخيرة، حيث جاء النبر الثانوي متقدما بمقطع واحد عن النبر الأولي؛ فتصبح المسافة بينهما مقطعين.

نبر السياق في المجموعة:

(١) السابقون الأولى فى الآية (١٠)، أما السابقون التي في الصف التالى هي السابقون الثانية التي في الآية نفسها.

١. نبر السياق: وقع نبر السياق بالآية الأولى بقوله {واَلْسَّا} فغيره إلى (وَسْ+س) فحول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ص+ص ح ح} إلى {ص ح ص+ ص ح ح} بسبب إسقاط كل من همزة الوصل ولام التعريف لأنها لام شمسية.

٢. نبر السياق: وقع نبر السياق بالآية الثانية في {ك الْمُ} فغيره لـ {كل+ م} بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ص+ص ح } إلى {ص ح ص+ ص ح} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

٣. نبر السياق: وقع نبر السياق بالآية الثالثة في {تِ النَّ} فغيره لـ {تن ن} بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ص+ص ح} إلى {ص ح ص+ ص ح} بسبب إسقاط كل من همزة الوصل ولام التعريف لأنها لام شمسية.

٤. نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الرابعة على قوله { لةٌ } فغيره بأن:

أ) حول المقطع {لةٌ: ص ح+ ص ح} إلى {لة ن: ص ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين، كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { ـةُ: ص ح ــ> ـةُ نْ: ص ح ص }.

هناك نبر سياق آخر في قوله بالآية {مِنْ اَلْ} فغيره بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح ص+ص ح ص } إلى {ص ح+ ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

٥. نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الخامسة على قوله { ليلٌ } فغيره بأن:

أ) حول المقطع {ليلٌ: ص ح ح+ ص ح} إلى {ليلُ ن: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين، كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { لٌ: ص ح ــ> لُ نْ: ص ح ص }.

هناك نبر سياق آخر في قوله بالآية {مِنْ اَلْ} فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح ص+ص ح ص } إلى {ص ح+ ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

التنغيم:

وقع التنغيم في آيات المجموعة في موضع واحد، تكرر في الموضع نفسه في نهاية فاصلة كل آية وهو(السابقون: **قون** /المقربون: **بون** / النعيم: **عيم** / الأولين: **لين**/ الآخرين: **رين**) في مقطع واحد (ص ح ح ص) مما يؤدي إلى تناسق والتوافق الصوتي في المجموعة.

نوع التنغيم:

١. الآية الأولى: التنغيم مستوى، لأن المعنى لم ينته مع هذه الآية.
٢. الآية الثانية: التنغيم هابط ، حيث الآية جملة خبرية انتهى معناها بنهايتها.
٣. الآية الثالثة: التنغيم هابط ، حيث الآية جملة خبرية انتهى معناها بنهايتها.
٤. الآية الرابعة: التنغيم هابط ، حيث الآية جملة خبرية انتهى معناها بنهايتها.
٥. الآية الخامسة: التنغيم هابط ، حيث الآية جملة خبرية انتهى معناها بنهايتها.

المجموعة الخامسة

قال تعالى ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الواقعة: ١٥ - ٢٤].

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: ("على سرر موضونة" أي السابقون في الجنة على سرر أي مجالسهم على سرر جمع سرير موضونة، قال ابن عباس: منسوجة بالذهب وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت... متكئين عليها أي على السرر متقابلين أي لا يرى بعضهم قفا بعض، بل تدور بهم الأسرة، وهذا في المؤمن وزجته وأهله؛ أي يتكئون متقابلين)[١]

وقال: (لا يصدعون عنها، أي لا تتصدع رءوسهم من شربها؛ أي إنها لذة بلا أذى بخلاف شراب الدنيا، ولا ينذفون أي لا يسكرون فتذهب عقولهم)[٢]

ثانيا: التحليل المقطعي

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾

عَ / لَ / سُ / رُ / رِ+نْ / مَوْ / ضُو / نَةْ

ص ح /ص ح /ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح ص/ ص ح ح /ص ح ص

مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

مُتْ/ تَ/ كِ / ئِي / نَ/ عَ / لَيْ/ ها / مُ / تَ / قَا / بِ / لِيْنْ

ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح ح /ص ح /ص ح / ص ح /ص ح ح/ص ح /ص ح ح ص

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٧٢

(٢) المرجع السابق: ٦٣٧٤

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾
يَ/طُو/ فُ /ع / لَيْ / هِمْ / وِلْ / دَا / نُ+ نْ/ مُ/ خَلْ / لَ / دُوْنْ
ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾
بِ / أَكْ/ وا /بِ+ نْ/ وَ / أَ / بَا / رِيْ/ قَ / وَ/ كَأْ / سِ+ نْ / مِنْ / مَ / عِيْنْ
ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾
لا / يُ / صَدْ / دَ / عُو/ نَ / عَنْ / هَا / وَ / لا / يُنْ / زِ / فُوْنْ
ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾
و / فَا / كِ/ ـهَ/ ـةِ + نْ/ مِمْ / مَا / يَ / تَ / خَيْ / يَ / رُوْنْ
ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾
وَ / لَحْ / مِ / طَيْ / رِ+نْ / مَمْ / مَا / يَشْ / تَ / هُوْنْ
ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾
وَ / حُو / رُ+ ن / عِيْنْ
ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح ص

كَأَمْثَلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾

كَ / أَمْ / ثَا / لِلْ / لُؤْ / لُ /ؤِلْ / مَكْ / نُونْ

ص ح /ص ح ص /ص ح ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ح ص

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

جَ / زَا / ءَ+ نْ / بِ / مَا / كَا / نُو/ يَعْ / مَ/ لُونْ

ص ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ح /ص ح ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ح ص

اشتملت هذه المجموعة على عشر آيات تختلف في عدد مقاطع كل آية، وتتفق في المقطع الأخير الذي في نهاية فاصلة كل آية، فجميعها من النوع (ص ح ح ص) عدا الآية الأولى التي جاءت مختلفة في فاصلتها عن سائر آيات المجموعة، فهذه الآية تتفق مع فاصلة المجموعة الثالثة والمجموعة الأولى، حيث جاءت فاصلتها منتهية بالمقطع (ص ح ص) وكأنها جاءت للتذكرة بهذه النهاية المقطعية التي في هاتين المجموعتين (نة: ص ح ص)، أو كأنها رابط خفي للإيقاع الممتد من المجموعة الأولى حتى بداية الخامسة، وكانت في ذات الوقت بمثابة فاصل بين مجموعتين متتاليتين ومنتهيتين بنهاية مقطعية واحدة؛ وهما المجموعة الرابعة والخامسة المنتهيان بالمقطع الرابع (ص ح ح ص) فكان مقطعها (نة: ص ح ص) فاصلا بإيقاعه المختلف عما قبله وعما بعده.

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١- شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة مائة وسبعة مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر في اثنتين وأربعين مرة.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر في أربع وثلاثين مرة .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر في اثنتين وعشرين مرة .

د - مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر في تسع مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ - شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل

المفتوح ،ثم المقطع المديد المغلق.

ب ـ ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

٢ ـ اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

الآية الأولى: تحول المقطعُ: {ررٍ: ص ح+ ص ح } إلى {ررن: ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

وتحول المقطع { على: ص ح + ص ح ح } إلى { عل: ص ح + ص ح } بتقصير المقطع الطويل (ص ح ح)ـ>(ص ح) للوصل. [سياق الاستعمال]

الآية الثالثة: تحول المقطع: {دان: ص ح ح+ص ح} إلى {دان+ن: ص ح ح+ ص ح ص}. بإضافة صوت جديد نتيجة التنوين. [سياق الاستعمال]

الآية الرابعة: تحول المقطع {واب: ص ح ح+ ص ح} إلى {واب+ن: ص ح ح+ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

تحول المقطع {كأس: ص ح ص+ ص ح} إلى {كأس+ن: ص ح ص+ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

الآية السادسة: تحول المقطع {هة: ص ح + ص ح} إلى {هة+ن: ص ح+ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

الآية السابعة: تحول المقطع {طير: ص ح ص+ ص ح} إلى {طير+ن: ص ح ص+ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

الآية الثامنة: تحول المقطع {حور: ص ح ح+ ص ح} إلى {حور+ن: ص ح ح+ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

الآية التاسعة: تحول المقطع {لِ اَلْ لُ: ص ح+ص ح ص+ص ح} إلى { لِلْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل ولام التعريف. [سياق الاستعمال]

وتحول المقطع {وَاَلْ: ص ح+ص ح ص} إلى {وَلْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية. [سياق الاستعمال]

الآية العاشرة:: تحول المقطع {زاء: ص ح ح+ ص ح} إلى {زاء+ن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣ـ إغلاق أو تقصير بعض مقاطع المجموعة:

أ- تقصير حركة طويلة: كما في الآية الأولى: {على: ص ح + ص ح ح } إلى {عل: ص ح + ص ح} بتقصير مقطع طويل (ص ح ح)ـ>(ص ح) للوصل.

ب- غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الأولى: {رٍ: ص ح > رن: ص ح ص}.

الثالثة {ن: ص ح >ن+ن: ص ح ص} ❖الرابعة {ب: ص ح >ب+ن: ص ح ص}

{س: ص ح >س+ن: ص ح ص} ❖ السادسة: {ـة: ص ح >ة +ن: ص ح ص}

السابعة {ر: ص ح >ر+ن: ص ح ص} ❖الثامنة {ر: ص ح >ر+ن: ص ح ص}

العاشرة {ء: ص ح >ء+ن: ص ح ص}

٤ـ تعاون الجانب التركيبي في الآيات لتحقيق الانسجام الصوتي:

لقد حرصت الآيات من خلال تكوينها المقطعي على تحقيق الإيقاع الخاص بها، والذي يُظْهِرُه الانسجام الصوتي عند الفاصلة، حيث التزمت كل فواصل المجموعة (عدا الآية الأولى) بنهاية مقطعية واحدة هي: (ص ح ح ص)، فتعاون لتحقيق ذلك الجانب التركيبي مع الجانب الصوتي في صورة:

أولا: الجملة الممتدة:

جاء البناء التركيبي للآيات بصورة تحقق الانسجام الصوتي بها، فنرى في الآيات الجملة الممتدة؛ حيث جاءت المجموعة كلها امتدادا لجملة سابقة على تلك المجموعة؛ فهي وصف لأحد أركان الجملة السابقة، وامتداد لها في أكثر من آية، فالجملة الأصلية تبدأ بقوله تعالى: (والسابقون السابقون) فهي جملة مركبة، مكونة من مبتدأ وخبر، ثم تمتد هذه الجملة من خلال خبرها إلى الجملة التالية التي هي خبر ثان لها (أولئك المقربون)، ثم يأتي الخبر الثالث للجملة في قوله (على سرر موضونة) في بداية المجموعة التي ندرسها كوصف لمجلسهم وحالهم في الجنة. وهكذا تمتد الجملة لنرى أحد توابعها يمتد ليصل إلى الآية الأخيرة من المجموعة في قوله تعالى (جزاء بما كانوا يعملون)، حيث الفكرة الممتدة هنا هي وصف مكانة وجزاء السابقين، ولكن هذا المعنى الكبير في وصف نعيم السابقين احتاج إلى أكثر من جملة ليُصبَّ فيها، إلى جانب حرص

النص على الإبقاء على ذلك النغم الخفي، فتحقق له ذلك بتقسيم هذه الجملة المركبة الممتدة إلى عدة آيات؛ انتهت كلها بفاصلة منتهية بمقطع واحد (ص ح ح ص) فقُسِّمتْ الجملة إلى جمل ومكملات وتوابع؛ جاءت في آيات مستقلة، لتحقيق الغرض السابق؛ وهو الحفاظ على النغم الخفي، فانظر إلى طريقة بناء هذه الجملة وامتدادها، وأثره في صناعة الانسجام الصوتي؛ الذي يظهر في صورة نغم خفي، نلاحظه في اتفاقها في الانتهاء بالمقطع (ص ح ح ص) .

قال الرازي في إعراب قوله تعالى"والسابقون السابقون" : "جملة، وإنما كان الخبر عين المبتدأ لظهور حالهم أو لخفاء أمرهم على غيرهم، فكيف جاء خبر بعده؟ نقول: ذلك المقصود قد أفاد ذكر خبر آخر لمقصود آخر"[(١)] وقال القرطبي في إعرابها: "السابقون رفع بالابتداء والثاني خبره والمعنى السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، أولئك المقربون من صفاتهم"[(٢)]

أما قوله "على سرر موضونة" فذكر الألوسي "أنه حال من المقربين أو ضميرهم... وقيل: هو خبر للضمير المحذوف المخبر عنه أولا - بثلة .... و(متكئين عليها) حال من الضمير المستقر في الجار والمجرور أعنى على سرر، وقوله (متقابلين) حال أيضا و لك أن تعتبر الحالين متداخلين... (يطوف عليهم) حال أخرى أو استئناف أي يدور حولهم للخدمة"[(٣)]

ذكر ابن عاشور إعراب هذه الجملة "على سرر موضونة" قائلا: الجار والمجرور خبر ثالث عن (أولئك المقربون) أو حال ثانية من اسم الإشارة"[(٤)]

ومهما يكن من أمر إعراب الجملة؛ فإنها مرتبطة بالجملة الأصلية (والسابقون السابقون) وقد ظهر هذا الترابط بامتدادها من خلال مكملاتها حتى آخر آية بالمجموعة؛ مع الحفاظ على الانتهاء بالمقطع (ص ح ح ص) في كل فاصلة.

---

(١) التفسير الكبير: المجلد/١٥، ج/٢٩ص/١٤٤

(٢) تفسر القرطبي: ج٩ ص٦٣٧٠

(٣) روح المعاني: للألوسي المكتبة التوفيقية، القاهرة، المجلد الثالث عشر ج١٣ص٤٧٠

(٤) التحرير والتنوير: ج/ ٢٧ص٢٩٢

ثانيا ـ التوافق التركيبي لتحقيق الانسجام الصوتي:

انتهت فواصل آيات هذه المجموعة بالمقطع (ص ح ح ص)، وامتد ذلك من الآية الثانية حتى الآية الأخيرة من المجموعة، فكان لهذا الالتزام بذلك الإيقاع الذي صنعه تكرار هذا المقطع ثمن دفعته الجملة، حيث قامت بتغيير مواقع بعض العناصر النحوية وأنواعها في بعض الجمل حتى تحقق لها هذه النهاية المقطعية بالمقطع (ص ح ح ص) بفواصل آياتها، منها إنهاء الجملة بـ:

١ـ الصفة: فوصف الولدان بالمخلدين، والحور بالعين، واللؤلؤ بالمكنون .

٢ـ الحال: بيان حالهم جلوسهم بالمتقابلين.

٣ـ الاسم المجرور: جر "معين" بمن.

٤ـ اختيار أفعال مسندة لواو الجماعة: ينزفون، يعملون، يتخيرون، يشتهون.
هذا البناء النحوي بهذا الشكل حقق إيقاعا منتظما بالآيات من التوافق في النهاية المقطعية الواحدة بالفواصل في داخل اللوحة بالمقطع (ص ح ح ص).

ثالثاً: مواضع النبر (الأولى والثانوي) ونبر السياق

يقع النبر بشكل عام في فواصل آيات المجموعة على المقطع الأخير منها، لأنه من النوع (ص ح ح ص)، عدا الآية الأولى التي انتهت بالمقطع الثالث، فكان النبر على المقطع قبل الأخير، مما أنتج لنا إيقاعا متناسقا منتظما في كل الآيات، حيث نسمع نبرا شديدا يتكرر مع نهاية كل آية، فيصبح إعلاما بنهاية الآية. وقد جاء موضع النبرين في الآيات كما في الجدول الآتي:

الآية الأولى: عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ	**الآية الثانية:** مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ
عَ/ لَ/ سُ/ رُ/ رِ+نْ/مَو/ضُو / نَةْ ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ʻ/ص ح/ص ح ص/ص ح ʼص/ ص ح ʻح /ص ح ص	مُتْ/ تَ/ كِ / ئِي/ نَ/ عَ / لَيْ/ ها / مُ / تَ / قَا / بِ / لِيْنْ❖ص ح ʼ ص/ص ح/ص ح/ص ح ʻ ح/ص ح/ص ح/ص ح ʻ ص/ص ح ح/ص ح/ ص ح/ص ح ʼ ح/ص ح/ص ح ʻ ح ص
نبر أولى: سرر: س: ص ح ʻ، موضونة: ضو: ص ح ʻح.	نبرأولى: متكئين: ئى: ص ح ʻح، عليها: لَيْ: ص ح ʻص، متقابلين: لِين: ص ح ʻ ح ص

نبر ثانوي: موضونة: مو: ص حʼص	نبر ثانوي: متكئين: مُتْ: ص حʼ ص ، متقابلين: قا: ص حʼح

الآية الثالثة: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ

يَ/طُو/ فُ /ع / لَيْ / هِمْ / وِلْ / دَا / نُ+ نْ/ مُ/ خَلْ / لَ / دُوْنْ.

ص ح/ص حʼ ح/ص ح/ص ح/ص حʼ ص/ص ح ص/ص حʼ ح/ ص ح ص/ص ح/ص حʼ ص/ص ح/ص حʼ ح ص.

نبر أولى: يطوف: طو: ص حʼح، عليهم: لي: ص حʼص، ولدان: دا: ص حʼح، مخلدون: دون: ص حʼ ح ص.

نبر ثانوي: مخلدون: خَلْ: ص حʼ ص.

الآية الرابعة: بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ

بِ / أَكْ/ وا /بِ+ نْ/ وَ / أَ / بَا / رِيْ/ قَ / وَ/ كَأْ / سِ+ نْ / مِنْ / مَ / عِيْنْ

ص ح/ص حʼ ص/ص حʼ ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص حʼ ح/ص حʼ ح/ص ح/ص ح/ص حʼ ص/ص ح ص/ص ح ص/ص حʼ ص/ص ح/ص حʼ ح ص .

نبر أولى: أكواب: وا: ص حʼح، أباريق: ري: ص حʼح، كأس: كأ: ص حʼص، معين: عين: ص حʼ ح ص.

نبر ثانوي: أكواب: أك: ص حʼ ص، أباريق: با: ص حʼ ح، من/معين: مِنْ: ص حʼص.

الآية الخامسة: لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ

لا / يُ / صَدْ / دَ / عُو/ نَ / عَنْ / هَا / وَ / لا / يُنْ / زِ / فُوْنْ

ص ح ح/ص ح/ص حʼ ص/ص ح/ص حʼ ح/ص ح/ص حʼ ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص حʼ ص/ص ح/ص حʼ ح ص

نبر أولى: لا: لا: ص حʼ ح، يصدعون: عو: ص حʼ ح، عنها: عن: ص حʼ ح ، ينزفون: فون: ص حʼ ح ص.

نبر ثانوي: يصدعون: صد: ص حʼ ص، ينزفون: ين: ص حʼ ص.

الآية السادسة: وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ

و / فَا / كِ/ هـَ/ ـةِ + نْ/ مِمْ / مَا / يَ / تَ / خَيْ / يَ / رُوْنْ

ص ح/ص ح ح/ص' ح/ص ح/ص ح ص/ص ح' ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ ص ح' ص/ص ح/ص ح' ح ص

نبرأولى: فاكهة: كِ: ص ح'، مما: مم: ص ح'ص، يتخيرون: رون: ص ح'ح ص

نبر ثانوي: يتخيرون: خي: ص ح' ص

الآية السابعة: وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ

وَ / لَحْ / مِ / طَيْ / رِ+نْ / مَمْ / مَا / يَشْ / تَ / هُوْنْ

ص ح/ص ح' ص/ص ح/ص ح' ص/ ص ح ص/ص ح' ص/ص ح ح/ص ح' ص/ص ح/ص ح' ح ص

نبرأولى: لحم: لح: ص ح' ص، طيرٍ: طي: ص ح' ص، مما: مم: ص ح' ص، يشتهون: هون: ص ح'ح ص.

نبر ثانوي: يشتهون: يش: ص ح'ص

الآية الثامنة: وَحُورٌ عِينٞ

وَ / حُو / رُ+ ن / عِيْنْ

ص ح/ص ح' ح/ص ح ص /ص ح' ح ص

نبر أولى: حور: حو: ص ح'ح، عين: عين: ص ح' ح ص.

الآية التاسعة: كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ

كَ/ أَمْ/ ثَا / لِلْ / لُؤْ / لُ /ؤِلْ / مَكْ / نُوْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح' ح/ص ح ص/ص ح' ص/ص ح/ص ح' ص/ص ح ص/ص ح' ح ص

نبرأولى: كأمثال: ثا: ص ح'ح، اللؤلؤ: لؤ: ص ح'ص، المكنون: نون: ص ح'ح ص. النبر الثانوي: المكنون: ؤِلْ: ص ح' ص

في الآية العاشرة: جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ

جَ / زَا / ءَ+ نْ / بِ / مَا / كا / نُو/ يَعْ / مَ/ لُوْنْ

ص ح/ص ح' ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح' ح/ص ح ح/ص ح' ص/ص ح/ص ح' ح ص .

نبر أولى: جزاءً: زا: ص ح'ح، كانوا: كا: ص ح'ح، يعملون: لون: ص ح'ح ص

نبر ثانوي: يعملون: يَعْ: ص ح' ص.

نبر السياق في آيات المجموعة:

١- وقع نبر السياق في الآية الأولى على {على سررْ} فغير فيه بأن:

حول المقطع {على: ص ح + ص ح ح } إلى { عل: ص ح + ص ح } بتقصير المقطع الطويل (ص ح ح) للوصل، "ظاهرة الكمية"، أي تقصير حركة طويلة وتحويلها إلى حركة قصيرة

٢- وقع نبر السياق في الآية الأولى على { سررٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {سررٍ: ص ح+ص ح+ ص ح} إلى{سررن: ص ح + ص ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { رٍ: ص ح ـــ> رِنْ: ص ح ص }.

٣- وقع نبر السياق في الآية الثالثة على { دانٌ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {دانٌ: ص ح ح+ ص ح} إلى{دانُنْ: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { نُ: ص ح ـــ> نُنْ: ص ح ص }.

٤- وقع نبر السياق في الآية الرابعة على { وابٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {وابٍ: ص ح ح+ ص ح} إلى{وابِنْ: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { بٍ: ص ح ـــ> بِنْ: ص ح ص }.

٥- وقع نبر السياق في الآية الرابعة على { كأسٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {كأسٍ: ص ح ص+ ص ح} إلى{ كأسن: ص ح ص+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { سٍ: ص ح ـــ> سِنْ: ص ح ص }.

٦- وقع نبر السياق في الآية السادسة على { هةٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {هةٍ: ص ح+ ص ح} إلى{ هةِ نْ: ص ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { ـةٍ: ص ح ـــ> ـةِ نْ: ص ح ص }.

٧. وقع نبر السياق في الآية السابعة على { طيرٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {طيرٍ: ص ح ص+ ص ح} إلى{ طيرِنْ: ص ح ص+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { رٍ: ص ح ــ> رِنْ: ص ح ص }.

٨. وقع نبر السياق في الآية الثامنة على { حورٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {حورٍ: ص ح ح+ ص ح} إلى{ حُورُنْ: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { رٌ: ص ح ــ> رُنْ: ص ح ص }.

٩. وقع نبر السياق في الآية العاشرة على { زاءً } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {زاءً: ص ح ح+ ص ح} إلى{ زاءَنْ: ص ح ص+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { ءَ: ص ح ــ> ءَنْ: ص ح ص }.

التنغيم:

وقع التنغيم في آيات المجموعة في موضع واحد، تكرر في كل آيات المجموعة في الموضع نفسه في نهاية فاصلة كل آية عدا الآية الأولى من المجموعة ، حيث وقع النبر الأولي على المقطع قبل الأخير وهو موضع التنغيم في الآية في الفاصلة (موضونة: ضو: ص ح'ح) أما في سائر آيات المجموعة، فيقع على المقطع الأخير من الفاصلة، وهو المقطع (ص ح ح ص).

فجاء التنغيم في الآيات على المقطع الأخير من فواصلها كالآتي في الآية: الثانية: متقابلين (لين: ص ح'ح ص) الثالثة: مخلدون (دون: ص ح'ح ص) الرابعة: معين(عين: ص ح'ح ص) الخامسة: ينزفون(فون: ص ح'ح ص) السادسة: يتخيرون (رون: ص ح'ح ص) السابعة: يشتهون (هون: ص ح'ح ص) الثامنة: حور عين (عين: ص ح'ح ص) التاسعة: مكنون (نون: ص ح'ح ص) العاشرة: يعملون (لون: ص ح'ح ص).

هذا التكرار في موضع النبر الأولي في نهاية فواصل كل الآيات، مع كونه

موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا ليكوِّن لوحة تناغمية متسقة من هذا الإيقاع؛ جعلتْ السامع يعيش في لحن واحد؛ أتي من إيقاع واحد داخل حالة نفسية واحدة؛ حالة نعيم أهل الجنة في أعلى مراتبها، هي مرتبة السابقين.

نوع التنغيم:

التنغيم هابط، حيث الآيات كلها تشير إلى معنى واحد، جاء في جمل إخبارية تخبر عن حال أهل الجنة وهذا الإخبار أُحيط بإيقاع واحد، تكوَّن من تنغيم واحد، ونبر واحد، جاء على مقطع واحد، في موضع واحد.

فنحن بين يديَّ قاص صادق نثق في قوله، مشدودين إلى قوله في انتباه شديد وهو يصف دار نعيم ومتاع أمام أعيننا، بل إنه سبحانه يتجول بنا داخل تلك الدار، فنكاد نلمس تلك الأكواب والكئوس التي فيها، وقد نقلنا وتجول بنا فيها، ونحن في مكاننا، ذلك الإيقاع المنتظم المتناسق الذي يصاحب هذا الوصف، فنشعر به، بل نسمعه مع نهاية كل آية في المقطع الأخير من فاصلتها، وما به من تنغيم واحد هابط على أمتداد الآيات اللوحة كلها، حتى وإن لم نفهم بعضا من معاني ألفاظها، فهذا النغم الخفي أشد جذبا لنا من المعنى نفسه؛ وهذا النغم هو ما يجعل غير الناطقين بالعربية مشدودين إليه على الرغم من عدم فهمهم للعربية، فأعلنوا ذلك سائلين عن سببه ؟ إنه النغم الخفي الذي نبحث عنه هنا.

المجموعة السادسة

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: قوله تعالى: لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما قال ابن عباس: باطلا ولا كذبا. واللغو ما يلغى من الكلام، والتأثيم مصدر أثمته أي قلت له أثمت. محمد بن كعب: ولا تأثيما أي لا يؤثم بعضهم بعضا. مجاهد: لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما شتما ولا مأثما. إلا قيلا سلاما سلاما "قيلا" منصوب ب "يسمعون" أو استثناء منقطع أي: لكن يقولون قيلا أو يسمعون. و سلاما سلاما منصوبان بالقول، أي إلا أنهم يقولون الخير. أو على المصدر أي إلا أن يقول بعضهم لبعض: سلاما. أو يكون وصفا ل "قيلا"، والسلام الثاني بدل من الأول، والمعنى: إلا قيلا يسلم فيه من اللغو. ويجوز الرفع على تقدير: سلام عليكم. قال ابن عباس: أي يحيي بعضهم بعضا. وقيل: تحييهم الملائكة أو يحييهم ربهم عز وجل"[(١)]

ثانيا: التحليل المقطعي:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾

لا / يَسْ / مَ / عُوْ / نَ / فِيْ / هَا / لَغْ / وَ+نْ / وَ/ لا / تَأْ / ثِيْ / مَ

ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح

ص /ص ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح ح /ص ح

إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾

إل / لا / قِيْ/ لَ+ نْ / سَ / لا / مَ+ نْ / سَ / لا / مَ

ص ح ص /ص ح ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح

ح /ص ح

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٧٦

مقدمة: تتكون هذه المجموعة من آيتين، وهما تنتهيان بمقطع من النوع (ص ح) على شاكلة المجموعة الثانية، وقد سبقت هذه المجموعة مجموعة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص) فيُحْدث هذا التغيير نغما جديدا مختلفا بالانتقال من نهاية مقطعية إلى أخرى، حيث جاءت نهاية الفاصلة في المجموعة السابقة على هذه المجموعة في مقطع مديد مغلق ، وجاءت هي في مقطع قصر مفتوح؛ مما يؤدى إلى الاختلاف في الكمية الهواء الخارج من صدر القارئ عند الانتقال من تلك المجموعة إلى الأخرى؛ نظرا لاختلافهما في الطول؛ فالأولى ضعف الثانية في الكمية، وكذلك وجود صوت الميم في نهايتها بديلا عن صوت النون الموجود في المجموعة السابقة.

وتعد هذه المجموعة تكملة للصورة التي يرسمها الحق تبارك وتعالى عن الجنة، وما فيها من نعيم خاص بالسابقين، فيتحدث هنا عن النعيم السمعي؛ لكن بإيقاع مختلف.

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١- شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة أربعة وعشرون مقطعا من ثلاثة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر سبع مرات.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر سبع مرات .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر عشر مرات .

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ- شيوع المقطع الطويل المفتوح، يليه المقطعان: طويل مغلق وقصير مفتوح .

ب - ولا نجد بالمجموعة المقطعين: المديد المغلق و لا الزائد في الطول.

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ - الآية الأولى: تحول المقطع {لغواً: ص ح ص+ ص ح } إلى {لغو+ن: ص ح ص+ ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

ب - الآية الثانية: تحول المقطع {قيلا: ص ح ح+ ص ح } إلى {قيل+ن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

ج- الآية الثانية: تحول المقطع {لاماً: ص ح ح+ ص ح } إلى {لاما+ن: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣- إغلاق بعض مقاطع المجموعة:

أ- غلق مقطع مفتوح: في الآية الأولى { وَ: ص ح > وَ نْ: ص ح ص }.

ب- غلق مقطع مفتوح: في الآية الثانية { لَ: ص ح > لَ نْ: ص ح ص }.

ج- غلق مقطع مفتوح: في الآية الثانية { مَ: ص ح > مَ نْ: ص ح ص }.

ثالثا: موضع النبر (الأولى والثانوي) ونبر السياق:

الآية الأولى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾

لا / يَسْ / مَ / عُوْ / نَ / فِيْ / هَا / لَغْ / وَ+نْ / وَ/ لا / تَأْ / ثِيْ / مَ

ص ح ح/ص حʼ ص/ص ح/ص حʻ ح /ص ح/ص حʻ ح/ص ح ح/ص حʻ ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص حʻ ح/ص ح

نبر أولى: يسمعون: عو: ص حʻح، فيها: في: ص حʻح، لغوا: لغ: ص حʻص، تأثيمَ: ثى: ص حʻح.

نبر ثانوي: يسمعون: يس: ص حʼ ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الأولى على { لغواً } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {لغواٍ: ص ح ح+ص ح} إلى {لغو+ن: ص ح ص+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { وَ: ص ح ـ> وَنْ: ص ح ص }.

الآية الثانية: إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴿٢٦﴾

إل / لا / قِيْ/ لَ+ نْ / سَ / لا / مَ+ نْ / سَ / لا / مَ

ص حʻ ص/ص ح ح/ص حʻ ح/ص ح ص/ص ح/ص حʻ ح/ص ح ص/ص ح/ ص حʻ ح/ص ح

نبر أولى: إلا: إل: ص حʻص، قيلا: قِيْ: ص حʻح، سلاما: لا: ص حʻح، سلام: لا: ص حʻح.

نبر السياق: الوقع نبر السياق في الآية الثانية على { قيلا } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {قيلٍ: ص ح ح+ ص ح} إلى{قيل+ن: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { لَ: ص ح ــ> لَ + نْ: ص ح ص }.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الثانية على { لاماً } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {لاماً: ص ح ح+ ص ح} إلى{لام+ ن: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { مَ: ص ح ــ> مَ+ ِنْ: ص ح ص }.

التنغيم:

وقع التنغيم في الآيتين على المقطع قبل الأخير الذي هو موضع النبر الأولى، فكان على كلمتي الفاصلتين (تأثيما: ثِيْ: ص حʻح ، سلاما: لا: ص حʻح) وتلاهما المقطع (ص ح) مما يؤدي إلى تناسق والتوافق الصوتي في المجموعة.

نوع التنغيم:

١ـ الآية الأولى: التنغيم هابط ، حيث الآية جملة خبرية انتهى معناها بنهايتها.

٢ـ الآية الثانية: التنغيم هابط ، حيث الآية جملة خبرية انتهى معناها بنهايتها.

اللوحة الثانية : السابقون

هذه اللوحة تشمل ثلاث مجموعات: الرابعة والخامسة والسادسة، وتتناول موضوعا واحدا، هو نعيم الجنة الذي يتمتع به السابقون وحدهم، لأنهم أصحاب فضل وكرامة عالية عند الله، لهذا أعد الله لهم في الآخرة أجرا عظيما، وقد جاءت الآيات في لوحة متكاملة من حيث المعنى، ومتنوعة من حيث الإيقاع، فقد تناولت المجموعة الرابعة الحديث عن السابقين والتعريف بهم، وتناولت الخامسة الحديث عن أجرهم على عملهم، ثم انتهت السادسة بالحديث عن النعيم السمعي، وما هم فيه من هدوء وسلام، وكيف يكون السمع مصدر متعة أو ألم، وتبادلهم التحية فيما بينهم، كل هذا في نغم جميل متنوع.

أولا: عناصر تكوين الإيقاع العام للوحة

١- انتهت معظم آيات اللوحة بالمقطع (ص ح ح ص)، عدا الآية الأولى في المجموعة الخامسة، فقد جاءت منتهية بالمقطع (ص ح ص)، وكأنها فاصلة بين إيقاعين متماثلين في وسط اللوحة؛ فتفصل بينهما وتمنع الرتابة والملل من التكرار، وركيزة للانطلاق إلى المجموعة التالية، كذلك مقاطع المجموعة السادسة جاءت منتهية بالمقطع (ص ح) كتذكرة به؛ فقد جاء في نهاية المجموعة الثانية كلها، مما يجعل الإيقاع محصورا بين: (المقطع: ص ح ح ص والمقطع: ص ح والمقطع: ص ح ص) بكل الآيات السابقة.

٢- الصورة التي جاءت عليها هذه الآية (والسابقون السابقون) في أول اللوحة لفتت انتباه السامع لما سيُلْقَى عليه من قول بتكرار الكلمة نفسها، وما يتبعه من تكرار المقاطع نفسها، لينطلق بالكمية نفسها من الهواء، والطاقة نفسها المبذولة للنطق بمقاطع متماثلة، فهو إثارة لانتباه السامع بذلك البروز الصوتي الناتج عن تكرار الكلمة نفسها، وتلك إشارة لأهمية السابقين.

٣- جاء المقطع (ص ح ح ص) الذي شاع في آيات اللوحة في شكل خاص، حيث تكوّن من: صامت + حركة طويلة + صامت، فكان الصامت الأول فيه متنوعا، ثم جاءت الحركة الطويلة بعده في تبادل بين صوتين اثنين هما:

الواو والياء، وهما متفقان في أنهما أصوات لين ضيقة يكثر التبادل بينهما، أما الصامت الثاني (وهو الصوت الأخير في المقطع وكلمة الفاصلة) فكان بين صوتين اثنين أيضا، يتم التبادل بينهما دائما هما: النون والميم، وهما متشابهان، كما أنهما صوتا الغنة الوحيدان في اللغة كلها، وهما يصنعان بتلك الصفة نغما خاصا في الكلمة.

٤- تعرض اللوحة ألوانا مختلفة لنعيم الآخرة، اشترك في بيان تلك الألوان من النعيم هذا التنوع في عدد المقاطع في كل آية، مما يترتب عليه طول الآية أو قصرها لإبراز هذه النعمة أو تلك، كما في قوله تعالى (حور عين) فعند النطق بهذه الآية مستقلة؛ بالنغم الذي جاء في الآيات السابقة عليها، والتالية لها الناتج عن تكرار المقطع (ص ح ح ص) بنهايتهم؛ وما به من صوت النون في آخره؛ أثار انتباه السامع نحوها؛ كأنه يقول له: إن في الجنة شيئاً هامًا يجب الانتباه له، هو هؤلاء الجميلات اللائي يحتجن إلى آية مستقلة لاسمهن فقط، وأخرى لوصفهن، فجاء اسمهن في آية، ووصفهن في الآية التالية لها، أما بعض ألوان النعيم الأخرى؛ فقد جاء اسمها وصفتها في آية واحدة، كما في وصف السرر في قوله ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ فجاء اسمها وصفتها معا في آية.

٥- النبر: جاء النبر في هذه الآية ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ في موضعين يبرزان هذا الاسم، فكان النبر الأول على المقطع {حو} من حور، والنبر الثاني على كلمة (عين) كلها؛ فهي عبارة عن مقطع واحد مستقل هو(ص ح ح ص).

٦- جاء الحرف الضيق في كلمة (عين) وهو الياء مختلفا عن الحرف الضيق في الآيات السابقة واللاحقة عليه، مما جعلها ظاهرة في وسط هذه الآيات وبارزة. لاحظ: (ينزفون - يتخيرون - يشتهون {عين} مكنون - يعملون) فتبدو {عين} أكثر ظهورا وبروزا عمًّا قبلها وما بعدها باختلافها بالياء.

٧- تذكر الآيتان الأخيرتان من اللوحة لونا جديدا من النعيم (النعيم السمعي) فجاء هذا النعيم في نبر مختلف ونهاية مقطعية مختلفة عن سائر فواصل اللوحة، لكي يبرزه، وقد أكد هذا الإيقاع وجود كلمة التحية في آخر المجموعة بصورة متكررة (سلاما سلاما) ليتوافق مع نهاية الفاصلة السابقة (تأثيما).

ثانيا: مراعاة الفاصلة (أثر البناء المقطعي على البناء التركيبي لآيات اللوحة)

سارت هذه اللوحة في مجموعتيها الرابع والخامسة على إيقاع واحد، نتج عن الالتزام بنهاية مقطعية واحدة؛ المقطع (ص ح ح ص)، فكان لهذه النهاية المقطعية الثابتة أثرها على البناء التركيبي للآيات، مما أحدث تغييرات مختلفة فيه، ليحقق تطابقا مقطعيا مع نهاية كل فاصلة؛ عُرِفَ بـ"مراعاة الفاصلة" نحو:

١- المجموعة الرابعة:

أ- ذكر المبتدأ وكرره (للتأكيد) دون ذكر الخبر، ليحدث التوافق المقطعي في الآية التالية التي كانت صفة للمبتدأ، ثم تأتي الآية الثالثة حاملة الخبر معها، كما في قوله (السابقون السابقون) [(١)](في جنات النعيم)، وكذلك بين المبتدأ والخبر في قوله (أولئك المقربون).

ب- ثم تأتي الآية الأخيرة في المجموعة عبارة عن خبر حُذف المبتدأ منه (ثلة من الأولين) أي هم ثلة من الأولين[(٢)]، ليحقق التآلف المقطعي مع كل من (السابقون - المقربون - النعيم) مع ملاحظة اختلاف الحرف الأخير في تلك الفواصل، على الرغم من اتفاقهم في المقطع الأخير (ص ح ح ص)، فهذا الإيقاع الناتج عن التوافق المقطعي يعد مقياسا جديدا للنغم يختلف عن الوزن والقافية الذي بالشعر.

٢- المجموعة الخامسة:

تم تغيير تركيب أكثر جمل هذه المجموعة لتحقق انسجاما صوتيا بالفاصلة نحو:

---

(١) هناك خلاف حول إعراب السابقون الثانية، فابن الأنباري يري (السابقون الأولى مبتدأ والسابقون الثانية صفة... ويجوز أن يكون السابقون الأولى مبتدأ، والسابقون الثانية خبره) البيان في غريب القرآن ص٤١٤ ج٢ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٠، ويقول طاهر ابن عاشور (السابقون ثانياً يجوز جعله خبراً عن السابقون الأول... ويجوز جعله تأكيدا للأول) مجلد ١١ ج٢٧ ص ٢٨٧.

(٢) قال ابن الأنباري (ثلة، في رفعه وجهان أحدهما: أن يكون مبتدأ وفي جنات النعيم خبره، وقد تقدم عليه والثاني: أن يكون خبره مبتدأ محذوف وتقديره هم ثلة وقليل من الآخرين، عطف عليه، وعلى سرر خبر ثان (البيان في غريب القرآن ج٢ ص ٤١٥.

أ- ذكر حال المتكئين على السرر بأنهم متقابلين، وهي إضافة حققت توافقا صوتيا مع النهايات المقطعية للمجموعة، فلم تنته بالجار والمجرور: عليها.

ب- وصف الولدان بأنهم مخلدون ليست خاصة بهم، بل هي عامة لكل أهل الجنة، (وقد قيل الخلود هنا بمعنى البقاء على عمرهم الذي ماتوا عليه)، قد حققت هذه الصفة ذلك التجانس والانسجام الصوتي؛ بأن خَتمتْ الفاصلة بالمقطع (دون: ص ح ح ص) كسائر فواصل المجموعة.

ج- تحديد نوع الكأس دون تحديد نوع الأكواب والأباريق، بأنه كأس من معين فحقق هذا الوصف (معين: ص ح ح ص) توافقا صوتيا بهذا المقطع.

د- وصف حال من يشرب من الكأس بصفتين: لا يصدعون عنها ولا يُنزفون، استخدام فعلين مضارعين مسندين لضمير الجمع جعل الآية تنتهي بالمقطع (فون: ص ح ح ص) ليحدث التجانس والانسجام الصوتي مع المجموعة.

هـ- وصف اللؤلؤ بالمكنون وليس بصفة أخرى من صفاته؛ أنهى الآية بالمقطع (نون: ص ح ح ص) فأحدث ذلك تجانسا وانسجاما صوتيا مع المجموعة.

و- اختيار الأفعال المرفوعة بثبوت النون والأسماء المجموعة جمع مذكر سالم والتبادل بينهما، أحدث تجانسا وانسجاما صوتيا في المجموعة .

ز- وصف نساء الجنة بـ (حور عين) رعاية للفاصلة، أدى إلى الانسجام الصوتي مع آيات المجموعة.

حقا إن (للفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة تراعي في كثير من آيات القرآن، وربما أدتْ رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة...، فلا يؤمنون إلا قليلا { النساء ٤٦/١٥٥ } فقليلا ما يؤمنون { البقرة ٨٨} لاحظ أن هنا شاهدين من القرآن اشتملا على ألفاظ بعينها اختلفت رتبتها في أحدهما عنها في الآخر رعاية للفاصلة) [1] لقد سماها رعاية الفاصلة.

---

(١) البيان في روائع القرآن ٢٨٦.

المجموعة السابعة

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ ﴾

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "في سدر مخضود أي في نبق قد خضد شوكه أي قطع؛ قاله ابن عباس وغيره. وذكر ابن المبارك: حدثنا صفوان عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: إنه لينفعنا الأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوما، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما هي قال: السدر فإن له شوكا مؤذيا، فقال صلى الله عليه وسلم أوليس يقول في سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها تنبت ثمرا، يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الآخر. وقال أبو العالية والضحاك: نظر المسلمون إلى وج (وهو واد بالطائف مخصب (فأعجبهم سدره، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا، فنزلت"[(١)].

وقال أيضا" قوله تعالى: وطلح منضود الطلح شجر الموز واحده طلحة؛ قاله أكثر المفسرين علي وابن عباس وغيرهم. وقال الحسن: ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب. وقال الفراء وأبو عبيدة: شجر عظام له شوك، قال بعض الحداة وهو الجعدي: بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والأحبالا"[(٢)]

وقال أيضا "قوله تعالى: وظل ممدود أي دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس، كقوله تعالى: ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا وذلك بالغداة وهي ما بين الإسفار إلى طلوع الشمس حسب ما تقدم بيانه هناك. والجنة كلها ظل

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٧٧

(٢) المرجع السابق: ٦٣٧٨

لا شمس معه. قال الربيع بن أنس: يعني ظل العرش. وقال عمرو بن ميمون: مسيرة سبعين ألف سنة. وقال أبو عبيدة: تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع ممدود."(١)

وقال أيضا "وماء مسكوب أي جار لا ينقطع وأصل السكب الصب، يقال: سكبه سكبا، والسكوب: انصبابه. يقال: سكب سكوبا، وانسكب انسكابا، أي وماء مصبوب يجري الليل والنهار في غير أخدود لا ينقطع عنهم. وكانت العرب أصحاب بادية وبلاد حارة، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك، ووصف لهم أسباب النزهة المعروفة في الدنيا، وهي الأشجار وظلالها والمياه والأنهار واطرادها"(٢)

ثانيا: التحليل المقطعي

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾

وَ / أَصْ / حا / بُلْ / يَ / مِيْ / نِ / ما / أَصْ / حا / بُلْ / يِ / مِيْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾

فِي / سِدْ/ ر+ نْ / مَخْ/ ضُوْدْ

ص ح ح/ص ح ص/ ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾

وَ/ طَلْ/ حُ+ نْ / مَنْ / ضُوْدْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾

وَ / ظِلْ / لِ+ نْ / مَمْ / دُوْدْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾

وَ / مَا / ءِ+نْ / مَسْ / كُوْبْ

ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

(١) المرجع السابق: ٦٣٧٩

(٢) تفسير القرطبي: ٦٣٧٩

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة ثلاثة وثلاثون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر سبع مرات.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر خمس عشرة مرة .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر ست مرات .

د - مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر خمس مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ - شيوع المقطع الطويل المغلق، يليه المقطع القصير المفتوح، ثم المقطع الطويل المفتوح ،ثم المقطع المديد المغلق.

ب - ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ - الآية الأولى: تحول المقطع {بُ اَلْ: ص ح + ص ح ص} إلى {بُل: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل. [سياق الاستعمال]

ب - الآية الثانية: تحول المقطع {سدرٍ: ص ح ص+ ص ح} إلى {سدرن: ص ح ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

ج - الآية الثالثة: تحول المقطع {طلحٍ: ص ح ص+ ص ح } إلى {طلحن: ص ح ص+ ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

د - الآية الرابعة: تحول المقطع {ظلٍ: ص ح ص+ ص ح } إلى {ظللن: ص ح ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

هـ - الآية الخامسة: تحول المقطع {ماءٍ: ص ح ح+ ص ح } إلى {ماءن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣ - إغلاق بعض مقاطع المجموعة:

أ - غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الأولى { بُ: ص ح > بُلْ: ص ح ص }.

ب - غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثانية {رٍ: ص ح > رِنْ: ص ح ص }.

ج - غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة {حٍ: ص ح > حِنْ: ص ح ص }.

د ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الرابعة {لٍ: ص ح > لٍ نْ: ص ح ص }.

هـ ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الخامسة {ءٍ: ص ح > ءٍنْ: ص ح ص }.

٤ ـ التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة (عدا فاصلة الآية الأولى اليمين) وهم: مخضود، منضود، ممدود، مسكوب في:

أ ـ التكوين المقطعي: جاءوا في صورة واحدة {ص ح ص+ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق تام في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة

ب ـ البناء الصرفي في كلمات الفواصل واحد، وهو الوزن "مَفْعُول"، مما يعنى الاتفاق في الحركات والسكنات وترتيبهما في كلمات الفواصل هذه.

ج ـ الصوت الأخير في كلمات الفواصل واحد، عدا الفاصلة الأخير، وهو(الدال)

د ـ عدد المقاطع في كلمات الفواصل واحد، وهو مقطعان بكل فاصلة.

هـ ـ المقطع الأول بالآية الأولى من النوع: ص ح ح وفي الباقى من النوع: ص ح.

و ـ المقطع الثاني في الآية الأخيرة من النوع: ص ح ح، وفي سائر الآيات من النوع: ص ح ص.

انتهت فواصل المجموعة كلها بالمقطع (ص ح ح ص) بخصائصه المتميزة.

الفرق بين أصحاب اليمين والسابقين:

تتحدث هذه المجموعة عن طائفة أخرى من أهل الجنة؛ وهم أصحاب اليمين، وما هم فيه من نعيم، ولكن بطريقة مختلفة وإيقاع جديد، فيأتي وصف نعيمهم في جمل قصيرة سريعة تختلف عن طريقة عرض نعيم السابقين، الذي جاء في جمل طويلة، بل جاء وصف بعض النعم في أكثر من آية، وقد جاء حديث الحق تبارك وتعالى عن السابقين في سبع عشرة آية، وحديثه عن أصحاب اليمين في أربع عشرة آية، وكذلك طول الآية يختلف في حديثه عن السابقين عنه عند حديثه عن أصحاب اليمين، فأصحاب الجنة في درجات عنده.

كما أنه وصف كل جماعة منهم جاء بشكل مختلف، فالسابقون جاء وصفهم في خمس آيات، أما أصحاب اليمين فقد جاء ذكرهم في آية واحدة، ومع ذلك يأتي في نهاية وصفهم بآيات أخرى تُعْلِي من مكانتهم وتميزهم عن أقرانهم

من أصحاب الجنة، قائلة: إن هذا النعيم خلق للأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين، و في المقابل السابقين الذين هم قليل من الآخرين لعلو مكانتهم.

لكن طريقة وصف النعم الذي هم فيها جاءت بصورة لفتت انتباهي، حيث الجمل قصيرة ـ كما ترى ـ وكل نعمة في آية، والآية تحوي كلمتين فقط صفة وموصوف، والكلمتان على وزن واحد لم يتغير في هذه المجموعة كلها على الرغم من تغيير النعمة، وهذا الوزن هو: فعْل (للنعمة) ومَفْعُوْل (لصفتها) كما في: سِدْر مَخْضود ❖ وطَلح منضود❖ وظل ممدود ❖ وماء مسكوب(١).

ملاحظات على التحليل المقطعي:

١- جاءت الآية الأولى فيما يشبه شطري بيت ، يحتوى كل منهما على العدد نفسه من المقاطع، وينتهي كل منهما بالمقطع نفسه: (ص ح ح ص) وبالكلمة نفسها (اليمين) ، فلو قُرِئَتْ على دفعتين أي بوضع سكتة خفيفة بينهما لصارت الآية: وأصحاب اليمين... ما أصحاب اليمين، أما إذا قرئت دفعة واحدة، فسوف يتحول المقطع (ص ح ح ص) إلى مقطعين في وسط الآية، أحدهما من النوع: (ص ح) والآخر من النوع: (ص ح ص).

٢- الآيات التالية للآية الأولى حتى نهاية المجموعة جاءت متطابقة تماما كما ذكرت آنفا، حيث عدد المقاطع هو نفسه في كل آية، فكان ترتيب المقاطع فيها: ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص. مع اختلاف طفيف في نوع هذه المقاطع، وهذا التوافق أدى إلى أن كل آية تنطق بالعدد نفسه من

(١) ذكر الرازي الفرق بين أصحاب الميمنة وأصحاب اليمين بقوله: " ما الفائدة في ذكرهم بلفظ: (أصحاب الميمنة) عند ذكر الأقسام، وبلفظ: (وأصحاب اليمين) عند ذكر الإنعام؟ نقول: الميمنة مفعلة إما بمعنى موضع اليمين كالمحكمة لموضع الحكم، أي: الأرض التي فيها اليمين وإما بمعنى موضع اليمن كالمنارة موضع النار، والمجمرة موضع الجمر، فكيفما كان الميمنة فيها دلالة على الموضع، لكن الأزواج الثلاثة في أول الأمر يتميز بعضهم عن بعض، ويتفرقون لقوله تعالى: (يومئذ يتفرقون) [الروم: ١٤] وقال: (يصدعون) فيتفرقون بالمكان فأشار في الأول إليهم بلفظ يدل على المكان، ثم عند الثواب وقع تفرقهم بأمر مبهم لا يتشاركون فيه كالمكان، فقال: (وأصحاب اليمين) انظر التفسير الكبير مجلد١٥/ج٢٩/ ص ١٥٨.

الخفقات، والكمية نفسها من الهواء، والفترة الزمنية المستغرقة في نطق كل آية، وكذلك موضع النبر كان متطابقا متساويا؛ مما يؤدي إلى إنتاج إيقاع منتظم، و نغم خفي وانسجام صوتي.

ثالثا: مواضع النبر الأولى والثانوي

الآية الأولى: وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾

وَ / أَصْ / حا / بُلْ / يَ / مِيْ / نِ / ما / أَصْ / حا / بُلْ / يِ / مِيْنْ.

ص ح/ص ح ْص/ص ح ْ ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ْ ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ْ ح/ص ح ْ ص/ص ح/ص ح ْ ح ص.

نبرأولى: أصحاب: حا: ص ح ْح اليمين: مى: ص ح ْح اليمين: مين: ص ح ْح ص

نبر ثانوي: أصحاب: أَصْ: ص ح ْص اليمين: بل: ص ح ْص اليمين: بل: ص ح ْص

الآية الثانية: فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾	**الآية الثالثة:** وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾
فِي / سِدْ/ رِ+نْ / مَخْ/ ضُوْدْ	وَ/ طَلْ/ حُ+ نْ / مَنْ / ضُوْدْ
ص ح ْ ح/ص ح ْص/ ص ح ص/ص ح ْ ص/ص ح ْ ح ص	ص ح/ص ح ْ ص/ص ح ص/ص ح ْ ص/ص ح ْ ح ص
نبرأولى: في: ص ح ْح، سدر: سِدْ: ص ح ْ ص ، مخضود: ضوْد: ص ح ْح ص.	نبر أولى: طلح: طَلْ: ص ح ْ ص ، منضود: ضُود: ص ح ْح ص.
نبر ثانوي: مخضود: مخ: ص ح ْ ص	نبر ثانوي: منضود: مَنْ: ص ح ْص
الآية الرابعة: وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾	**الآية الخامسة:** وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾
وَ / ظِلْ / لِ+ نْ / مَمْ / دُوْدْ	وَ / مَا / ءِ+نْ / مَسْ / كُوْبْ
ص ح/ص ح ْص/ص ح ص/ص ح ْ ص/ص ح ْ ح ص	ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ْ ص/ص ح ح ص
نبر أولى: وظلّ: ظل: ص ح ْ ص، ممدود: دود: ص ح ْ ح ص.	نبر أولى: ماءٍ: ما: ص ح ْ ح، مسكوب: كوب: ص ح ْ ح ص.
نبر ثانوي: ممدود: مم: ص ح ْ ص	نبر ثانوي: مسكوب: مَسْ: ص ح ْص

نبر السياق في المجموعة

الآية الأولى: وقع نبر السياق على {بُ الْ} فغيره لـ {بُلْ} بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص } إلى {ص ح ص } بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الثانية: وقع نبر السياق على {سدرٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {سدرٍ: ص ح ص+ ص ح} إلى{سد+رن: ص ح ص+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { رِ: ص ح ــ> رِ + نْ: ص ح ص }.

الآية الثالثة: وقع نبر السياق على { طلح } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {طلح: ص ح ص+ ص ح} إلى{طل+ح ن: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { ح: ص ح ــ> حِ + نْ: ص ح ص }.

الآية الرابعة: وقع نبر السياق على { ظلٍّ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {ظلٍّ: ص ح ح+ ص ح} إلى{ظل+ لِ نْ: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { لَ: ص ح ــ> لَ + نْ: ص ح ص }.

الآية الخامسة: وقع نبر السياق على { ماءٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {ماءٍ: ص ح ح+ ص ح} إلى{ما+ء ن: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { ءٍ: ص ح ــ> ء + نْ: ص ح ص }.

ملاحظات على نبر مجموعة:

أولا: قيمة الصوتية للمسافة بين النبرين (الثانوي والأولى)

شاركت المسافة التي بين النبرين في الآيات في تحديد نوع الإيقاع الموجود في الآيات على هذا النحو:

أ) توالى النبرين: كما في (أصحاب / مخضود/ منضود / ممدود / مسكوب) هذا الأمر أدى إلى توالى ضغطتين في كلمة واحدة إحداهما أشد من الأخرى، مما يستلزم معه طاقة أكبر عند النطق بالكلمة، مما أعطى الكلمة إيقاعا سريعا يتكرر بكل هذه الكلمات، مما أوحى بكثرة النعيم وتنوعه.

ب) وجود النبر الثانوي على المقطع (بل: ص ح ʼص) المكون من نهاية كلمة أصحاب وبداية كلمة اليمين؛ أدى إلى تلاحمهما صوتيا كما إلتحما دلاليا ونحويا؛ فالإضافة النحوية بين أصحاب واليمين إشارة للترابط بينهما الذي يعرف بالملكية أى ملكية الثاني للأول؛ فهم مَنْ ملكهم اليمينُ، وهم ملكه.

ج) وجود فاصل صوتي بين النبرين في اليمين الذي تكرر لتكرارها مرتين في آية واحدة؛ أدى إلى تراخى بين الضغطتين، مما أعطى الكلمة إيقاعا مختلفا عما سبقها وتلاها من كلمات.

ثانيا: أثر النبر الأوليّ في صنع الإيقاع:

شارك النبر الأوليّ في اتساق الإيقاع بالتساوي بين مواضع النبر في آيات المجموعة، فقد جاءت مواضع النبر في الآيات متقابلة كما في:

أ) في الآية الأوليّ: جاء النبر على المقطع الثاني في كل كلمات الآية الأربعة حين نعد من الآخر (عدا كلمة الفاصلة كان على المقطع الأخير) مما أدى إلى إنتاج إيقاع متكرر منتظم أنتج لنا نغما متناسقا متساويا متطابقا، أظهره وقوع النبر على مسافات واحدة من آخر كل كلمات الآية.

ب) في سائر آيات المجموعة: فقد وقع النبر على المقطع الأخير في الفاصلة ليكون ذلك رابطا إيقاعيا بين كل الآيات لتنتهي جميعها بالإيقاع نفسه.

ج) النبر في كلمة الأولى من الآيات الأربعة وقع على المقطع الأول منها؛ فصنع توازنا في الإيقاع بين أول الآية وآخرها، أديّ إلى تساوٍ في الإيقاع الذي يتكرر في كل الآيات الأربعة، ويمكن إدراك ذلك بترديد هذه الكلمات بصورة متتالية (سِدْر - طَلْح - ظِلّ - مَاء) فنجد تطابقا في الطاقة المبذولة عند النطق بكل كلمة منها مع بداية كل آية من الآيات.

لقد أوجد التساوي والتطابق في موضع النبر بالآيات الأربعة هذا الإيقاع، وقد جعل د. تمام حسان هذا التطابق والتساوي في مواضع النبر سببا أساسيا في وجود الإيقاع، فيقول (المسافة بين كل حالتي نبر في الكلام المتصل متساوية، وهذا ما يسمى بالإيقاع[1] ويقول في موضع آخر(إن التوازن و الوزن كليهما من صور الإيقاع... انظر إلى الكثير من أساليب الترتيل – وبخاصة ما بُني منها على قصار الجمل - وسوف ترى لها جاذبية خاصة تجتذب إليها انتباهك... وكلما تقاربت أعدد المقاطع بين النيرين أو انتظم اختلاف بعضه عن بعض حسن إيقاعها والعكس صحيح... أما هذا التقارب وذاك الانتظام، فهو الذي نجده في إيقاع الأسلوب القرآني) [2].

هذا ما شعرتُ به عند قراءة هذه الآيات الأربعة القصار، من اتساق المقاطع وتساوٍ في مواضع النبر، مما يؤدي إلى هذا الإيقاع الجميل الذي تحسه وتشعر به و لا تعرف مصدره.

عناصر تكوين الإيقاع في المجموعة:

تعاونت مجموعة من العناصر في تكوين الإيقاع الخاص بهذه الآيات منها:

١- الاتفاق في النهاية المقطعية في فواصلها فكلها من المقطع (ص ح ح ص).

٢- الاتفاق في عدد المقاطع في كل آيات المجموعة.

٣- الاتفاق في نوع المقاطع وترتيبها في كل آيات المجموعة.

٤- الاتفاق في موضع النبرين في كل الآيات.

٥- الاتفاق في الحرف الأخير والذي قبله في كل آيات المجموعة.

٦- الاختلاف في نهاية الحرف الأخير في الفاصلة التي في الآية الأخيرة لكسر الملل والرتابة، ومفاجأة سامعه بتغيير في الإيقاع بإيقاع جديد يثير انتباهه، ويمحو من ذهنه الإيقاع والنغم المتوقع كالقافية المتوقعة بالشعر.

---

(١) البيان في روائع القرآن ٢٧٠

(٢) المرجع السابق ٢٧٠

٧- الاتفاق الصوتي الكبير بين كلمتيْ (مخضود منضود) في:

أ - المقطع (ضود ضود) فيهما متطابقا تماما في حروفهما ونوع المقطع (ص ح ح ص) وهو موضع النبر أوليّ فيهما ، وموضع التنغيم ونوعه ، مما أعطى الفاصلتين إيقاعا واحدا منتظما متكررا بآخر الآيتين .

ب - الاتفاق بين الكلمتين يبدأ من الخلف للأمام.

ج - اتفاق نوع وعدد مقاطعهما.

د - الوزن الصرفي (مَفْعُوْل) فيهما واحد. هـ - موضع النبرين فيهما واحد.

التنغيم:

وقع التنغيم في آيات المجموعة في موضع واحد ، تكرر في كل آيات المجموعة في الموضع نفسه في نهاية فاصلة كل آية ، فوقع على المقطع الأخير من الفاصلة ، وهو المقطع (ص حʻ ح ص). فجاء التنغيم كالآتي في الآية: الأولى: اليمين (مين: ص حʻح ص) الثانية: مخضود (ضود: ص حʻح ص) الثالثة: منضود (ضود: ص حʻح ص) الرابعة: ممدود (دود: ص حʻح ص) الخامسة: مسكوب (كوب: ص حʻح ص).

هذا التكرار في موضع النبر الأولي في نهاية فواصل كل الآيات ، مع كونه موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا ليكوِّن لوحة تناغمية متسقة من هذا الإيقاع؛ جعلتْ السامع يعيش في لحن واحد؛ أتي من إيقاع واحد داخل حالة نفسية واحدة حالة نعيم مع صنف آخر من أهل الجنة ، هم أصحاب اليمين.

نوع التنغيم:

التنغيم هابط ، حيث الآيات كلها تشير إلى معنى واحد ، جاء في جمل إخبارية تخبر عن حال أصحاب اليمين وهم من أهل الجنة وهذا الإخبار أُحيط بإيقاع واحد ، تكوَّن من تنغيم واحد ، ونبر واحد ، جاء على مقطع واحد ، في موضع واحد.

الهيكل التنغيمي:

هذا التوافق الصوتي الكبير في تلك الآيات صنع فيها هيكلا تنغيميا متكررا ، نسمعه في إيقاع واحد ورتم متكرر في أربع آيات متتالية ، هذا الهيكل هو:

ص ح/ص حʻ ص/ص ح ص/ص حʼ ص/ص حʻ ح ص.

المجموعة الثامنة

﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

أولا : من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "لا مقطوعة أي في وقت من الأوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ولا ممنوعة أي لا يحظر عليها كثمار الدنيا. وقيل: ولا ممنوعة أي لا يمنع من أرادها بشوك ولا بعد ولا حائط، بل إذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها، قال الله تعالى: وذللت قطوفها تذليلا. وقيل: ليست مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان. والله أعلم(١).

أما قوله تعالى "وفرش مرفوعة" فقد قال فيه القرطبي: قوله تعالى: وفرش مرفوعة روى الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: وفرش مرفوعة قال: ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد. وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: الفرش في الدرجات، وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض. وقيل: إن الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم يتقدم لهن ذكر، ولكن قوله عز وجل: وفرش مرفوعة دال،(٢) لأنها محل النساء، فالمعنى ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وكمالهن.

ثانيا : التحليل المقطعي

وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾

وَ / فَا / كِ /هَـ/ ـةٍ+ نْ / كَ / ثِي / رَةْ

ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ص

لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾

لا /مَقْ/طُو/عَ/ـةٍ+نْ/و/لا/ مَمْ/ نُو / عَةْ

ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨٠

(٢) المرجع السابق: ٦٣٨٠

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾

و / فُ / رُ / شِ+ نْ / مَرْ / فُو / عَةْ

ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة خمسة وعشرون مقطعا من ثلاثة أنواع هي:

أ ـ مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر تسع مرات.

ب ـ مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر تسع مرات .

ج ـ مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر سبع مرات .

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ ـ شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح.

ب ـ لا نجد بالمجموعة المقطعين: المديد المغلق و لا الزائد في الطول.

٢ ـ اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ ـ الآية الأولى: تحول المقطع {هةٍ: ص ح+ص ح } إلى {هةٍ+ن: ص ح+ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

ب ـ الآية الثانية: تحول المقطع {عةٍ: ص ح+ ص ح} إلى {عةٍ+ن: ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

ج ـ الآية الثالثة: تحول المقطع {رشٍ: ص ح+ ص ح } إلى {رشٍ +ن: ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣ ـ إغلاق بعض مقاطع المجموعة:

أ ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الأولى { ـةٍ: ص ح > تِنْ: ص ح ص } .

ب ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثانية { ـةٍ: ص ح > تِنْ: ص ح ص } .

ج ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة {شٍ: ص ح > شِ+نْ: ص ح ص} .

٤ ـ التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة: كثيرة ممنوعة مرفوعة في:

أ - التكوين المقطعي: جاء في صورة واحدة {ص ح+ ص ح ح+ص ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة

ب - الحرف الأخير في كلمات الفواصل واحد، وهو (هاء السكت).

ج - جاءت كل الفواصل منتهية بالمقطع (ص ح ص) .

٥- مصدر التوازي والتوازن في المجموعة:

جاء التوازي والتوازن في هذه المجموعة من أن:

أ) كل آية تتكون من كلمتين؛ تقسمان الآية إلى قسمين متوازيين متساويين نتيجة لتطابقهما في نوع المقطع الذي في آخر الكلمة الأولى مع المقطع الذي في آخر الكلمة الثانية في الآية نفسها، فكلاهما تنتهيان بالمقطع (ص ح ص)، وهو المقطع الذي تنتهي به فاصلة كل آيات المجموعة، وكأنَّ كل كلمة من الكلمات الأولى [فاكهة - مقطوعة - فرش] فاصلة مستقلة، فتكوِّن كل كلمة مع أختها في الآية نفسها إيقاعا متوافقا يتكرر مع الآية التالية لها، ثم يتكرر هذا ثلاث مرات في المجموعة كلها. ويمكن أن نتصور هذا من خلال تكرارها هكذا:

١- فاكهة — كثيرة

فَا / كِ /هَـ/ ـةِ+ نْ — كَ / ثِي / رَةْ

ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح**(ص ح ص)** — ص ح/ص ح ح **(ص ح ص)**

٢- مقطوعة — ممنوعة

مَقْ/طُو/عَ/ـةِ+نْ — مَمْ/ نُو / عَةْ

ص ح ص/ص ح ح/ص ح **(ص ح ص)** — ص ح ص/ص ح ح **(ص ح ص)**

٣- فرش — مرفوعة

و / فُ / رُ / شِ+ نْ — مَرْ / فُو / عَةْ

ص ح/ص ح **(ص ح ص)** — ص ح ص/ص ح ح **(ص ح ص)**

ب) مصدر آخر للتوازن والتوازي: هو هذا الرابط الخفى بين هذه المجموعة والتي قبلها الذي أفاد من تكوين كل آية فيهما من كلمتين فقط، يقسمان الآية

إلى قسمين، وهو التنوين وهو صوت نون الساكنة جاء في صورة نغم خفي يرافق كل كلمات آيات المجموعتين في هدوء شديد؛ تسمعه ولا يكاد تنتبه لمصدره، على مقطع واحد هو المقطع الأخيرمنها (ص ح ص) قد رأيناه في المجموعة الثانية كما نرى هنا في المجموعة الأولى:

١. سدر مخضودٍ ٢. طلح منضود

سِدْ/ رِ+ نْ مَخْ/ ضُوْدْ طَلْ/ حُ+ نْ / مَنْ / ضُوْدْ

ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص❖ص ح ص /ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

٣. ظل ممدود ٤. ماء مسكوب

ظِلْ / لِ+ نْ مَمْ / دُوْدْ مَا / ءِ+نْ مَسْ / كُوْبْ

ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص❖ ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

فكان صوت التنوين هذا على المقطع (ص ح ص) الممتد في المجموعتين هو النغم الخفي الذي يربط بين المجموعتين، بإيقاع متساوٍ متوازٍ في كل آياتهما.

٦ ـ أثر شيوع هاء السكت في السورة:

يمكن أن نلاحظ نغما آخر يمتد عبر آيات السورة بمجاميعها المختلفة؛ ليربط بينها، ويحقق التوافق الذي نلاحظه بين نهايات تلك المجموعات، وتتكون من: مقطع (ص ح ص)+ هاء السكت؛ كنهاية لتلك المجاميع، فجاءت في المواضع:

الأولى(عة ـ بة ـ عة) والثالثة (ثة ـ نة ـ مة) وأول المجموعة الخامسة (نة) والثامنة (رة ـ عة ـ عة) وهذه المجموعة الأخيرة التي تنتهي بهذا التركيب الصوتي المكون من: المقطع (ص ح ص)+ هاء السكت .

ثالثا: موضع النبر الأولى والثانوي

الآية الأولى: وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾

وَ/فَا/كِ/هَـ/ ـةِ+ نْ / كَ / ثِي / رَةْ

ص ح/ص ح' ح/ص ح'/ص ح/ص ح ص/ص ح'/ص ح' ح/ص ح ص.

الآية الثانية: لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾

لا/مَقْ/طُو/عَ/ـةِ+نْ/و/لا/مَمْ/نُو/عَةْ.

ص ح' ح/ص ح' ص/ص ح' ح/ص ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح' ح/ص ح

نبرأولى: فاكهة: كِ: ص ح‘، كثيرة: ثِيْ: ص ح‘ ح .

نبر ثانوي: فاكهة: فا: ص ح’ح كثيرة: ك: ص ح’.

ص/ص ح‘ ح/ص ح ص.

نبرأولى: لا: ص ح‘ ح، مقطوعة: طو: ص ح‘ ح ، ممنوعة: نو: ص ح‘ ح. نبرثانوي: مقطوعة: مق: ص ح’ ص ، ممنوعة: مم: ص ح’ص.

الآية الثالثة: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ٣٤﴾

و/فُ / رُ/ شِ+ نْ / مَرْ/ فُو/ عَةْ

ص ح/ص ح‘ /ص ح/ص ح ص/ص ح’ ص/ص ح ،ح/ص ح ص.

نبر أولى: وفرش: فُ: ص ح‘ ، مرفوعة: فُو: ص ح‘ح .

نبر ثانوي: مرفوعة: مَرْ: ص ح’ص.

نبر السياق:

١. وقع نبر السياق في الآية الأولى على { هةٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {هةٍ: ص ح+ ص ح} إلى {هةٍ+ن: ص ح + ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { ـةٍ: ص ح ـ> ـة نْ: ص ح ص } .

٢. وقع نبر السياق في الآية الثانية على { عةٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {عةٍ: ص ح+ ص ح} إلى{عةٍ+ ن: ص ح + ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { ـةٍ: ص ح ـ> ـةِ نْ: ص ح ص } .

٣. وقع نبر السياق في الآية الثالثة على { رشٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {رشٍ: ص ح + ص ح} إلى{رش+ ن: ص ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا {شٍ: ص ح ـ> شِ نْ: ص ح ص } .

تعاون النبر والمقطع لخلق الإيقاع:

تحقق هذا التعاون من خلال الكلمات الآتية: (فاكهة وكثيرة ومقطوعة وممنوعة ومرفوعة).

أولا النبر: جاء النبران بصورة متتالية ومتكررة في الكلمات كلها؛ فجاء مقطع النبر الأوليِّ تاليا لمقطع النبر الثانويِّ؛ فكان النبر الثانوي على المقطع الأول من الكلمات: (فا ـ ك ـ مق ـ مم ـ مر). والنبر الأوليّ على المقطع التالي له من الكلمات: (كَ ـ ثِيْ ـ طُوْ ـ نُوْ ـ فُوْ).

ثانيا المقطع: انتهت الكلمات كلها بمقطع واحد تلى النبرين (ص ح ص: هة ـ رة ـ عة ـ عة ـ عة) فتطابقت نهايتها نتيجة تكرار هذا المقطع بها، لاحظ تكرر:

١ـ هاء السكت خمس مرات مع نهاية الكلمات السابقة.

٢ـ المقطع (عة) ثلاث مرات في نهاية ثلاث كلمات متتالية.

فنجد أن النبر الأولي قد تلى النبر الثانوي في الكلمات، وكذا انتهت الكلمات بمقطع واحد مع هاء السكت، مما يعنى تكرر ضغتتين متتاليتين في كل الكلمات إحدهما أشد من الأخر، وتكرر مقطع من نوع واحد وفى موضع واحد هو نهاية الكلمات (وهو الذي يثبت في الذاكرة القريبة للسامع) مما أنتج لنا إيقاعا منتظما متكررا في هذه الكلمات؛ مما أدى إلى التوافق في عملية انقباض القفص الصدري، وخفقاته، والطاقة العضلية المبذولة في نطق هذه الكلمات المتماثلة في نوع المقطع وموضع النبر.

التوافق الصوتي بين بعض كلمات المجموعة:

نجد إلى جانب التوافق السابق توافقا صوتيا آخر بين كلمات محددة في المجموعة بصورة أكبر وهذه الكلمات هي: مقطوعة ـ ممنوعة ـ مرفوعة في:

١ـ الوزن الصرفي: فقد جاءت على وزن "مَفْعُولَة".

٢ـ البدء بالميم المفتوحة.

٣ـ الانتهاء بهاء السكت.

٤ـ التكوين المقطعي: ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص.

٥ ـ جودة التوزيع داخل المجموعة (كلمتان بالآية الثانية وكلمة بالآية الثالثة).

٦ ـ وجود كلمتين منهم في فاصلتي آيتين، جعل الآيتين تنتهيان بالإيقاع واحد.
٧ ـ انتهاء كل الكلمات بمقطع واحد (عة: ص ح ص) المتطابق مقطعيا وصوتيا.

التنغيم:

وقع التنغيم في آيات المجموعة في موضع واحد، تكرر في كل آيات المجموعة في الموضع نفسه في نهاية فاصلة كل آية، فوقع على المقطع قبل الأخير من الفاصلة، وهو المقطع (ص حʻح). فكان موضع التنغيم فيهم كالآتي: الآية الأولى: كثيرة (ثِيْ: ص حʻح) . الآية الثانية: ممنوعة (نو: ص حʻح)

الآية الثالثة: مرفوعة (فو: ص حʻح) .

هذا التكرار لموضع النبر الأولي في فواصل كل الآيات، مع كونه موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا ليكوَّن لوحة تناغمية متسقة من هذا الإيقاع؛ جعلتْ السامع يظل يحيا في لحن السابق الذي أتي من إيقاع واحد داخل حالة نفسية واحدة حالة نعيم جماعة من أهل الجنة، هم أصحاب اليمين.

نوع التنغيم:

التنغيم هابط، حيث الآيات كلها تشير إلى معنى واحد، جاء في جمل إخبارية تخبر عن حال أصحاب اليمين، وهذا الإخبار أُحيط بإيقاع واحد، تكوَّن من تنغيم واحد، ونبر واحد، جاء على مقطع واحد، في موضع واحد، ولكنه على الرغم مما سبق من اتفاق بين تلك العناصر الصوتية في تنغيمها إلا أنها تختلف عن التنغيم الذي جاء في المجموعة السابقة.

عناصر تكوين الإيقاع في الآيات:

جاء الإيقاع المنتظم والمتناسق في الآيات من:

١- الاتفاق في النهاية المقطعية في فواصل الآيات فكلها من المقطع: ص ح ص.
٢- الاتفاق في النهاية المقطعية للكلمة التي في وسط الآية بالمقطع (ص ح ص)
٣- الاتفاق في الحرف الأخير من كل كلمات المجموعة (هاء السكت) والمقطع الذي فيه هذا الحرف (ص ح ص: هة ـ رة ـ عة ـ عة ـ عة) عدا كلمة فرش

٤- الاتفاق في موضع النبر في الكلمات والفواصل مع ما يقابلها من كلمات في الآيات المجموعة، فالنبر يقع في مواضع متماثلة متوازية في شطري كل آية (أي بكلمتيْ الآية) وكذلك بالموضع نفسه بكل فاصلة من كل آية.

٥- تكرار حرف العين في الآيتين الأخيرتين، أوجد نغما متماثلا متكررا صادرا عن صوت معين (العين) له خصائص صوتية متميزة، ينطلق مع انفجار في مخرجه من أقصى الحلق؛ مع انطلاق الهواء هناك بشدة، لتسمع صداه في أذن السامع، نغما متجانسا منتظما خاصا متميزا.

٦- التوافق في التنغيم بين آيات المجموعة كما ذكرتُ آنفا.

المجموعة التاسعة

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "إنا أنشأناهن إنشاء أي خلقناهن خلقا وأبدعناهن إبداعا. والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا وإزارا، ...قيل: على هذا هن الحور العين، أي خلقناهن من غير ولادة. وقيل: المراد نساء بني آدم، أي خلقناهن خلقا جديدا وهو الإعادة، أي أعدناهن إلى حال الشباب وكمال الجمال. والمعنى أنشأنا العجوز والصبية إنشاء واحدا، وأضمرن ولم يتقدم ذكرهن، لأنهن قد دخلن في أصحاب اليمين، .... وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: إنا أنشأناهن إنشاء قال: منهن البكر والثيب. وقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا فقال: يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء."[1]

وقال أيضا: "عربا جمع عروب. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: العرب العواشق لأزواجهن. وعن ابن عباس أيضا: إنها العروب الملقة. عكرمة: الغنجة. ابن زيد: بلغة أهل المدينة...وهي الشكلة بلغة أهل مكة. وعن زيد بن أسلم أيضا: الحسنة الكلام. وعن عكرمة أيضا وقتادة: العرب المتحببات إلى أزواجهن، واشتقاقه من أعرب إذا بين، فالعروب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن كلام. وقيل: إنها الحسنة التبعل لتكون ألذ استمتاعا. وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عربا قال: كلامهن عربي. وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم "عربا" بإسكان الراء. وضم الباقون وهما جائزان في جمع فعول. أترابا على ميلاد واحد في الاستواء وسن واحدة ثلاث

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨١.

وثلاثين سنة. يقال في النساء: أتراب وفي الرجال: أقران. وكانت العرب تميل إلى من جاوزت حد الصبا من النساء وانحطت عن الكبر. وقيل: أترابا أمثالا وأشكالا؛ قاله مجاهد. السدي: أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد[1].

ثانيا: التحليل المقطعي

إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾	فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾
إِنْ/نَا/اَنْ/شَأْ/ نَا / هُنْ / نَ / إِنْ/شَا /ءَ ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح /ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح	فَ/جَ/عَلْ/ نَا / هُنْ / نَ / أَبْ / كَا / رَ ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح

عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾

عُ / رُ / بُ+ نْ / أَتْ / را / بَ

ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح

مقدمة:

تستمر الآيات في ذكر نعيم أصحاب اليمين، ولكنه سبحانه وتعالى يذكر هنا لونا جديدا من النعيم، وهم الحور العين، فتحدث عنهن بصفات لم يذكرها في حديثه عن الحور العين الخاصة بالسابقين، فهن قد خلقهن الله خلقا خاصا، فجعلهن أبكارا، عربا أترابا، ليُضاف هذا إلى صفاتهن السابقة، ولكي يبدو الأمر مختلفا؛ فقد جاء حديثه عنهن في قالب صوتي مختلف عما سبقه، فجاء في ثلاث آيات تميزن بأنهن كلهن انتهين بفاصلة منتهية بالمقطع (ص ح) وتطابقت فواصل الآيات الثلاثة مقطعيا؛ حيث جاءت في صورة مقطعية واحدة وبالترتيب نفسه: ص ح ص + ص ح ح+ ص ح.

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨١

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة

١- شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة خمسة وعشرون مقطعا من ثلاثة أنواع هي:

أ - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر عشر مرات .

ب - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر تسع مرات.

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر ست مرات .

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ- شيوع المقطع الطويل مغلق، يليه المقطع القصير مفتوح، ثم المقطع الطويل المفتوح .

ب - ولا نجد بالمجموعة المقطعين: المديد المغلق و لا الزائد في الطول.

٢- التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة: (إنشاء، أبكار، أترابا) في تكوينها المقطعي حيث جاء بصورة واحدة {ص ح ص+ ص ح ح+ص ح} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة

العلاقة بين التركيب المقطعي والتركيب النحوي:

جاءت آيات المجموعة في جملة واحدة تمتد حتى تصل إلى آيات المجموعة التالية لها، في صورة مترابطة في المعنى والتركيب، فجاءت الجملة الأساسية في الآية الأولى في صورة جملة منسوخة بـ(إنّ)، ومعها اسمها وخبرها + مفعول مطلق، والآية الثانية مرتبطة بالآية الأولى بالفاء التي أفادت ترتيب أحداث عملية خلق الحور العين، والآية الثالثة جاءت وصفا آخر للحور العين، لهذا نرى أنها جملة واحدة في ثلاث آيات، بفواصل مختلفة تُحقق الانسجام الصوتي بالوقوف عند كل فاصلة منهم، وكأنها ثلاث جمل، وليست جملة في ثلاث آيات، فيحدث هذا التناغم بينها بسبب ذلك التقسيم إلى ثلاث آيات ذات نهاية مقطعية واحدة؛ مما كون ذلك الانسجام الصوتي، والنغم الخفي، فتبدو إيقاع واحدا منتظما متكررا ثلاث مرات عبر ثلاث آيات. مما يفصلها عن إيقاع المجموعة السابقة عليها والتالية لها.

وهذا سبب تقسيمي السورة إلى مجموعات مختلفة ﮱ عدد آياتها؛ لكن متفقة ﮱ إيقاع كل مجموعة منها، وليس على آيات عدد ثابت.

لقد كان الإيقاع والتناسق بين المقاطع ومراعاة الفاصلة أهم من مراعاة قواعد التركيب النحوي، لأن هذه القواعد أُخِذتْ من القرآن وليس العكس، وكما يقول د. تمام (إن اللغة أوسع من النحو العربي، لأن النحو قواعد أنيط بها تنظيم ما أطرد من اللغة، ثم يبقى بعد ذلك جزء من اللغة لا يخضع لقواعد النحو، بسبب عدم أطراده، وهو جزء من اللغة يتساوى مع المطرد ﮱ الفصاحة... ولقد نزل القرآن بلسان عربي مبين (لا بنحو متين) وهكذا امتدت تراكيبه على رحاب اللغة، ولم تتحبس ﮱ بوتقة القواعد النحوية، فالقرآن يهيمن على اللغة كلها ما أطرد منها وما لم يطرد) [1].

ثالثا: موضع النبر في الآيات:

الآية الأولى: إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾

إِنْ/ نَا /اَنْ/شَأْ/ نَا/ هُنْ/نَ/ إِنْ/شَا /ءَ

ص حٓص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح

ص/ص حٓح /ص حٓص/ص ح/ص ح

ص/ص حٓ ح /ص ح.

نبرأولى: إنَّا: إنْ: ص حٓص، أنشأناهن: هنْ: ص حٓص، إنشاء: شَا: ص حٓح

نبر ثانوي: أنشأناهن: نا: ص حٓح.

الآية الثانية: فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾

فَ/ جَ/ عَلْ/ نَا / هُنْ/ نَ/أَبْ / كَا/ رَ

ص ح/ص ح/ص ح ص/ص حٓ ح/ص

حٓص/ص ح/ص ح ص/ص حٓ ح /ص

ح.

نبرأولى: فجعلناهن: هن: ص حٓص، أبكارا: كا: ص حٓح .

نبر ثانوي: فجعلناهن: نا: ص حٓ ح .

الآية الثالثة: عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾

عُ / رُ / بُ + نْ / أَتْ / را / بَ

ص حٓ /ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص حٓ ح/ص ح

نبر أولى: عربا: عُ: ص حٓ ، أترابا: را: ص حٓ ح.

---

(١) البيان ﮱ روائع القرآن ٢٨٣

نبر السياق:

١. وقع نبر السياق في الآية الثالثة على { رباً } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {رباً: ص ح+ ص ح} إلى{ربً+ ن: ص ح + ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { بً: ص ح ــ> بً نْ: ص ح ص } .

ملاحظات على موضع النبر:

١. اجتمع النبران الثانوي والأولي في الآيتين الأولي والثانية في المجموعة في أكبر كلمتين بهما، وهما: (أنشأناهنَّ ـ فجعلناهنَّ) فبدا التوافق بينهما في:

أ) موضع النبرين وحروفهما ونوع مقطعهما (الثانوي: نا.نا ، والأوليِّ: هُنَّ. هُنَّ).

ب) حروف الكلمتين: اتفقت الكلمتان في عدد حروفهما، وأنوع تلك الحروف الذي يمتد من الخلف إلى الأمام، فيبدو الاختلاف فقط بين الفعلين (أنشأ وجعل).

٢. موضع النبر الأوليّ في كل فواصل المجموعة واحد هو: (إنشأ: شا: ص ح' ح، أبكار: كا: ص ح' ح ، أتراب: را: ص ح' ح.

التنغيم:

وقع التنغيم في الآيات في موضع واحد، تكرر في كل الآيات في الموضع نفسه فوقع على المقطع قبل الأخير من الفاصلة، وهو المقطع (ص ح'ح). فكان موضع التنغيم فيهم كالآتي: الآية الأولى: إنشاء (شاْ: ص ح'ح) .

الآية الثانية: أبكار (كا: ص ح'ح) الآية الثالثة: مرفوعة (فو: ص ح'ح) .

هذا التكرار لموضع النبر الأولي في فواصل كل الآيات، مع كونه موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا ليكوَّن لوحة تناغمية متسقة من هذا الإيقاع؛ جعلتْ السامع يظل يحيا في اللحن السابق الذي أتي من إيقاع واحد داخل حالة نفسية واحدة حالة نعيم جماعة من أهل الجنة، هم أصحاب اليمين.

نوع التنغيم:

جاء التنغيم هابطا حيث الآيات كلها تشير إلى معنى واحد، جاء في جمل

إخبارية تخبر عن حال أصحاب اليمين، وهذا الإخبار أُحيط بإيقاع واحد، تكوَّن من تنغيم واحد، ونبر واحد جاء على مقطع واحد في موضع واحد. وعلى الرغم مما سبق من اتفاق بين تلك العناصر الصوتية في تنغيمها إلا أنها تختلف عن تنغيم المجموعة السابقة لاختلافهما في نوع مقطعهما الأخير.

المجموعة العاشرة

قال تعالى: ﴿ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "وثلة من الآخرين من هذه الأمة من آخرها، يدل عليه ما روي عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هم جميعا من أمتي. وقال الواحدي: أصحاب الجنة نصفان من الأمم الماضية ونصف من هذه الأمة. وهذا يرده ما رواه ابن ماجه في سننه والترمذي في جامعه عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. و " ثلة " رفع على الابتداء، أو على حذف خبر حرف الصفة، ومجازه: لأصحاب اليمين ثلتان: ثلة من هؤلاء وثلة من هؤلاء. والأولون: الأمم الماضية، والآخرون: هذه الأمة على القول الثاني[1].

ثانيا: التحليل المقطعي:

لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾

لِ / أَصْ / حَا / بِلْ / يَ / مِيْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾

ثُلْ / لَ /ـةُ +ن / مِ/ نَلْ / أَوْ /وَ / لِيْنْ

ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ

و / ثُلْ / لَ / ـةُ+ نْ / مِ / نَلْ / أَ / خِ / رِيْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ح ص

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨٢

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة ثلاثة وعشرون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ . مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر تسع مرات .

ب . مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر عشر مرات.

ج . مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) جاء مرة واحدة .

د . مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) ثلاث مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ . شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع المديد المغلق .

ب . ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

٢ . التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة: (اليمين، الأولين، الأخرين) في تكوينها المقطعي، حيث جاءت بصورة واحدة {ص ح ص+ ص ح+ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية. جاءت المجموعة لتؤكد علي المستحقين لهذا النعيم، "أصحاب اليمين" الذين تحدث عنهم عبر ثلاث مجموعات سابقة؛ لهذا جاءت آيات هذه المجموعة متطابقة صوتيا مع الآية الأولى من المجموعة الأولى من المجموعات الثلاثة؛ التي عرفتهم في جملتين متتاليتين: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين؟ فكان هذا التطابق الصوتي هو النغم الخفي الذي يربط بين تلك المجموعات الأربعة، التي تتحدث في لوحة واحدة عن أصحاب اليمين، وجاءت الآيات بوصف جديد لأصحاب اليمين، فزاد في تحديدهم لنا، فتكررت تلك العبارة ثلاث مرات (أصحاب اليمين) باللوحة ليؤكد على أصحاب هذا النعيم، ويذكرنا بهم، في نغم خفي أظهره الترابط بين عناصر اللوحة؛ وفي توافق صوتي كبير في اللوحة.

ثالثا: مواضع النبر في الآيات

الآية الأولى: ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨﴾

لِ / أَصْ / حَا / بِلْ / يَ / مِيْنْ

ص ح/ص ح ْ ص/ص ح ٓ ح/ ص ح ْ ص/ص ح/ص ح ٓ ح ص .

نبر أولى: أصحاب: حا: ص ح ٓح، اليمين: مين: ص ح ٓح ص.

نبر ثانوي: أصحاب: أص: ص ح ْص، باليمين: بِلْ: ص ح ْص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الأولى على قوله {بُ اَلْ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي: من {ص ح + ص ح ص} إلى {ص ح ص} لإسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام لأنها لام قمرية، وكان هو موضع النبر الثانوي فيها.

الآية الثانية: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩﴾

ثُلْ / لَ /ةُ +ن / مِ/ نَلْ / أَوْ /وَ / لِيْنْ

ص ح ْ ص/ص ح/ص ح ٓ ص/ص ح/ص ح ْص/ص ح ص/ص ح/ص ح ٓ ح ص.

نبر أولى: ثُلّة: ـة + ن: ص ح ٓ ص، الأولين: لين: ص ح ٓح ص.

نبر ثانوي: ثُلَّةٌ: ثُلْ: ص ح ْ ص، من الأولين: نِلْ: ص ح ْص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الثانية على قوله {منْ اَلْ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي: من {ص ح + ص ح ص} إلى {ص ح ص} لإسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام لأنها لام قمرية، وكان هو موضع النبر الثانوي فيها.

الآية الثالثة: ﴿وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ٤٠﴾

و / ثُلْ / لَ / ـةُ+ نْ / مِ / نَلْ / أَ / خِ / رِيْنْ

ص ح/ص ح ْص/ص ح/ص ح ٓص/ص ح/ص ح ْص/ص ح /ص ح/ص ح ٓح ص

نبر أولى: ثُلّة: ـة + ن: ص ح ٓ ص، الأخرين: رين: ص ح ٓح ص.

نبر ثانوي: ثُلَّةٌ: ثُلْ: ص ح ْ ص، من الأخرين: نِلْ: ص ح ْص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الثالثة على قوله {منْ اَلْ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح ص+ ص ح ص} إلى {ص ح+ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل فقط، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

التنغيم:

وقع التنغيم في الآيات في موضع واحد، تكرر في كل الآيات في الموضع نفسه؛ فوقع على المقطع الأخير من الفاصلة، وهو المقطع (ص حʿح ص). فكان موضع التنغيم في الآيات كالآتي:

في الأولى: اليمين (مينْ: ص حʿح ص).

في الثانية: الأولين (لين: ص حʿح ص)في الثالثة: الأخرين (رين: ص حʿح ص)

هذا التكرار لموضع النبر الأولي في فواصل كل الآيات، مع كونه موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا ليكوَّن لوحة تناغمية متسقة من هذا الإيقاع؛ جعلتْ السامع يظل يحيا في اللحن السابق الذي أتي من إيقاع واحد داخل حالة نفسية واحدة حالة نعيم جماعة من أهل الجنة، هم أصحاب اليمين.

نوع التنغيم: جاء التنغيم هابطا حيث الآيات كلها تشير إلى معنى واحد، جاء في جمل إخبارية تخبر عن صفة أصحاب اليمين، وهذا الإخبار أُحيط بإيقاع واحد، تكوَّن من تنغيم واحد، ونبر واحد جاء على مقطع واحد في موضع واحد. وعلى الرغم مما سبق من اتفاق بين تلك العناصر الصوتية في تنغيمها إلا أنها تختلف عن تنغيم المجموعة السابقة لاختلافهما في نوع مقطعهما الأخير فكان منبورا.

اللوحة الثالثة (أصحاب اليمين)

تعرض هذا اللوحة (من المجموعات من السابعة إلى العاشرة) لموضوع واحد، وهو أصحاب اليمين، وما هم فيه من النعيم، قد بدأت بعنوان كبير، أو قل لافتة تشير إليهم، وضعت في بداية اللوحة، لتثير انتباه السامع إلى سماع صفات هؤلاء القوم، ومنزلتهم عند ربهم، وما أعده لهم، فتسأل تلك اللافتة قائلة: ما أصحاب اليمين؟ ثم تنطلق إلى الحديث عن وصفهم وأجرهم، تاركة الحديث عن العمل، فاليوم يوم جزاء وأجر، وليس يوم عمل واجتهاد، إنه يوم الواقعة يوم القيامة يوم الحساب، ولهذا جاء الإخبار عنهم في صورة سؤال، تعظيما لهم ولمكانتهم عند ربهم، وتلك آية بلاغية يجب أن نفهمها من هذا السؤال، ثم ذكرت أنواعا من النعيم الذي هم فيه، وانتهت بالتأكيد على أن هذا النعيم خاص بهم دون غيرهم؛ من خلال تكرار ذكر اسمهم في نهاية اللوحة: (لأصحاب اليمين) في آية واحدة مستقلة بهم؛ تأكيدا على ملكية هذا النعيم لهم .

وسائل اللوحة اللغوية في تصوير المعنى: استعانت الآيات للوصول لهذا المعنى بوسائل لغوية تصوره وتوضحه، بل إنها نقلت الإحساس بالمعنى من خلال كلماتها وأصواتها، حيث تعتمد على وسائل غفل عنها كبار شعراء العرب وخطباؤها، على الرغم من أنهم أحسوا بهذه الوسائل، ولم ينكروها، ولكن لم يعرفوا سرها؛ فهدتهم فطرتهم المضللة، وعلمهم الكاذب إلى القول بأنه شعر، وذلك منتهى علمهم بهذا النص المعجز، فهم لا يعرفون من فنون القول سوى الشعر، فلم يدركوا أن هناك لونا من فنون القول اسمه القرآن، وهو كما قالوا (وحقا ما قالوا) يعلو ولا يُعْلَى عليه، فهو تنزيل من رب العالمين، بلسان عربي مبين، اعتمد على وسائل صوتية أحدثت فيهم ما أحسوه من الانسجام الصوتي، والإيقاع المتناسق، فطربتْ له نفوسهم واستنكرته قلوبهم الجاحدة التي عليه أقفالها، فأرجعوا ذلك إلى الوزن والقافية، فإذا به يحطم ذلك، فيكسر ما يجعلُ القرآنَ شعرًا، بالخروج على الوزن والقافية، فلو نظرنا إلى آيات المجموعة السابعة لقلنا: إنها شعر لا محالة، فكل آياتها انتهت بفاصلة على وزن (مَفْعُوْل) وبحرف الدال، ثم تأتي آية في نهاية المجموعة على الوزن نفسه (مفعول) ولكنها منتهية بالباء،

وليس الدال، فكُسِرَ هذا التتابع للحرف الأخير الذي يمكن أن يماثل القافية الشعرية بتلك الباء، وبقى في الأذن صوته من خلال وزن (مَفْعُوْل) الذي لم يتغير في تلك الآية الأخيرة (مسكوب)، فَنَحُسُّ في الوزن الصرفي المتكرر {من خلال الأصوات الصائتة التي لم تتغير في نوعها أو موضعها بذلك الوزن مَفْعُوْل} ، ولا نجد حرف القافية السابق (الدال) يتكرر في كل تلك الفاصلة، وهو بهذا قد كسر مفهوم الوزن، وأتى بمفهوم صوتي جديد علي تلك الآذان، هو المقطع الصوتي، كمقياس صوتي جديد للكلمات، فهو خفقة تخرج من صدر المتكلم حاملةً معها مجموعة من الأصوات المتنوعة ما بين صامت وصائت، فتؤلف مع مثيلاتها نغما متجانسا خفيا نشعر به ولا نعرف مصدره، ثم تسرع إلى تبديله قبل أن تمله الأذن أو يصبح سجعا أو شعرًا، مما يقوله البشر، فهو قول الله الذي علمهم كيف ينطقون.

ولهذا نجد في هذه اللوحة تلك المجاميع المتنوعة في نهايتها الصوتية، من حيث المقطع الأخير من كل فاصلة، وهو ما جعلني أُقَسِّمُ اللوحة إلى مجاميع، حيث لا تلبث الأذن أن تعتاد نغم هذه المجموعة المكونة من آيتين أو أكثر، حتى نفاجأ بتبديل هذه المجموعة بأخرى تختلف عنها في النهاية المقطعية لفاصلتها، إن الأساس في تقسيمي للآيات إلى مجاميع هو أساس صوتي بحت.

كما تباينت أعداد المقاطع في كل آية وفى كل مجموعة، فهي تتفق حينا وتختلف حينا، مما أحدث تنوعا في الإيقاع داخل الآية، وكذا داخل المجاميع. وكذلك تنوع الحرف الأخير في كل المجاميع، حيث يتفق حينا ويختلف حينا، أما في داخل المجموعة فهو متفق غالبا، بل إن هذا الاتفاق ليمتد أحيانا ليشمل الحرف الأخير وما قبله.

العناصر الصوتية التي كونت إيقاع اللوحة: تكوَّن ذلك من الاتفاق في:

١- النهاية المقطعية لكل فواصل كل مجموعة.
٢- الحرف الأخير في نهاية فاصلة كل مجموعة.
٣- الحرف قبل الأخير (غالبا) في فاصلة كل مجموعة.
٤- تنوع موضع النبر في المجاميع واتفاقه (غالبا) في الآيات المتماثلة فيها.
٥- تساوي المسافات بين مواضع النبر أوجد إيقاعا متناسقا متساويا فيها.

المجموعة الحادية عشرة

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "ذكر منازل أهل النار وسماهم أصحاب الشمال، لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال: "ما أصحاب الشمال. وقال أيضا: "فِي سَمُومٍ، والسموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن.

والمراد هنا حر النار ولفحها.وَحَمِيمٍ أي ماء حار قد انتهى حره، إذا أحرقت النار أكبادهم وأجسادهم فزعوا إلى الحميم، كالذي يفزع من النار إلى الماء ليطفئ به الحر فيجده حميما حارا في نهاية الحرارة والغليان.وقد مضى في "محمد" "وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم" وظل من يحموم أي يفزعون من السموم إلى الظل كما يفزع أهل الدنيا فيجدونه ظلا من يحموم، أي من دخان جهنم أسود شديد السواد. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وكذلك اليحموم في اللغة: الشديد السواد وهو يفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار. وقيل: هو المأخوذ من الحمم وهو الفحم. وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود وكل ما فيها أسود. وعن ابن عباس أيضا: النار سوداء. وقال ابن زيد: اليحموم جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار وقيل: وظل من يحموم أي من النار يعذبون بها، كقوله تعالى: لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل.لا بارد بل حار لأنه من دخان شفير جهنم. ولا كريم عذب، عن الضحاك. وقال سعيد بن المسيب: ولا حسن منظره، وكل ما لا خير فيه فليس بكريم[١].

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨٢.

ثانيا : التحليل المقطعي :

وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾

وَ / أَصْ / حا / بُشْ / شِ / ما / لِ / ما / أَصْ / حا / بُشْ/ شِ/مَالْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾

فِي / سَ / مُوْ /مِ+ نْ/ وَ / حَ/ مِيْمْ

ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ح ص

وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾

و / ظِلْ / لِ+ نْ / مِنْ / يَحْ / مُوْمْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾

لا / بَا / رِ / دِ + ن / وَ / لا / كَ / رِيْمْ

ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح ص

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة :

جاء في المجموعة أربعة وثلاثون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ ـ مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر إحدى عشرة مرة.

ب ـ مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر عشر مرات .

ج ـ مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر تسع مرات .

د ـ مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر أربع مرات .

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ- شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح، ثم المقطع المديد المغلق .

ب ـ ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

٢ ـ اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ ـ الآية الأولى: تحول المقطع {بَ اَلشَّ: ص ح +ص ح ص} إلى {بشِّ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل ولام التعريف. لأنها لام شمسية [سياق الاستعمال]

ب ـ الآية الثانية: تحول المقطع {مومِ: ص ح ح+ص ح} إلى {موم ن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

ج ـ الآية الثالثة: تحول المقطع {ظلَّ: ص ح ص+ ص ح} إلى {ظلل ن: ص ح ص+ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

د ـ الآية الرابعة: تحول المقطع {ردٍ: ص ح+ ص ح } إلى {ردن: ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣ ـ إغلاق وفتح بعض مقاطع المجموعة:

أ ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الأولى { ب: ص ح > بشْ: ص ح ص}.

ب ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثانية { مُ: ص ح > مُ نْ: ص ح ص }.

ج ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة { لِ: ص ح > لِ نْ: ص ح ص }.

ب ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الرابعة { دِ: ص ح > دِ نْ: ص ح ص }.

مقارنة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال:

عند مقارنة آيات أصحاب اليمين وأصحاب الشمال،فسنجد اتفاقا واختلافا بينهما. فكان الاتفاق:

١- في اللافتة التي في الآية الأولى من المجموعتين بشكل متطابق تماما.

٢- وجود آيات قصيرة بعد اللافتة في المجموعتين تشير إلى حال أصحابها.

٣- انتهت جميع فواصل آيات المجموعتين بالمقطع (ض ح ح ص).

٤- تؤدى جميع الآيات بطريقة متشابهة وسريعة نظرا لقصرها، وقلة مقاطعها، مما يلفت الانتباه للمقارنة بينهما، والمقابلة بين حياة أصحاب النعيم وأصحاب الجحيم.

٥- الاتفاق موضع النبر الأولي بفاصلتي المجموعتين بالمقطع (ص حʻح ص).

وكان الاختلاف بينهما في:

أ- الحرف الأخير عند أصحاب الجحيم الميم، وعند أصحاب النعيم الدال للتمييز بينهما.

ب- قلة عدد الآيات التي تصف حال أصحاب الجحيم بالنسبة لأصحاب النعيم.

أثر التكوين المقطعي على التركيب:

هذه المجموعة بكل آياتها تمثل جملة واحدة، في آيات متعددة بها صفات كثيرة وردت فيها، بين وصف لمكانة أصحاب الشمال، وظلهم الذي يختلف عن ظل أصحاب اليمين، فقامت كل آية باستكمال جانبا من الجملة:

١- الآية الأولى تمثل الجملة الأصلية، المبتدأ والخبر (أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال)

٢- الآية الثانية تحوي الجار والمجرور المتعلق بجملة الأصل: في سموم وحميم.

٣- الآية الثالثة معطوفة على المجرور الذي قبلها (وظل من يحموم).

٤- الآية الرابعة صفة لما في الآية التي قبلها، وهو الظل (لا بارد ولا كريم)

هذا التركيب الخاص للجملة في شكل آيات مختلفة ممتدة أنتج لنا إيقاعا واحدا متكررا في نهاية كل آية مع الفاصلة على المقطع (ص ح ح ص) نفسه. وقد أثر ذلك على البناء التركيبي للجملة في:

أ- تقديم صفة (لا بارد) على صفة (لا كريم) لتصبح كلمة كريم فاصلة الآية، فتكوّن إيقاعا متجانسا صوتيا مع الفواصل التي قبلها: (يحموم ـ حميم) فكلهم جميعا ينتهون بالمقطع (ص ح ح ص)، وبحرف الميم. وهذا التجانس بين تلك الفواصل (حميم ـ يحموم ـ كريم) يبدأ من أول الآية الثانية بكلمة سموم

ب- عطف حميم على سموم وليس العكس؛ أحدث تنوعا في الحرف الضيق: ياء ــ> ثم واو ــ> ثم ياء.

ج- يمكن اعتبار كلمة سموم تحضيرا لفاصلة الآية التي وردت فيها وهى (حميم) ثم يمتد هذا الإيقاع لنسمعه في فاصلة الآيات التالية: يحموم وكريم.

د- وجود النبر على هذا المقطع الأخير من الفاصلة.

هـ- قصر الآيات أظهر الأثر الصوتي لوجود مقطع كبير(ص ح ح ص) في

نهايتها، تحمَّل النبر الأوليِّ والتنغيم؛ فكوَّن ذلك إيقاعا متساويا منتظما بها.

موضع النبر في الآيات:

في الآية الأولى: وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾

وَ / أَصْ / حا / بُشْ / شِ / ما / لِ / ما / أَصْ / حا / بُشْ/ شِ/مَالْ

ص ح/ص ح`ص/ص ح` ح/ص ح ص/ص ح/ص ح` ح/ص ح/ص ح ح/ص ح

ص/ص ح ح/ص ح` ص/ص ح/ص ح` ح ص

نبر أولى: أصحاب: حا: ص ح`ح، الشمال: ما: ص ح`ح.الشمال: مال: ص ح`ح ص.

نبر ثانوي: أصحاب: أص: ص ح`ص، بُشِّمال: بُشْ: ص ح`ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الأولى على قوله {بُ اَلْشِّ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص+ص ح ص} إلى {ص ح ص + ص ح} بش/ ش، بسبب إسقاط همزة الوصل، ولام التعريف لأنها شمسية.

الآية الثانية: فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾

في / سَ / مُوْ /مِ+ نْ/ وَ / حَ/ مِيْمْ

ص ح` ح/ص ح/ص ح` ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح` ح ص.

نبر أولى: في: ص ح`ح، سموم: مُوْ: ص ح`ص، وحميم: ميم: ص ح`ح ص.

الآية الثالثة: وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾

و / ظِلْ / لِ+ نْ / مِنْ / يَحْ / مُوْمْ

ص ح/ص ح` ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح` ص/ص ح` ح ص.

نبر أولى: ظلِّ: ظِلْ: ص ح`ص، يحموم: موم: ص ح`ح ص.

نبر ثانوي: يحموم: يح: ص ح`ص.

في الآية الرابعة: لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾

لا / بَا / رِ / دِ + ن / وَ / لا / كَ / رِيْمْ.

ص ح ح/ص ح ح/ص ح`/ص ح ص/ص ح`/ص ح ح/ص ح/ص ح`ح ص.

نبر أولى: لا بارد: رِ: ص ح`، ولا: و: ص ح`، كريم: ريم: ص ح`ح ص.

التنغيم:

وقع التنغيم في الآيات في موضع واحد، تكرر في كل الآيات في الموضع نفسه؛ فوقع على المقطع الأخير من الفاصلة، وهو المقطع (ص ح'ح ص). فكان موضع التنغيم في الآيات كالآتي:

في الأولى: الشمال (مالْ: ص ح'ح ص) في الثانية: حميم (ميم: ص ح'ح ص). في الثالثة: يحموم(موم: ص ح'ح ص) في الرابعة: كريم (ريم: ص ح'ح ص).

هذا مع تكرار لموضع النبر الأولي في فواصل كل الآيات، مع كونه موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا.

نوع التنغيم: جاء التنغيم هابطا حيث الآيات كلها تشير إلى معنى واحد، جاء في جمل إخبارية تخبر عن حال أصحاب الشمال، وهذا الإخبار أُحيط بإيقاع واحد، تكوَّن من تنغيم واحد، ونبر واحد جاء على مقطع واحد في موضع واحد.

المجموعة الثانية عشرة

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الواقعة: ٤٥ – ٤٨.

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: إنهم كانوا قبل ذلك مترفين أي إنما استحقوا هذه العقوبة لأنهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام. والمترف: المنعم، عن ابن عباس وغيره. وقال السدي: مترفين أي مشركين كانوا يصرون على الحنث العظيم أي يقيمون على الشرك، عن الحسن والضحاك وابن زيد.وقال قتادة ومجاهد: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه. الشعبي: هو اليمين الغموس وهي من الكبائر،يقال: حنث في يمينه أي لم يبرها ورجع فيها. وكانوا يقسمون أن لا بعث، وأن الأصنام أنداد الله، فذلك حنثهم، ... وفي الخبر: كان يتحنث في حراء، أي يفعل ما يسقط عن نفسه الحنث وهو الذنب.. هذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له[1].

ثانيا: التحليل المقطعي

إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾

إِنْ / نَ / هُمْ / كا/ نُو / قَبْ / لَ / ذا / لِ / كَ / مُتْ / رَ / فِيْنْ

ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾

و / كا / نُو/ يُ / صِرْ / رو/ نَ / عَ/ لَلْ / حِنْ / ثِلْ/ عَ / ظِيْمْ

ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨٤

﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧﴾

و / كا / نُو/ يَ / قُو / لُو / نَ/ أ / إ / ذا / مِتْ / نا / و / كُنْ / نا / تُ / رَا /بَ + نْ / و / ع / ظا / مَ + نْ / أ / إن / نا / ل / مَبْ / عُو / ثُوْن .

ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ ص ح ح/ ص ح ح ص .

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨﴾

أ / وَ / آ / با / ؤ / نَلْ/ أَوْ / وَ / لُوْنْ

ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة أربعة وستون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ ـ مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر أربع وعشرين مرة.

ب ـ مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر سبع عشرة مرة .

ج ـ مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر تسع عشرة مرة .

د ـ مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر أربع مرات .

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ ـ شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المفتوح، ثم المقطع الطويل المغلق ، ثم المقطع المديد المغلق .

ب ـ ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

٢ ـ اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ. الآية الثانية: تحول المقطع { لى اَلْ(حن): ص ح ح+ ص ح ص} إلى{ لَلْ (حن): ص ح ص}بإسقاط همزة الوصل. وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال] تحول المقطع {على ال(حن): ص ح+ص ح ح+ص ح ص} إلى {علل: ص ح +

ص ح ص} بتقصير المقطع الطويل (ص ح ح) للوصل. [سياق الاستعمال]

ب ـ الآية الثالثة: تحول المقطع {لى اَلْ(عظ): ص ح ح+ ص ح ص }إلى { لَلْ (عظ): ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية.[سياق الاستعمال] تحول المقطع { راب: ص ح ح+ص ح} إلى { راب+ ن: ص ح ح+ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين . [سياق الاستعمال]

ج ـ الآية الثالثة: تحول المقطع {ظامً: ص ح ح+ ص ح} إلى {ظام+ ن: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

د ـ الآية الرابعة: تحول المقطع {نا ال: ص ح ح+ص ح ص} إلى { نَلْ: ص ح ص}بإسقاط همزة الوصل . وبقاء اللام القمرية. [سياق استعمال]
تحول المقطع {نا ال: ص ح ح+ص ح ص} إلى {نل: ص ح + ص ح ص} بتقصير المقطع الطويل (ص ح ح) للوصل. [سياق الاستعمال]

٣ ـ إغلاق بعض مقاطع المجموعة:

أ ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة { بً: ص ح > بَنْ: ص ح ص }.

ب ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة { مً: ص ح > م نْ: ص ح ص }.

٤ ـ التكوين المقطعي للفاصلة:

أ ـ جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة في التكوين المقطعي: فقد جاءوا في صورة واحدة من المقطع {ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة .

ب ـ الآية الثالثة: تتكون هذه المجموعة من أربع آيات تدور حول حوار بين أصحاب الشمال وبين الحق تبارك وتعالى عن سبب دخولهم الجحيم، جاءت آية طويلة في وسط المجموعة (الثالثة) بين آيات قصار، ولكننا نشعر معها بإيقاع متناسق كأنه عدة آيات، فقد استعاضت الآية ببدائل صوتية أخرى لتكوِّن لنفسها إيقاعا متسقا مع إيقاع المجموعة كلها، حيث اعتمدت على:

١- النبر: فتم توزيع مواضع النبر في الآية لتُحقق إيقاعا متساويا متناسقا.

٢- كثرة صوت الهمزة والنون والميم؛ مما كان له الأثر الأكبر في الإيقاع:

أ- **الهمزة:** صوت حنجري مهموس انفجاري يستدعي النطق به وقفة للهواء في الحنجرة قبل النطق به عند الوترين، ثم يحدث انفجار مع النطق به، مما يجعل تدفق الهواء يأتي في شكل سيل يتدفق مع نطق الصوت الذي قبل الهمزة، ثم يتوقف هذا السيل عن الجريان؛ استعدادا لنطق الهمزة (عملية حبس الهواء)، فيحدث ما يشبه الرجَّة قبل النطق الهمزة، ثم يليها انفجار مع نطق الهمزة، ولهذا كان للهمزة قيمة صوتية ودلالية؛ لما تحدثه من تأثير صوتي ونفسي بتلك الرجَّة التي تسبقها ، الانفجار الذي تصنعه الهمزة.

وقد تم توزيع الهمزة على مواضع مختلفة في الآية الثالثة؛ حيث جاءت في موضعين: الأول في نهاية الثلث الأول من الآية، والثاني في أول الثلث الأخير، وقد جاءت في كل موضع منهما متكررة في كلمة واحدة (أئذا: همزة الاستفهام + همزة إذا، أئنا: همزة الاستفهام + همزة إنَّ) لنشعر بتلك الرجَّة الشديدة ، ثم يليها انفجار الهمزة، ثم يتكرر هذا في كلمة واحدة، بل إننا نرى وجود الهمزة وانتشارها يمتد إلى الآية الرابعة، ولكن مع تكرار أكثر لتظهر الرجَّةُ بصورة أكبر، والانفجار بصورة أشد، فنجدها تتكرر أربع مرات في آية واحدة قصيرة. (أوآباؤنا: همزة الاستفهام+ همزتا آباء، الأولون: همزة أولون= أربع همزات)

٣. النون والميم: كلاهما صوت خيشومي يحدث في النطق به تغيير مسار الهواء من الفم إلى الأنف، فيُحْدث ما يعرف بالغُّنة، وهو صوت رقيق رخيم عذب يصاحب الهواء الخارج من الأنف، وقد تم توزيع هذين الصوتين على كل كلمات الآية تقريبا؛ فلا تكاد تخلو كلمة من أحدهما أو هما معا، مما أعطي الآية نغما موزونا موزعا متساويا على طول الآية.

ثالثا: موضع النبر الأولى والثانوي في الآيات

في الآية الأولى: إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾

إِنْ / نَ / هُمْ / كا/ نُو / قَبْ / لَ / ذا / لِ / كَ / مُتْ / رَ / فِيْنْ

ص ح‘ ص/ص ح/ص ح ص/ص ح‘ ح/ص ح ح/ص ح‘ ص/ص ح/ص ح ح/ص ح‘/ص ح/ص ح’ ص/ص ح/ص ح‘ ح ص.

نبر أولى: إنهم: إنْ: ص حٙ ح ص، كانوا: كا: ص حٙ ح، قبل: قب: ص حٙ ص، ذلك: ل: ص حٙ ، مترفين: فين: ص حٙ ح ص.

نبر ثانوي: مترفين: مت: ص حٙ ص.

الآية الثانية: وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾

و / كا / نُو / يُ / صِرْ / روْ / نَ / عَ/ لَلْ / حِنْ / ثِلْ/ عَ / ظِيْمْ

ص ح/ص حٙ ح/ص ح ح/ص ح/ص حٙ ص/ص حٙ ح/ص ح/ص حٙ/ص حٙ ص/ص حٙ ص/ص حٙ ص/ص ح/ص حٙ ح ص.

نبر أولى: كانوا: كا: ص حٙ ح، يصرون: رو: ص حٙ ح، على: ع: ص حٙ ، الحنث: حن: ص حٙ ص، العظيم: ظيم: ص حٙ ح ص.

نبر ثانوي: يصرُّون: صِرْ: ص حٙ ص، الحنث: لَلْ: ص حٙ ص العظيم: ثِلْ: ص حٙ ص

نبر السياق: وقع نبر السياق بالآية الثانية في {على الْ} فغيره لـ {ع+لل} بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ح+ص ح ص}إلى {ص ح+ ص ح ص } بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

و وقع نبر السياق بالآية الثانية في {نث الْ} فغيره لـ {ن+ ثل} بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح ص+ص ح ص} إلى {ص ح + ص ح ص } بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الثالثة: وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾

و/ كا / نُو / يَ / قُو / لُو / نَ/ أ / ئِ/ ذا / مِتْ / نا / و / كُنْ / نا / تُ / رَا / بَ + ن / و / ع / ظا / م+ن / أ / إن / نا / ل / مَبْ / عُو / ثُوْن.

ص ح/ص حٙ ح/ ص ح ح/ص ح/ ص حٙ ح/ ص حٙ ح/ ص ح/ ص حٙ/ ص ح/ ص حٙ/ ص ح/ص ح ح/ ص حٙ ص/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح/ ص حٙ ص/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح/ ص حٙ ح/ ص ح ص/ ص ح/ص ح/ ص حٙ ح/ ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص حٙ ص/ ص ح ح/ ص ح/ ص حٙ ص/ ص ح ح/ ص حٙ ح ص.

نبر أولى: كانوا: كا: ص حٙ ح، يقولون: لو: ص حٙ ح، أئذا: أ: ص حٙ ، مِتْنَا: مِتْ:

ص حʿص، وكنَّا: كُنْ: ص حʿص، ترابًا: رَا: ص حʿح، عظاما: ظَا: ص حʿح، أئنا: إِنْ: ص حʿص، لمبعوثون: ثون: ص حʿح ص.

نبر ثانوي: يقولون: قو: ص حʾح، لمبعوثون: مَبْ: ص حʾص.

نبر السياق:

١. **وقع نبر السياق في الآية الثالثة على { عظاماً } فغير فيه بأن:**

أ) حول المقطع {ظاماً: ص ح ح+ ص ح} إلى{ظا+مً ن: ص ح ح+ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { مً: ص ح ــ> مً نْ: ص ح ص }.

٢. **وقع نبر السياق في الآية الثالثة على { راباً } فغير فيه بأن:**

أ) حول المقطع {راباً: ص ح ح+ ص ح} إلى{را+بً ن: ص ح ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { بً: ص ح ــ> بً نْ: ص ح ص }.

الآية الرابعة: أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾

أ / وَ / آ / با / ؤ / نَلْ/ أَوْ / وَ / لُونْ.

ص ح/ص ح/ص ح ح/ص حʾ ح/ص حʿ/ص ح ص/ص حʾ ص/ص ح/ص حʿ ح ص.

نبرأولى: آباؤنا: ؤ: ص حʿ، الأولون: لون: ص حʿح ص.

نبر ثانوي: آباؤنا: با: ص حʾح، الأوَّلين: أَوْ: ص حʾص.

نبر السياق: وقع نبر السياق بالآية الرابعة في {نا الْ} فغيره لـ {نل} بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح ح+ص ح ص} إلى {ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية، وتقصير الحركة الطويلة على الهاء.

تعاون النبرين في إضافة بعض المعاني الجديدة:

تعاون النبران في الدلالة على المعنى الكبير الذي تشير إليه الكلمات؛ فنجد:

١. المعنى في الآية الأولى: المعنى إخبار عن حال الكافرين في الدنيا؛ كأنه سؤال

عن سبب دخولهم هذه النار، فكان الجواب: إنهم كانوا مترفين في نعم الله، فاحتاج الأمر إلى إبراز هذا السبب، وذلك بالضغط ضغطتين على الكلمة (مترفين) في أولها وآخرها (مترفين: مت / فين) كوسيلة لإظهار هذا المعنى.

٢. المعنى في الآية الثانية: ثم أضاف سببا آخر؛ وهو إصرارهم على الحنث العظيم، فجاء النبر ليؤكد هذا المعنى ويبرزه؛ وذلك بالضغط ضغطتين على الكلمات التي تحمل هذا المعنى من خلال النبرين، كما في هذه الكلمات (يصرون: صر/ رو ، على الحنث: لَلْ / حن ، الحنث العظيم: ثِلْ / ظيم)[١]

لاحظ ضرورة وجود هذين النبرين على هذه الكلمات دون غيرها؛ وذلك لإبراز معانيها الأصلية والإضافية بوسائل صوتية، حيث تحتاج كل كلمة إلى ضغطتين، فالإصرار على الفعل (الحنث: الشرك) يحتاج لإبرازه صوتيا، ثم بيان نوع المعصية يحتاج إلى لإبرازه صوتيا (الحنث)، وكذلك وصف الحدث بالعظيم؛ وقد تحقق هذا عن طريق الضغطتين (نبر ثانوي ، نبر أوليّ) معا.

٣. المعنى في الآية الثالثة: تشير الآية إلى الحوار الذي دار بينهم وبين رسلهم؛ فاحتاج الأمر إلى إبراز بعض الكلمات الجوهرية في هذا الحوار، منها: التأكيد على أن هذا القول هو قولهم هم دون غيرهم، فأكد ذلك بالضغط مرتين على الكلمة القول لإبرازها (يقولون: قو/ لو)، ثم تأكيد على جوهر الحوار؛ والكلمة الفاصلة فيه، بل هي سبب كفرهم، وهى إنكارهم لقضية البعث بعد الموت، ولهذا أبرز كلمة البعث بضغطتين عليها (لمبعوثون: مب/ ثون).

٤. المعنى في الآية الرابعة: ثم يأتي بيان سبب إنكارهم للبعث، بتقديمهم الدليلهم المادي على عدم بالبعث ؛ من خلال سؤالهم عن الآباء الأولين؛ فصور النبران معنى الاستنكار والدهشة من خلال الضغط على كلمة (أوآباؤنا) فهي تضم كلمتين: همزة الاستفهام والشيء الذي نسأل عنه، لقد كان سؤالهم: هل نحن بالفعل مبعوثون، فعبروا عن إنكارهم التام للبعث من خلال

---

(١) المقطع الأول هو النبر الثانوى والمقطع الثانى هو النبر الأولى.

كلمتين فقط جعلهم الحق في آية مستقلة لإبرازهما، وجعلهما في صيغة الاستفهامية لإظهار قمة الاستنكار لهذا القول الذي يقول به الأنبياء والرسل وهو البعث، فجاءت الآية في بناء صوتي يبرز هذا المعنى؛ وذلك من خلال النبر مرتين على الكلمتين (أوآباؤنا: با /ؤ ❖ الأولون: أو/ لون).

إلى جانب ذلك كان هناك تأكيد صوتي آخر على إنكارهم المطلق للبعث، وذلك من خلال مد الفتحة الطويلة في المقطع المفتوح بمقدار ست حركات على النبر الثانوي في تلك الكلمة التي هي جوهر الإنكار لديهم؛ وهى عودة الآباء في هذا المقطع المنبور(با: ص ح ح) الذي أفاد مع تطويل الفتحة وإشباعها معنى اليأس من عودة الآباء، نظرا فقد ضاع الأمل في عودتهم لتحلل أجسادهم، وهذا ما قال عنه ابن جني مطل الحروف[(١)]. فقد تم إشباع هذه الفتحة الطويلة لإبراز قضية اليأس التام من عودتهم. ولا نجد هذا الإشباع في الكلمة التالية لها (الأولون) فهم يستنكرون بشدة عودة الآباء أولا؛ يستوي في ذلك عودة الآباء الذين يعرفونهم والأجداد الذين لا يعرفونهم، حيث ولدوا بعد موتهم فلم يروهم.

وقد أفاد هذا المد الكبير (بمقدار ست حركات) على المقطع السابق (با) إعداد الجهاز الصوتي للنطق بالصوت الانفجاري التالي؛ وهو الهمزة وذلك بتفريغ الرئتين من مخزونهما الهوائي الذي فيهما عن طريق إشباع مد هذه الفتحة الطويلة؛ لإظهار انفجار الهمزة؛ فنجد النفس ينقطع مع الانتهاء من نطق هذا المقطع (با) ليبدأ النطق بالهمزة بمخزون جديد من الهواء، فتنطق الهمزة بقوة تبين شدة الانفجار الذي فيها.

التنغيم:

وقع التنغيم في الآيات في موضع واحد، تكرر في كل الآيات في الموضع

---

(١) يقول ابن جني: "لأنك تكون فى مدح إنسان ... فتقول: كان والله رجلا! فتزيد من قوة اللفظ ـ الله هذه الكلمة وتتمكن منه تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك" فبين أن مد اللام حمل معان إضافية للكلمة. انظر الخصائص ٢/ ٣٧٠

نفسه؛ فوقع على المقطع الأخير من الفاصلة، وهو المقطع (ص ح ‘ح ص). فكان موضع التنغيم في الآيات كالآتي:

في الأولى: مترفين (فين: ص ح ‘ح ص). في الثانية: العظيم (ظيم: ص ح ‘ح ص). في الثالثة: مبعوثون (ثون: ص ح ‘ح ص). في الرابعة: أولون (لون: ص ح ‘ح ص).

هذا مع تكرار لموضع النبر الأولي في فواصل كل الآيات، مع كونه موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا.

نوع التنغيم: جاء التنغيم هابطا حيث الآيات كلها تشير إلى معنى واحد، جاء في جمل إخبارية تخبر عن حال أصحاب الشمال، وهذا الإخبار أُحيط بإيقاع واحد، تكوَّن من تنغيم واحد، ونبر واحد جاء على مقطع واحد في موضع واحد.

المجموعة الثالثة عشرة

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾

أولا : من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "قال الله تعالى: قل لهم يا محمد إن الأولين من آبائكم والآخرين منكم لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم يريد يوم القيامة. ومعنى الكلام القسم، ودخول اللام في قوله تعالى: لمجموعون هو دليل القسم في المعنى، أي إنكم لمجموعون قسما حقا خلاف قسمكم الباطل، ثم إنكم أيها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث، ...وهو شجر كريه المنظر ، كريه الطعم ، وهي التي ذكرت في سورة " والصافات ".فمالئون منها البطون أي من الشجرة، لأن المقصود من الشجر شجرة. ويجوز أن تكون من الأولى زائدة، ويجوز أن يكون المفعول محذوفا كأنه قال: لآكلون من شجر من زقوم طعاما. وقوله: من زقوم صفة لشجر، والصفة إذا قدرت الجار زائدا نصبت على المعنى، أو جررت على اللفظ، فإن قدرت المفعول محذوفا لم تكن الصفة إلا في موضع جر. قوله تعالى: فشاربون عليه أي على الزقوم أو على الأكل أو على الشجر، لأنه يذكر ويؤنث.من الحميم وهو الماء المغلي الذي قد اشتد غليانه وهو صديد أهل النار. أي يورثهم حر ما يأكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشا فيشربون ماء يظنون أنه يزيل العطش فيجدونه حميما مغلي*. قوله تعالى: فشاربون شرب الهيم... والهيم الإبل العطاش التي لا ترى لداء يصيبها ، عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم، وقال عكرمة أيضا : هي الإبل المراض. الضحاك: الهيم الإبل يصيبها داء تعطش منه عطشا شديدا ، واحدها أهيم والأنثى هيماء. ويقال لذلك الداء الهيام، ...وقوم هيم أيضا أي عطاش، وقد هاموا هياما. ومن العرب من يقول في الإبل: هائم وهائمة والجمع هيم، ... قوله تعالى: هذا نزلهم يوم الدين أي رزقهم الذي يعد لهم، كالنزل الذي يعد للأضياف

تكرمة لهم، وفيه تهكم، كما في قوله تعالى: فبشرهم بعذاب أليم."[(١)]

ثانيا: التحليل المقطعي

قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾

قُلْ / إِنْ / نَلْ / أَوْ /وَ / لِي / نَ / وَ لْ / أَ / خِ / رِيْنْ

ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح
/ص ح/ص ح ح ص

لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

لَ/مَجْ/مُو/عُو/نَ/إِ/لَى/ مِيْ/قَا/تِ/يَو/مِ+ن/ مَعْ/لُوْمْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص
ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾

ثُمْ / مَ /إِنْ / نَ / كُمْ /أَيْ /يُ /هَضْ / ضَالْ / لُو / نَلْ / مُ / كَذْ / ذِ / بُوْنْ

ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح
ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾

لَ/أَ/ كِ / لُو/نَ/مِنْ /شَ/ جَ / رِ+ نْ / مِنْ / زَقْ / قُوْمْ

ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح
ص/ص ح ص/ص ح ح ص

﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾

فَ / مَا / لِ / ئُو / نَ / مِنْ / هَلْ / بُ / طُوْنْ

ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨٤

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ٥٤﴾
فَ / شَا / رِ / بُو / نَ / عَ / لَيْ /هِ / مِ / نَلْ / حَ / مِيْمْ
ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح
ص/ص ح/ص ح ح ص

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ٥٥﴾
فَ / شَا / رِ / بُو / نَ / شُرْ/بَلْ / هِيْمْ
ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٥٦﴾
هَا / ذا / نُ / زُ / لُ / هُمْ / يَوْ / مَدْ / دِيْنْ
ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة تسعون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ ـ مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر ست وثلاثين مرة.

ب ـ مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر ثلاثين مرات .

ج ـ مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر خمس عشرة مرات .

د ـ مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر تسع مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ ـ شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح .

ب ـ ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

٢ ـ اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ ـ الآية الأولى: تحول المقطع {نْ اَلْ: ص ح+ص ح ص} إلى {نَل: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية ، وكذا (والأخرين) [سياق الاستعمال]

ب. الآية الثانية:: تحول المقطع {يومٍ: ص ح ص+ ص ح} إلى {يوم ن: ص ح ص + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

ج. الآية الثالثة: تحول المقطع {ها ال: ص ح ح+ص ح ص} إلى {هض: ص ح +ص ح} بتقصير المقطع الطويل وحذف (ال)التعريف كاملة [سياق الاستعمال]
وكذا تحول المقطع {نْ اَلْ: ص ح+ص ح ص} إلى {نَل: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية في (الضالون المكذبون) [سياق الاستعمال]

د. الآية الرابعة: تحول المقطع {جرٍ: ص ح+ ص ح } إلى {جر+ن: ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

هـ. الآية الخامسة: تحول المقطع {ها ال: ص ح ح+ص ح ص} إلى {هَلْ: ص ح ص} بتقصير المقطع الطويل (ها)، وإسقاط همزة الوصل [سياق الاستعمال]

و. الآية السادسة: تحول المقطع {نْ اَلْ: ص ح+ص ح ص} إلى {نَل: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

ز. الآية السابعة: تحول المقطع {نْ اَلْ: ص ح+ص ح ص} إلى {نَل: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

ح. الآية الثامنة: تحول المقطع {نْ اَلْ: ص ح+ص ح ص} إلى {نَدْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وكذلك إسقاط اللام الشمسية [سياق الاستعمال]

٣. إغلاق وفتح بعض مقاطع المجموعة:

أ. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الأولى {نَ: ص ح < نلْ: ص ح ص }.
ب. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الأولى {وَ: ص ح < وَلْ: ص ح ص }.
ج. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثانية { مٍ: ص ح < مَ نْ: ص ح ص }.
د. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة{هاالض: ص ح <هض: ص ح ص}
هـ. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة { نَ: ص ح < نَلْ: ص ح ص }.
و. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الرابعة { رٍ: ص ح < رِ نْ: ص ح ص}.
ز. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الخامسة{ها: ص ح ح <هَلْ: ص ح ص}
ح. فتح مقطع مغلق: كما في الآية السادسة {مِنْ: ص ح ص< مِ: ص ح }.

ط. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية السابعة { بَ: ص ح > بَلْ: ص ح ص }.

ى. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثامنة {مَ: ص ح > مَدْ: ص ح ص }.

٤ . التكوين المقطعي للفاصلة:

انتهت هذه المجموعة بالمقطع (ص ح ح ص) وهي مستمرة في الحوار مع المشركين والسؤال عن مصيرهم وحالهم، وألوان عذابهم في جهنم، وهذه المجموعة تتميز بخصائص صوتية جعلت لها إيقاعا متميزا، فقد تميزت بـ:

١- وجود المقطع (ص ح ح ص) في نهاية كل فاصلة.

٢. مجيء المقطع (ص ح ح ص) لأول مرة في وسط الآية في: (الضالّونِ).

٣- انتهاء الفواصل بصوت:

أ- الواو والنون {مرتين}	ب- الياء والنون {مرتين}

ج- الياء والميم {مرتين}	د- الواو والميم {مرتين}

٤. تم توزيع هذه النهايات على فواصل آيات المجموعة الثمانية بشكل متساوٍ في العدد والنوع، ولكن مع اختلاف في مواضعها، فنجد أن كل حرفين وردا معا مرتين في نهاية آيتين مختلفتين من آيات المجموعة؛ فنجد أن:

أ- الياء والنون وردتا في الآيتين: ٤٩-٥٦، أي في أول المجموعة وآخرها.

ب- والياء والميم في الآيتين: ٥٤-٥٥، فكانتا متتاليتين.

ج- والواو والنون في الآيتين: ٥١-٥٣، فكانت بينهما آية.

د- والواو والميم في الآيتين: ٥٠-٥٢، فكانت بينهما آيتان.

٥. تكرار الواو والنون وكذلك الياء والنون في وسط كل آية تقريبا صنع إيقاعا متساويا متجانسا؛ انطلق من وسطها؛ فمهد لسماعه كصدى الصوت في آخرها.

ثالثا: موضع النبر في الآيات:

الآية الأولى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩﴾

قُلْ / إِنْ / نَلْ / أَوْ /وَ / لِي / نَ / وَ لْ / أَ / خِ / رِيْنْ

ص حْ ص/ص حْ ص/ص ح ص/ص حْ ص/ص ح/ص حْ ح/ص ح/ص حْ

ص/ص ح /ص ح/ص حْ ح ص .

نبر أولي: قل: ص ح ُص، إنَّ: إنْ: ص ح ُص، الأولين: لي: ص ح ُح ، الآخرين: رِيْنْ: ص ح ُح ص .

نبر ثانوي: الأولين: أو: ص ح ُص، والآخرين: وَلْ: ص ح ُص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الأولى على قوله {نَ اَلْأو } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ص+ص ح ص} إلى {نَلْأَوْ: ص ح ص + ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية.

وكذلك في الآية الأولى أيضا على قوله {وَاَلْأ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ص+ص ح} إلى {ولأَ: ص ح ص + ص ح} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية.

الآية الثانية: لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾

لَ / مَجْ /مُو /عُو /نَ /إِ /لَى /مِيْ /قَا /تِ /يَو /مِ+ن / مَعْ / لُومْ

ص ح/ص ح ُص/ص ح ح/ص ح ُ ح/ص ح/ص ح ُ/ص ح ح/ص ح ُص/ص ح ُ ح/ص ح/ص ح ُ ص/ص ح ص/ص ح ُ ص/ص ح ُ ح ص.

نبر أولي: لمجموعون: عو: ص ح ُح ، إلى: إ: ص ح ُ، ميقات: قا: ص ح ُ ح، يوم: يو: ص ح ُص، معلوم: لوم: ص ح ُح ص.

نبرثانوي: لمجموعون: مج: ص ح ُص، ميقات: مي: ص ح ُح معلوم: مع: ص ح ُص

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الثالثة على { يومٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {يومٍ: ص ح ص+ ص ح} إلى{يو+مٍ ن: ص ح ص+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { مٍ: ص ح ــ> مٍ نْ: ص ح ص }.

الآية الثالثة: ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾

ثُمْ / مَ / إِنْ / نَ /كُمْ /أَيْ /يُ /هَضْ / ضَالْ / لُو / نَلْ / مُ / كَذْ / ذِ / بُوْنْ

ص ح ُ ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ُ/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ُ/ص ح ص/ص ح ُ ح ص/ص ح ُ ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ُ ص/ص ح/ص ح ُ ح ص.

نبر أولي: ثمّ: ثمْ: ص ح ُص، إنّكم: نَ: ص ح ُ، أيها: يُ: ص ح ُ، الضالُّون: لو: ص ح ُ ح، المكذبون: بون: ص ح ُ ح ص.

نبر ثانوي: الضالون: ضال: ص حْ ح ص، المكذبون: كَذْ: ص حْ ص.
نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الثالثة على قوله {ها الض } فغيره بأن:
حول تركيبه المقطعي من {ص ح ح+ص ح ص+ص ح} إلى {هَضْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، واللام الشمسية وتقصير الحركة الطويلة.
وكذلك في الآية الثالثة على قوله {نَ الم } فغيره بأن:
حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ص+ص ح} إلى {نَلْ م: ص ح ص + ص ح} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية.

الآية الرابعة: لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾

لَ / أَ / كِ / لُو / نَ / مِنْ / شَ / جَ / رِ+ نْ / مِنْ / زَقْ / قُوْمْ

ص حْ /ص ح/ص ح/ص حْ ح/ص ح/ص ح ص/ص حْ/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص حْ ح ص.
نبر أولى: لأكلون: لو: ص حْ ح شجر: ش: ص حْ، زقّوم: قوم: ص حْ ح ص.
نبر ثانوي: لأكلون: ل: ص حْ ، زقّوم: زق: ص حْ ص.
نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الرابعة على { شجرٍ } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {جرٍ: ص ح+ ص ح} إلى{ح+رٍ ن: ص ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { رِ: ص ح –> رٍ نْ: ص ح ص }.

الآية الخامسة: ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾

فَ / مَا / لِ / ئُو / نَ / مِنْ / هَلْ / بُ / طُوْنْ

ص ح/ص حْ ح/ص ح/ص حْ ح/ص ح/ص حْ ص/ص حْ ص/ص ح/ص حْ ح ص.
نبرأولى: مالئون: ئو: ص حْص، منها: من: ص حْص، البطون: طون: ص حْح ص
نبر ثانوي: فمالئون: ما: ص حْ ح، منها البطون: هَلْ: ص حْ ص.
نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الخامسة على قوله {ها الب } فغيره بأن:
حول تركيبه المقطعي من {ص ح ح+ص ح ص+ص ح} إلى {هَلْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية وتقصير الحركة الطويلة.

الآية السادسة: فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾
فَ / شَا / رِ / بُو / نَ / عَ / لَيْ /هِ / مَ /نَلْ / حَ / مِيْمْ
ص ح/ص ح ُح/ص ح/ص ح ُ ح/ص ح/ص ح/ص ح ُ ص/ص ح/ص ح ُ
ص/ص ح/ص ح ُ ح ص.
نبرأولى: فشاربون: بو: ص ح ُح عليه: لي: ص ح ُص، الحميم: ميم: ص ح ُح ص.
نبر ثانوي: فشاربون: شا: ص ح ُح، من الحميم: نَلْ: ص ح ُص.
نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية السادسة على قوله {نَ اَلح } فغيره بأن:
حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ص+ص ح} إلى {نلْح: ص ح ص + ص ح}
بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية.

الآية السابعة: ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾
فَ / شَا / رِ / بُو / نَ / شُرْ/بَلْ / هِيْمْ
ص ح/ص ح ُح/ص ح/ص ح ُح/ص ح/ص ح ُص/ص ح ُص/ص ح ُ ح ص.
نبرأولى: فشاربون: بو: ص ح ُح شرب: شر: ص ح ُص، الهيم: هيم: ص ح ُح ص.
نبر ثانوي: فشاربون: شا: ص ح ُح ، شرب الهيم: بَلْ: ص ح ُص.
نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية السابعة على قوله {بَ اَلْه } فغيره بأن:
حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ص+ص ح } إلى {بلْه: ص ح ص + ص ح}
بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية.

الآية الثامنة: هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾
هَا / ذا / نُ / زُ / لُ / هُمْ / يَوْ / مَدْ / دِيْنْ
ص ح ُ ح/ص ح ح/ص ح ُ/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ُ ص/ص ح ُ ص/ص ح ُ
ح ص.
نبر أولى: هذا: ها: ص ح ُح ، نزلهم: نُ: ص ح ُ، يوم: يو: ص ح ُص، الدين: دين:
ص ح ُ ح ص.
النبر الثانوي: يوم الدين: مد: ص ح ُ ص.
نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية الثامنة على قوله {م الد } فغيره بأن:
حول تركيبه المقطعي من {ص ح +ص ح ص+ص ح} إلى {مدْ: ص ح ص} بسبب
إسقاط همزة الوصل، واللام الشمسية.

أثر تعاون النبرين في بناء المعنى:

أدى الإيقاع المنتظم في الآيات الناتج عن وجود النبرين إلي إبراز كثير من معانيها الكامنة فيها ؛ على النحو التالي:

١. الآية الأولى: أتي النبران الأولى والثانوي على كلمتي: (الأولين والأخرين) ليشير إلى شمول الحكم بالبعث والجمع ليوم الدين كل من الأولين والآخرين في ترتيب زمني من القديم: الأولين، وينتهي بالمستقبل: الأخرين

٢. الآية الثانية: وقع النبران فيها على كلمات محورية في الحوار: (مجموعون ـ ميقات ـ معلوم) فكانت الأولى مؤكدة للحدث؛ وهو جمعهم كلهم، وكانت الثانية موضحة لوقت الجمع وهو الميقات، وكانت الثالثة لبيان صفة هذا الميقات بأنه معلوم عند رب لعالمين وليس مجهولا.

٣. الآية الثالثة: كان النبران على كلمتي: الضالون ـ المكذبون، تأكيدا على صفات هؤلاء القوم، الضلال والكذب.

٤. الآية الرابعة: جاء النبران على كلمة (لأكلون) لتحمل معنى الآية، وتؤكد عليه؛ وهو أَكْلهم هم من الشجر، وأكده أيضا بإسناد الحدث لهم باسم الفاعل

٥. الآية الخامسة: جاء النبران على كلمتين (مالئون ـ البطون) ليؤكد على الحدث وفاعله ومفعوله بالكلمتين اللتين بينتا هذه المعاني (الحدث، فاعله، مفعوله) فما يريد الحق سبحانه بيانه هنا هو عملية الأكل، وكمية الأكل؛ لقد وصل إلى درجة الامتلاء، وكان المفعول ضروريا أيضا لبيان مكان الحدث (البطون) فأبرز ذلك كله من خلال هاتين الكلمتين بضغطتين عليهما.

٦. الآية السادسة: جاء النبران ـ كما في الآية السابقة ـ على الكلمتين (شاربون ـ الحميم) لبيان الحدث وفاعله ومفعوله؛ فأكد عليهم مع بيان نوع الطعام (الحميم) وكيفية تناوله (بالشرب) .

٧. الآية السابعة: جاء النبران على كلمتين (فشاربون ـ الهيم) لتأكيد المعنى السابق وهو أنهم هم الشاربون، و لبيان كيفية الشرب، وما يصحبها من ألم، فهو شرب الظمآن الهيمان و لكنه يشرب الحميم.

٨. الآية الثامنة: جاء النبران على كلمة (الدين) لبيان زمن الحدث، يوم القيامة.

الإيقاع والتراكيب:

تمتاز الآيات بإيقاع منتظم متساوٍ ناتج عن تساوٍ في المسافات بين مواضع النبر فيها، واتفاقها في النهاية المقطعية، لقد تحقق له هذا نتيجة الجودة العظيمة في توزيع المقطع (ص ح ح ص) في الآيات؛ الذي جاء في نهاية كل فواصل المجموعة، وتكوَّن من هذه الحروف، مع تكرارها بهذا الشكل: الياء والنون، الواو والنون، الياء والميم، الواو والميم، مع حرف ثالث قبلها، ومجيئه بالمقطع (ص ح ح ص) في وسط الآية الثالثة لأول مرة في السورة في (الضَّالُّون)، ثم تكرر بآخرها (الضالين) بهذا تكوَّن الإيقاع المتساوي الذي نلاحظه في الآيات.

والنص القرآني في سبيل تحقيق هذا الإيقاع المتساوي والنغم المتجانس ، قام بتغيير في بناء الجملة، وصنع بها أشياء نحو:

١- وزَّع معنى الجملة على أكثر من آية متساوية المقاطع مع أختها (تقريبا).

٢- أتى بكلمة في أول الآية متفقة مع آخرها في الانتهاء بصوتين متطابقين: (واو وميم أو واو نون أو ياء ونون أو ياء وميم) فغير بناء الجملة، نحو:

أ- الآية الأولى: جاء بحرفي الياء والنون في كلمتين متتاليتين: الأولين/ الآخرين.

ب- الآية الثانية: جاء بخبر (إنَّ) في أولها (لمجموعون)، وصفة الميقات في آخرها (معلوم) فكانت الكلمتان منتهيتين بالواو والنون.

ج- الآية الثالثة: جاء المنادي موصفا بصفتين (ضالون، مكذبون) منتهيتين بواو ونون.

د- الآية الرابعة: جاء الخبر (لأكلون) في أولها مرفوعا بالواو؛ ليتفق مع آخرها (زقوم) في الانتهاء بواو ونون .

هـ- الآية الخامسة: جاء اسم الفاعل (مالئون) في أولها مجموعا جمعا سالما، منتهيا بالواو والنون، ليتفق مع آخرها (البطون) في الانتهاء بواو نون .

و- الآية السادسة: جاء اسم الفاعل (شاربون) في أولها مجموعا جمعا سالما، ليتفق مع آخرها (الحميم) في الانتهاء بواو نون .

ز- انتهت المجموعة على غير المعهود وذلك بكسر العادة، فلم تأت في وسطها بكلمة منتهية بواو ونون أو ياء ونون لتتوافق مع نهايتها، لكنها حافظت على مصدر ثابت للإيقاع وهو المقطع (ص ح ح ص) كما في كل نهاية فواصل المجموعة؛ حدث هذا في الآية السابعة والثامنة، فجاءتا بـ (الهيم ـ الدين) فقط.

ومن هذا يبدو لنا أن الآية تغير في بناء الجملة، وتقسمها وتقدم وتأخر فيها، وتغير في الأسماء من المفرد إلى الجمع، وتختار من الجموع ما يحقق التجانس الصوتي فيها، فتختار جمع المذكر السالم في موضع لكي يتناسب مع النهاية المقطعية في آخر الآية، واستخدام كلمات مفردة مساوية في الوزن والتركيب المقطعي لكلمات مجموعة جمع مذكر سالم، وأفعال من الأمثلة الخمسة مرفوعة، فيكوِّن تجمعُها المتكرر مقطعا من النوع (ص ح ح ص)، كما في: الأولين، الآخرين، معلوم، الدين، مجموعون، ضالون، مكذبون، آكلون، شاربون، زقوم، مالئون، بطون، الحميم، الهيم.

كل هذه الكلمات تم توزيعها على الآيات في وسطها ونهايتها ليكوِّن لنا هذا الإيقاع المنتظم المتناسق والنغم الساحر، فسبحان مُنَزِّل هذا الكتاب العظيم.

حسن توزيع النبرين في ا لمجموعة

لو نظرنا إلي آيات المجموعة بشكل عام لوجدنا نغما خفيا يمرُّ ما بين آياتها آتٍ إليها من حسن التوزيع الرائع لمواضع النبرين (الثانوي والأوليِّ)، حيث تم توزيعهما بصورة متوازية متقابلة في كل آية؛ وذلك بالجمع بينهما في كلمتين طويلتين متقاربتين متوازيتين، الكلمة الأولى في أول الآية والكلمة الثانية في آخرها؛ علي أن تكون التي في آخرها منتهية بالمقطع (ص ح ح ص) والتي في أولها منتهية بالمقطع ذاته إذا وقفنا عليها، أمَّا إذا وصلناها فإن ذلك يقسم المقطع (ص ح ح ص) إلى مقطعين، الأول منهما (ص ح ح) وقع عليه النبر الأوليِّ، لاحظ توزيع النبرين في هذا الشكل:

١. **لآية الأولى:** الأولين والأخرين

أَوْ /وَ / لِي / نَ وَ لْ / أَ / خِ / رِيْنْ

ص ح’ص/ص ح/**ص ح‘ح**/ص ح❖[1] **ص ح’ص**/ص ح /ص ح/**ص ح‘ح ص**.

---

(١) كتبتُ المقطع المنبور بخط غليظ لأميِّزه عن المقطع غير المنبور، ووضعت العلامة(❖) للفصل بين مقاطع الكلمتين.

٢. **الآية الثانية:** لمجموعون معلوم

لَ/مَجْ /مُو /عُو /نَ مَعْ / لُوْمْ

ص ح/ص ح ْص/ص ح ح/ص ح ْح/ص ح❖ ص ح ْص/ص ح ْ ح ص

٣. **الآية الثالثة:** ها الضالون المكذبون

هَضْ / ضَالْ / لُو / نَلْ مُ / كَذْ / ذِ / بُوْنْ

ص ح ص/**ص ح ْح ص/ص ح ْح**/ص ح ص❖ ص ح/**ص ح ْص**/ص ح/**ص ح ْ ح ص.**

٤. **الآية الرابعة:** لأكلون زقُّوم

لَ / أَ / كِ / لُو / نَ زَقْ / قُوْمْ

ص ح ْ/ص ح/ص ح/**ص ح ْ ح**/ص ح❖ **ص ح ْ ص/ص ح ْ ح ص.**

٥. **الآية الخامسة:** فمالئون البطون

فَ / مَا / لِ / ئُو / نَ هَلْ / بُ / طُوْنْ

ص ح/**ص ح ْح**/ص ح/**ص ح ْح**/ص ح ❖ **ص ح ْص**/ص ح/**ص ح ْح ص.**

٦. **الآية السادسة:** فشاربون الحميم

فَ / شَا / رِ / بُو / نَ نَلْ / حَ / مِيْمْ

ص ح/ص ح ْح/ص ح/ص ح ْ ح/ص ح❖ ص ح ْ ص/ص ح/ص ح ْ ح ص.

٧. **الآية السابعة:** فشاربون الهيم

فَ / شَا / رِ / بُو / نَ بَلْ / هِيْمْ

ص ح/**ص ح ْح**/ص ح/**ص ح ْح**/ص ح❖ **ص ح ْص/ص ح ْ ح ص.**

٨. **الآية الثامنة:** نزلهم الدين

هَا / ذا /نُ / زُ / لُ / هُمْ مَدْ / دِيْنْ

ص ح ْح/ص ح ح/ص ح ْ/ص ح/ص ح/ص ح ص❖ص ح ْص/ص ح ْح ص

ملاحظات عامة على التقسيم:

أ - كل آية تحوي كلمتين طويلتين وقع على كل منهما نبران؛ ثانوي يليه أوليّ.

ب - قد يشترك في بناء الكلمة الأولى جزء من كلمة قبلها؛ فيقع عليهما الثانوي.

ج - قد يشترك في بناء الكلمة الأخيرة جزء من كلمة قبلها؛ فيقع عليهما الثانويّ.

د - انتظام توالي النبرين بكل كلمتين طويلتين بكل آية صنع إيقاعا منتظما.

هـ - يظهر حسن التوزيع للنبرين وأثره الصوتي بكل كلمتين من كل آية لو حاولنا تكرار هذه الكلمات مستقلة عن آياتها لعدة مرات متتالية كما سبق.

التنغيم:

وقع التنغيم في الآيات في موضع واحد، تكرر في كل الآيات في الموضع نفسه؛ فوقع على المقطع الأخير من الفاصلة، وهو المقطع (ص حʻح ص). فكان موضع التنغيم في الآيات كالآتي:

في الأولى: الأخرين (رين: ص حʻح ص). في الثانية: معلوم (لوم: ص حʻح ص) في الثالثة: المكذبون (بون: ص حʻح ص). في الرابعة: زقوم (قوم: ص حʻح ص). في الخامسة: بطون (طون: ص حʻح ص). في السادسة: حميم (ميم: ص حʻح ص) في السابعة: الهيم (هيم: ص حʻح ص). في الثامنة: الدين (دين: ص حʻح ص).

هذا مع تكرار لموضع النبر الأولي في فواصل كل الآيات، مع كونه موضع التنغيم فيها أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا.

نوع التنغيم: جاء التنغيم مريبطا بالحوار؛ فاستقلت كل آية بتنغيمها الخاص:

١. الآية الأولي: جاء تنغيمها مستويا لأن المعنى فيها لم يكتمل فهى مبتدأ فقط.
٢. الآية الثانية: جاء تنغيمها هابطا، فالآية خبر للمبتدأ الذي في الآية السابقة.
٣. الآية الثالثة: جاء تنغيمها مستويا لأن المعنى فيها لم يكتمل فهى اسم لإنَّ.
٤. الآية الرابعة: جاء تنغيمها هابطا، فالآية خبر لاسم إن الذي في الآية السابقة.
٥. التنغيم في الآية الخامسة حتى الثامنة هابط: لأنها إخبار عن حالهم في جهنم.

اللوحة الرابعة (أصحاب الشمال)

هذه اللوحة تشمل آيات المجموعات من الحادية عشرة حتى الرابعة عشرة، من الآية (٤١) إلى الآية (٥٦) تتحدث عن أصحاب الشمال وما أصابهم من عذاب، وتتناول هذه الآيات أصحاب الشمال في صورة كاملة الجوانب.

تبدأ الآية الأولى بعرض اسم أصحاب هذه اللوحة في شكل لافتة كبيرة كُتِب عليها هؤلاء **"أصحاب الشمال"**، ثم يَكْتملُ العنوان بسؤال كبير أيضا: وما أصحاب الشمال؟ مما يدفع السامع إلى متابعة الجواب، فكانت العبارة منتهية بالمقطع (ص ح ح ص) كما في اللوحة كلها، مع تفردها دون فواصل اللوحة بالانتهاء بصوت اللام والفتحة الطويلة بدلا من النون والميم، اللذين يعمان المجموعة كلها؛ فيبدو صوت اللام المسبوق بالفتحة الطويلة بارزا ظاهرا فيها.

ثم جاءت مجموعة من الآيات المتتالية قصيرة توضح مكانتهم في الآخرة، تماثل آيات أصحاب اليمين في الشكل والإيقاع والنغم وتخالفها في المعنى والمضمون، ولكن في إيقاع سريع (في سموم وحميم ❖ وظل من يحموم ❖ لا بارد ولا كريم) وكأنها طلقات نارية سريعة، صدرت في شكل أحكام مغلظة على هؤلاء القوم من الحكيم العليم سبحانه وتعالى.

استخدام صوت الميم بكثرة في نهاية الكلمات التي تصف أصحاب الشمال، في مقابل النون وكأنها مستعارة له من الجحيم مثل (سموم وحميم ويحموم وزقوم والحميم الهيم)

ثم تأتي اللوحة بجانب آخر من الصورة؛ وهو بيان أسباب دخولهم النار (حيثيات الحكم) بكلمة كانت إشارة إلى أفعالهم السابقة وتكرارها، في مجموعة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص) أيضا، ولكن في صورة حوارية.

ولهذا كانت الآيات أطول لما تستلزمه الطبيعة الحوارية للآيات، فاستعاض عن ذلك القصر بوسائل تكوِّن إيقاعا في داخل الآية، منها توزيع مواضع النبر في أماكن كثيرة من الآية وبصورة متساوية، واستخدام صوت الهمزة بكثرة وكذلك النون والميم وتوزيعهم في الآية.

ثم يأتي رد الحق عليهم من حيث انتهوا، فقد انتهى حديثهم بالسؤال عن بعث الأولين والأخرين، فكان رده سبحانه هنا جوابا عن سؤالهم عنهم، لكن بالكلمات نفسها لتحقق الانسجام الصوتي الذي نشعر به فيهما؛ فقد أشارتا إلى جمع الحق سبحانه السابقين واللاحقين للحساب، وحققتا الإيقاع السابق بتكرارهما في الآية الجديدة، فهما - كما ترى - تنتهيان بالياء والنون وبالمقطع (ص ح ح ص)، وقد فصل بين أجزاء الجملة (بين اسم إن وخبرها) ليحقق هذا الإيقاع فجاءت الجملة المنسوخة في آيتين: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ﴾.

ثم يوضح الحق تبارك وتعالى أنواع العذاب الواقع عليهم من خلال المأكل والمشرب، فاختار كلمات تعبر عن هذا المعنى، وتحقق الانسجام الصوتي المطلوب لتتوافق مع الإيقاع العام، ذلك بكلمات تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص) (الضالون - المكذبون - لآكلون - زقوم - مالئون - البطون - شاربون - الحميم - الهيم - الدين) وكلها كلمات تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص) وبحروف: الميم، أو النون.

المجموعة الرابعة عشرة

قال تعالى ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ الواقعة: ٥٧-٧٤

هذه الآيات تمثل لوحة متكاملة تناولت جوانب كثيرة من نعم الله على عباده، لهذا أرى أن نقسمها إلى أقسام حسب كل نعمة من النعم؛ فهناك نعمة الخلق ونعمة الزرع ونعمة الماء ونعمة إيقاد النار من الشجر الأخضر، ونتناول كل نعمة على حده.

١. القسم الأول: نعمة الخلق

تتحدث هذه الآيات حول موضوع واحد وهو نعمة خلق الله للبشر، يُعرض الموضوع في صورة حوار هو رد من الحق تبارك وتعالى على إدعاء هؤلاء القوم بعدم البعث، وكان رده سبحانه: إذا لم يكن هناك بعث فكيف كان الخلق؟!

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ أي فهلا تصدقون بالبعث؟ لأن الإعادة كالابتداء.وقيل: المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون أن هذا طعامكم إن لم تؤمنوا؟ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَيْ مَا تَصُبُّونَهُ مِنْ الْمَنِيّ فِي أَرْحَام النِّسَاء. أأنتم تخلقونه أي تصورون منه الإنسان أم نحن الخالقون المقدرون المصورون وهذا احتجاج عليهم وبيان للآية الأولى، أي: إذا أقررتم بأنا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا بالبعث.قوله تعالى: نحن قدرنا بينكم الموت احتجاج أيضا، أي الذي يقدر على الإماتة يقدر

على الخلق، وإذا قدر على الخلق قدر على البعث... قال الضحاك: أي سوينا بين أهل السماء وأهل الأرض. وقيل: قضينا. وقيل: كتبنا، والمعنى متقارب، فلا أحد يبقى غيره عز وجل.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: إن أردنا أن نبدل أمثالكم لم يسبقنا أحد، أي: لم يغلبنا. بمسبوقين معناه بمغلوبين. وقال الطبري: المعنى نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم، وما نحن بمسبوقين في آجالكم، أي: لا يتقدم متأخر، ولا يتأخر متقدم. وننشئكم في ما لا تعلمون من الصور والهيئات. قال الحسن: أي: نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بأقوام قبلكم. وقيل: المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، فيجمل المؤمن ببياض وجهه، ويقبح الكافر بسواد وجهه. سعيد بن جبير: قوله تعالى: فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف، وبرهوت واد في اليمن. وقال مجاهد: فيما لا تعلمون في أي خلق شئنا. وقيل: المعنى ننشئكم في عالم لا تعلمون، وفي مكان لا تعلمون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: إذ خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئا، عن مجاهد وغيره. قتادة والضحاك: يعني خلق آدم عليه السلام.فلولا تذكرون أي: فهلا تذكرون. وفي الخبر: عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار [١].

ثانيا: التحليل المقطعي

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

نَحْ/ نُ /خَ /لَقْ /نا /كُمْ /فَ /لَوْ /لا /تُ /صَدْ /دِ /قُوْنْ

ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨٦-٦٣٨٧

أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾

أَ / فَ / رَ / أَيْ / تُمْ / ما / تُمْ / نُوْنْ

ص ح /ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ح /ص ح ص /ص ح ح ص

ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾

أَ /أَنْ /تُمْ /تَخْ /لُ /قُو/ نَ/ ـهُ/أَمْ/ نَحْ/نُلْ /خَا /لِ / قُوْنْ

ص ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ص /ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح/ ص ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ح /ص ح /ص ح ح ص

نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾

نَحْ /نُ /قَدْ /دَرْ/نا /بَيْ / نَ /كُ/ مُلْ / مَوْ/ تَ/ وَ/ما /نَحْ /نُ/ بِ/ مَسْ / بُو / قِيْنْ

ص ح ص /ص ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح/ ص ح ص /ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح ح /ص ح ص/ ص ح ح / ص ح ح ص

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾

عَ /لَى /أَنْ /نُ /بَدْ /دِ / لَ/أَمْ / ثا/ لَ/كُمْ /وَ/نُنْ /شِ/ئَ /كُمْ /فِي/ما /لا/ تَعْ/لَ/مُوْنْ

ص ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح ح /ص ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح ح / ص ح ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ح ص

وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

وَ/ لَ/ قَدْ /عَ / لِمْ / تُ/مُنْ/نَشْ/ أَ/ ـةَ لْ /أُو / لَى /فَـ/ لَوْ/ لا /تَـ/ ذَكْ /كَـ /رُوْنْ

ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح /ص ح ص /ص ح ح /ص ح ح /ص ح /ص ح ص /ص ح ح /ص ح /ص ح ص /ص ح /ص ح ح ص

أهم الخصائص المقطعية لهذا القسم:

١. شيوع بعض المقاطع في القسم:

جاء في هذا القسم خمسة وتسعون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر سبع وثلاثين مرة.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر ست وثلاثين مرة .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر ست عشرة مرة .

د - مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر ست مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ - شيوع المقطع القصير المفتوح ، يليه المقطع الطويل المغلق ، ثم المقطع الطويل المفتوح، والمقطع المديد المغلق .

ب - ولا نجد بالقسم المقطع الزائد في الطول.

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ - الآية الرابعة: تحول المقطع {كُمْ اَلْ: ص ح ص + ص ح ص } إلى {كُ مُلْ: ص ح+ص ح ص}بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية [سياق الاستعمال]

ب - الآية السادسة: تحول المقطع { ثُمْ ال ن: ص ح ص+ص ح ص+ص ح } إلى {ثُ مِنْ: ص ح+ص ح ص} بإسقاط أل التعريف كلها . [سياق الاستعمال]

ج - الآية السادسة: تحول المقطع {ة ال: ص ح+ ص ح ص}إلى {ـة ل: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل ، وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

٣ - التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة في تكوينها المقطعي؛ فكانت في صورة واحدة وهى الانتهاء بالمقطع {ص ح ح ص} وبحرفي الواو والنون، عدا فاصلة واحدة انتهت بالياء والنون، لكسر الرتابة والتكرار؛ مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة.

ثالثا: مواضع النبرين في الآيات:

الآية الأولى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾

نَحْ / نُ / خَ / لَقْ / نا / كُمْ / فَ / لَوْ / لا / تُ / صَدْ / دِ / قُونْ

ص ح ͑ص/ص ح/ص ح/ص ح ͑ص/ص ح ͑ح/ص ح ص/ص ح ͑ص/ص ح ͑ص/ص ح ͑ح/ص ح ص/ص ح ͑ص/ ص ح ح/ص ح/ص ح ͑ص/ص ح/ص ح ͑ح ص.

نبر أولى: نحن: نح: ص ح ͑ص، خلقناكم: نا: ص ح ͑ح فلولا: لو: ص ح ͑ص، تصدقون: قون: ص ح ͑ح ص.

نبرثانوي: خلقناكم: لق: ص ح ͑ص، فلولا: ف: ص ح ͑، تصدقون: صد: ص ح ͑ص

الآية الثانية: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾

أَ / فَ / رَ / أَيْ / تُمْ / ما / تُمْ / نُونْ

ص ح ͑/ص ح/ص ح/ص ح ͑ص/ص ح ص/ص ح ͑ح/ص ح ͑ ص/ص ح ͑ح ص.

نبر أولى: أفرأيتم: أي: ص ح ͑ص، ما: ما: ص ح ͑ح ، تمنون: نون: ص ح ͑ح ص.

نبر ثانوي: أفرأيتم: أ: ص ح ͑، تمنون: تم: ص ح ͑ ص.

الآية الثالثة: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٥٩﴾

أَ/أَنْ/تُمْ/تَخْ/لُ/قُو/نَ/هُ/أَمْ/نَحْ/نَلْ/خَا/ لِ / قُونْ

ص ح ͑/ص ح ͑ص/ص ح ص/ص ح ͑ص/ص ح/ص ح ͑ح/ص ح/ ص ح/ص ح ͑ص/ص ح ͑ ص/ص ح ص/ص ح ͑ ح/ص ح/ص ح ͑ ح ص.

نبر أولى: أأنتم: أنْ: ص ح ͑ ص، تخلقونه: قو: ص ح ͑ ح، أم: أم: ص ح ͑ ص، نحن: نح: ص ح ͑ ص ، الخالقون: قون: ص ح ͑ ح ص.

ثانوي: أأنتم: أ: ص ح ͑، تخلقونه: تخ: ص ح ͑ ص، خالقون: خا: ص ح ͑ ح.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {مُ اَلْ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص} إلى {مُلْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الرابعة: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾
نَحْ /نُ /قَدْ /دَرْ/نا /بَيْ / نَ /كُ/ مُلْ / مَوْ/ تَ/ وَ/ما /نَحْ /نُ/ بِـ/ مَسْ / بُو / قِيْنْ
ص ح` ص/ص ح/ص ح` ص/ص ح` ص/ص ح ح/ص ح`ص/ص ح/ص ح/ ص ح ص/ص ح`ص/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح` ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ ص ح` ح / ص ح` ح ص
نبر أولى: نحن: نح: ص ح`ص، قدَّرنا: در: ص ح`ص، بينكم: بى: ص ح` ص، الموت: مو: ص ح`ص، نحن: نح: ص ح` ص، بمسبوقين: قين: ص ح`ح ص.
نبر ثانوي: قدرنا: قدْ: ص ح` ص، بمسبوقين: بُو: ص ح` ص.
نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {مُ اَلْ} فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ص ح ص} إلى { مُل: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الخامسة: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١﴾
عَ/لَى /أَنْ /نُ /بَدْ /دِ / لَ/أَمْ / ثا/ لَ/كُمْ /وَ/نُنْ /شِ/ئَ /كُمْ /فِي/ما /لا/ تَعْ/لَ/مُوْنْ
ص ح`/ص ح ح/ص ح`ص/ص ح/ص ح` ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح` ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح`/ص ح/ص ح ص/ص ح`ح / ص ح` ح/ص ح` ح/ص ح ص/ص ح/ص ح` ح ص.
نبر أولى: على: ع: ص ح`، أنْ: ص ح`ص، نُبدِّل: بد: ص ح`ص، أمثالكم: ثا: ص ح`ح ، ننشئكم: ش: ص ح`، في: ص ح` ح، ما: ص ح`ح ، لا: ص ح` ح ، تعلمون: مون: ص ح` ح ص.
ثانوي: أمثالكم: أم: ص ح`ص، ننشئكم: نن: ص ح`ص، تعلمون: تع: ص ح`ص

الآية السادسة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾
وَ/ لَ/ قَدْ /عَ / لِمْ / تُ/مُنْ/نَشْ/ أَ/ ـةَ لْ /أُو / لَى /فَ/ لَوْ/ لا /تَ/ ذَكْ /كَ /رُوْنْ

ص حْ /ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ْص/ص ح/ص ح ْص/ص ح ْص/ص ح/ص
ح ْ ص/ص حْ ح/ص ح ح/ص ح ْ/ص ح ْص/ص ح ح/ص ح/ص ح ْ ص/ص
ح/ص حْ ح ص

نبر أولي: ولقد: و: ص حْ ، علمتم: لم: ص ح ْص، النَّشأة: نش: ص حْ ص، الأولى: أو: ص ح ْح ، فلولا: لو: ص ح ْص، تذكرون: رون: ص ح ْح ص.

نبر ثانوي: تم النشأة: مَنْ: ص ح ْص،أة الأولى: ةَ لْ: ص ح ْ ص، فلولا: ف: ص ح ْ ، تذكرون: ذَكْ: ص ح ْص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية السادسة على قوله {م النّ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح +ص ح ص+ص ح}إلى {مُنْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، واللام الشمسية

وقع نبر السياق آخر في الآية على قوله {ةَ اَلْ } فغيره بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص} إلى { ةَ لْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

رابعا : أثر البناء المقطعي وتوزيع النبر وبعض الأصوات على المعنى :

تكوَّن الإيقاع الخاص بهذه المجموعة نتيجة للتقسيم المقطعي، ووجود النبر بأنواعه على مقاطع معينة فيها ؛ مما أثر على تكوين المعنى الذي عبرت عنه الآيات؛ فقد أتت الآيات في صورة حوار بين الحق تبارك وتعالى والكافرين، فاستعانت اللغة بوسائلها الصوتية المختلفة لبيان نعم الله على عباده كما سنبين:

الآية الأولى: جاء النبر في هذه الآية في مواضع أبرزت معانيها الكامنة، أهمها أن الله تبارك وتعالى هو الخالق وحده، ولكن الذين كفروا يجحدون، فجاء النبر:

١. النبر أول كلمة (نحن: نح) فأبرز عظمة الله وقدرته على "الخلق والبعث".
٢. النبر بنبرين على حدث الخلق (خلقناكم: لَقْ /نا) أظهرا جلال الحدث.
٣. النبران على كلمة (فلولا: ف /لو) وأبرزا معنى الرجاء والتمني لو صدقوه.
٤. النبران على كلمة (تصدقون: صد/قون) أكَّدا على المعنى السابق وهو التمنيِّ.

الآية الثانية:

جاء السؤال عن بداية البشرية، مع عناصر صوتية أظهرت معان إضافية فيه:

أ- جاء في جملة قصيرة ليلفت انتباه السامع له، بكلمات قليلة سريعة تطرق الأذن.

ب- كرر صوت الهمزة مرتين في أول الآية رغم قصرها، ليهتز السامع مع رجَّة التي تسبق الهمزة الانفجارية، فيعطي الإحساس بأهمية السؤال، فهذا هو السبب في استخدام الفعل (رأيتم) مكان شاهدتم وتكراراه في كل أسئلة الآيات التالية، وقد أشار ابن جني إلى تأثير صوت الهمزة على المعنى بقوله: "من ذلك قول الله سبحانه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم ٨٣]، أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك) [(١)]

ج- توزيع النبرين: تم توزيع النبرين على مواضع ليظهرا معان إضافية فيها، فكان النبر الثانوي على المقطع الأول من كلمة أفرأيتم، ليعطى الإحساس بالقوة للسؤال بالنبر على همزة الاستفهام، فيبرز ما في السؤال من طبيعة الخطاب المباشر الذي يوجه الاتهام لهم، وكان النبر الأوليِّ على المقطع قبل الأخير(أي) لإثارة الانتباه برجة جديدة وانفجار جديد في كلمة واحدة، ليؤكد على رؤيتهم العينية للمني، فكان النبران في مقطعين بهما صوتي الهمزة بينهما مقطع ثالث.

وكان النبران في "تمنون" على المقطعين (تم/ نون) وبذلك تكون كلمة تمنون مكونة من مقطعين متتاليين منبورين، يُنطقان بصورة متتالية بما يعني تكرار ضغطتين متتاليتين في كلمة واحدة؛ الثانية أشد من الأولي؛ مما يعطي الكلمة قوة وشدة عند نطقها، مما يؤدي إلى ظهور معان إضافية فيها، حيث النبر الذي على المقطع الأخير منها(نُوْنْ) أكد لنا نسبة هذا الحدث لهم وصدوره منهم (تمنون

---

(١) الخصائص لابن جني ج٢ ١٤٦

أنتم) وكذلك النبر على المقطع (تُمْ) الذي يحوى تاء المضارعة، التي أشارت إلى استمرارية حدوث خروج المنى منهم قبل وبعد هذا القول.

الآية الثالثة:

سؤال تقريري لا يحتاج لجواب، فهو معرف سلفا، فقد جاء السؤال ليقرر حقيقة يعلمها الجميع أنهم لا يخلقون بل الله خالق كل شيء، ثم يضيف: إذا كانت بداية الإنسان الحالي لا تخلقونها على الرغم من أنكم ترونها، فما بالكم بالإنسان الأول كيف كان خلقه الأول ووجوده على الأرض؟! فعبرت الآية عن هذا المعنى بعناصر صوتية نذكر منها:

١. تكرار الهمزة ثلاث مرات؛ مع حسن توزيعها: فجاءت في أول الآية مرتين متتاليتين ومرة في وسطها، فأعطى شعورا بأهمية السؤال مع الرجَّة والانفجار.

٢. توالي الهمزة في (أأنتم) أعطى شق السؤال الأول معنى النفى والاستنكار أن ينسب إليهم ذلك الفعل إلى جانب المعنى الأساسي له وهو الاستفهام.

٣. استخدام كلمة تخلق مرتين في الآية منتهية بقاف وواو ونون في الحالتين في وسط الآية وآخرها، كون إيقاعا متساويا منتظما متكررا لتكرار كلمة (تخلقون، خالقون) بجذر واحد (خلق) + نهاية واحدة (ق+ و+ن) فنسمعها في وسط الآية فعلا، ثم نسمعها في آخرها اسم فاعل، فأظهر التكرار أن قضية عجزهم في أن يخلقوا؛ فكانت الكلمة الثانية مؤكدة لمعنى الأولى، وكصدى الصوت لها.

٤. توزيع النبرين: كان النبران على كلمات تحتاج إلى إبرازها، وهي: (أأنتم: أ/ أَنْ) الأوليِّ والثانوي؛ للتأكيد على توجيه الخطاب إليهم هم، و(تخلقونه: تخ/ قو) لإبراز الحدث الذي يسأل عنه هذا السؤال؛ فهو محور القضية، وهو: هل ينسب الخلق الأول لهم هم، أم إلى الله؟ ولذا جاء النبران على (خالقون) لتوضح نسبة الفعل إلى صاحبه سبحانه، في صيغة الجمع (الخالقون) تعظيما وإجلالا لله سبحانه، فكان النبران على المقطعين (خا/ قون) وجاء في صيغة الجمع أيضا ليتوافق مع نهايات الفواصل في المجموعة بالمقطع (قون: ص ح ص).

الآية الرابعة:

تكررت كلمة نحن في الآية مرتين في أول الآية ووسطها، وكان النبر على المقطع الأول (نَحْ: ص ح ص) في المرتين؛ صنع ذلك توازيا في الإيقاع بالضغط على المقطع الأول من الكلمة الأولى في الآية؛ ثم الضغط علي الكلمة نفسها مرة أخرى وفى المقطع نفسه عند تكرارها في وسط الآية، وقد تكررت هذه الكلمة (نحن) أربع مرات في آيات هذه المجموعة؛ لإظهار عظمة الصانع والخالق سبحانه الكبير المتكبر.

توزيع النبرين: اجتمع النبران في كلمتين في الآية تحملان معنى الآية للتأكيد على هذا المعنى وهما: (قَدَّرنا: ق / در) فجاء النبران متتاليين للتأكيد على نسبة الحدث للّه، وبيان قوة هذا الحدث؛ وهو قدرة اللّه على الموت والحياة وحده، وكذا النبران في (مسبوقين: مَسْ/ قين) لبيان نسبة السبق للّه سبحانه.

الآية الخامسة:

ارتبطت هذه الآية بالآية التي قبلها نحويا، فكان نصفها الأول متعلقا بالآية السابقة كمعمول لها، وكان نصفها الثاني معطوفا عليه، مما جعلها مرتبطة فكريا بما قبلها، مما جعل التنغيم فيها مستويا؛ لأن المعنى لم ينته معها، بل هو ممتد من الآية السابقة إلى الحالية، لوجود معنى للجملة يمتد عبر الآيتين.

توزيع النبرين: اجتمع النبران (الأولى والثانوي) في ثلاث كلمات من الآية، فكان النبر الثانوي في موضع واحد من تلك الكلمات؛ وهو المقطع الأول منها، مما أعطى لتلك الكلمات قوة بالضغط على مقطعها الأول، وكان النبر الأوليِّ على المقطع التالي لمقطع النبر الثانوي في الكلمتين الأولي والثانية منهم للتأكيد على ذلك المعنى بتوالي نبرين في كلمة واحدة، فأعطاهما قوة، ووجه الخطاب إليهم في شدة بالضمير(كم)، والكلمتان هما: أمثالكم (أَمْ/ثا) ونُنْشئكم (نُنْ/شِ)، وجاء النبر الأوليِّ في الكلمة الثالثة (تعلمون) على مقطعها الأخير فهو فاصلة الآية على المقطع (ص ح ح ص) ليتوافق صوتيا مع فواصل المجموعة كلها.

كما أن وجود المقطع (ص ح ص) في نهاية كلمتي: أمثالكم ونُنشئكم وهو

المقطع (كم) أفاد معنى التهديد كما قال الطاهر بن عاشور (ويجوز أن يفيد معنى التهديد بالاستئصال، أي لو شئنا استأصلناكم لما أعجزتمونا فيكون إدماجا للتهديد في أثناء الاستدلال) (١)

الآية السادسة:

كان هدف الآيات بيان فضل الله على خلقه بأن خلقهم وأثبت لهم ذلك، ولكن في صورة آيات تتلي، لهذا جاءت الجملة في الآيات ممتدة؛ حاملة هذا المعنى مع محافظتها على إيقاع متناسق متساو ناتج عن تساوٍ في المقاطع وانتظام مواضع النبرين فيها، فالتزمت الآيات بفواصل منتهية بالمقطع (ص ح ح ص)، وهو موضع النبر الأولى في الفاصلة، وهي في سبيل المحافظة على هذا الالتزام قسمت الجملة على آيتين، كما في قوله (وما نحن بمسبوقين❖ على أن نبدل أمثالكم)، وإلى جانب هذا فقد تحتوي الآية الواحدة على عدة جمل نحو: (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون).

توزيع النبرين: تنتهي آيات المجموعة بآية هي عتاب من الله لهم قائلة: لقد علمتم كيف كانت النشأة الأولى ومن صانعها (سبحانه) فلماذا لا تتذَّكرون ذلك؟ قالها لهم متمنيا أن يُعْمِلُوا عقولهم؛ بتذكر النشأة الأولى والربط بينها وبين البعث، فإن كنتم قد تأكد لكم أنني منشئ النشأة الأولى، فأنا وحدي القادر على البعث مرة أخرى. فجاء النبران على كلمات هي محور الحجاج في هذه الآية، حيث جاء على كلمة: (النشأة: اَنْ / نَشْ) فهي أصل قضية البعث؛ فأكَّد عليها بضغطتين، ثم كلمة: (الأولى: ءَ لْ/ أُوْ) للتأكيد على أنها البداية؛ فهى النشأة التي بدأ الله بها الخلق جميعا، ثم كلمة التمني: (فلولا: ف/ لَوْ) لتوضح أن الأمل فيهم أن يتذَّكروا تلك النشأة، وهيهات هيهات أن يفعلوا، ثم الكلمة الأخيرة من الآية: (تذَّكرون: ذَكْ/ رُون) وهى موضع الأمل والرجاء، فكان لزاما أن يكون عليها ضغطتان (نبر أولى وثانوي).

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور المجاد الحادي عشر ج ١١ ص ٣١٧

٢. القسم الثاني: نعمة الزرع

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: أفرأيتم ما تحرثون هذه حجة أخرى، أي: أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر، أنتم تنبتونه وتحصلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب أم نحن نفعل ذلك؟ وإنما منكم البذر وشق الأرض، فإذا أقررتم بأن إخراج السنبل من الحب ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟! وأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى، لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم... قال الماوردي: وتتضمن هذه الآية أمرين، أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. الثاني: البرهان الموجب للاعتبار، لأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره، وانتقاله إلى استواء حاله من العفن والتتريب حتى صار زرعا أخضر، ثم جعله قويا مشتدا أضعاف ما كان عليه، فهو بإعادة من أمات أخف عليه وأقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة. ثم قال: لو نشاء لجعلناه حطاما أي: متكسرا، يعني الزرع. والحطام: الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء، فنبه بذلك أيضا على أمرين؛ أحدهما: ما أولاهم به من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاما ليشكروه. الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع حطاما إذا شاء وكذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا.فظلتم تفكهون أي: تعجبون بذهابها وتندمون مما حل بكم؛ قاله الحسن وقتادة وغيرهما. وفي الصحاح: وتفكه أي: تعجب، ويقال: تندم، قال الله تعالى: فظلتم تفكهون أي: تندمون. وتفكهت بالشيء تمتعت به. وقال يمان: تندمون على نفقاتكم، دليله: فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وقال عكرمة: تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم...إنا لمغرمون...يقال: أغرم فلان بفلانة، أي: أولع بها، ومنه الغرام وهو الشر اللازم. وقال مجاهد أيضا: لملقون شرا. وقال مقاتل بن حيان: مهلكون. النحاس: إنا لمغرمون مأخوذ من الغرام وهو الهلاك، ...الضحاك وابن كيسان: هو من الغرم،

والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض، أي: غرمنا الحب الذي بذرناه. وقال مرة الهمداني: محاسبون." بل نحن محرومون" أي: حرمنا ما طلبنا من الريع. والمحروم الممنوع من الرزق. والمحروم ضد المرزوق وهو المحارف في قول قتادة. وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأرض الأنصار فقال: ما يمنعكم من الحرث قالوا: الجدوبة، فقال: لا تفعلوا فإن الله تعالى يقول: أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء، وإن شئت زرعت بالريح وإن شئت زرعت بالبذر ثم تلا: أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (١)

ثانيا: التحليل المقطعي:

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾

أَ /فَ / رَ/ أَيْ / تُمْ / ما/ تَحْ / رُ/ ثُوْنْ

ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾

أَ /أَنْ/ تَمْ/تَزْ/رَ/عو/نَ/ـهُ /أَمْ/ نَحْ /نُزْ/زَا / رِ/ عُوْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ح ص

لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾

لَوْ /نَ /شَا /ءُ /لَ /جَ /عَلْ / نا/ـهُ /حُ /طا /مَ+نْ / فَـ/ ظَلْ/ تُمْ /تَ /فَكْ /كَ/هُوْنْ

ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ ص ح/ص ح ح ص

﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾

إِنْ /نا /لَ/مُغْ /رَ/ مُوْنْ ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾

بَلْ/نَحْ/نُ/ مَحْ/رُو/ مُوْنْ ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح ص

---

(١) تفسير القرطبى: ٦٣٨٧ ـ ٦٣٩٠

أهم الخصائص المقطعية للقسم:

١. شيوع بعض المقاطع في القسم:

جاء في القسم أربعة وخمسون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر إحدى وعشرين مرة.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر عشرين مرة .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر ثمان مرات .

د - مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر خمس مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ - شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح ، ثم المديد المغلق.

ب - ولا نجد بالقسم المقطع الزائد في الطول.

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

الآية الثانية: تحول المقطع {نُ اَلْ: ص ح+ ص ح ص } إلى {نز: ص ح ص} بإسقاط (ال) التعريف كلها (همزة الوصل واللام الشمسية). [سياق الاستعمال]

٣ - إغلاق بعض مقاطع القسم:

غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثانية {نُ: ص ح > نُزْ: ص ح ص }.

٤ - التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل القسم كلها في تكوينها المقطعي: فكانت في صورة واحدة وهى الانتهاء بالمقطع {ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة. وقد انتهت أيضا كل فواصل القسم بحرفي الواو والنون .

٣.القسم الثالث: نعمة الماء

أولا: من أقوال المفسرين:

قال القرطبي: "أفرأيتم الماء الذي تشربون لتحيوا به أنفسكم، وتسكنوا به

عطشكم، لأن الشراب إنما يكون تبعا للمطعوم، ولهذا جاء الطعام مقدما في الآية قبل، ألا ترى أنك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه...أأنتم أنزلتموه من المزن أي: السحاب، الواحدة مزنة...أم نحن المنزلون أي: فإذا عرفتم بأني أنزلته فلم لا تشكروني بإخلاص العبادة لي؟ ولم تنكرون قدرتي على الإعادة؟. لو نشاء جعلناه أجاجا أي: ملحا شديد الملوحة؛ قاله ابن عباس. الحسن: مرا قعاعا لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما.فلولا أي: فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم."(١)

ثانيا : التحليل المقطعي

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

أَ/ فَـ/ رَ/أَيْ /تُ/مُلْ /ما /ءَلْ / لَ / ذِى/ تَشْ/ رَ/ بُوْنْ

ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾

أَ / أَنْ / تُمْ / أَنْ /زَلْ /تُ /مُو /ـهُ / مِ/ نَلْ / مُزْ /نِ/ أَمْ / نَحْ/نُلْ/ مُنْ/ زِ/ لُوْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

لَوْ/ نَ /شَا/ ءُ/ جَ / عَلْ /نا /هُ /أُ /جا / جَ+نْ /فَـ / لَوْ /لا / تَشْ /كُ / رُوْنْ

ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ ص ح ح ص

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٩٠ ـ٩١ ٦٣

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في القسم:

جاء في القسم ثمانية وأربعون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر تسع عشرة مرة.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر تسع عشرة مرة .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر سبع مرات .

د - مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر ثلاث مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ - شيوع المقطع القصير المفتوح، والمقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح، ثم المقطع المديد المغلق.

ب - ولا نجد بالقسم المقطع الزائد في الطول.

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ - الآية الأولى: تحول المقطع {مُ اَلْ: ص ح + ص ح ص } إلى {مُلْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل. وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

وكذلك تحول المقطع {ءَ اَلْ: ص ح + ص ح ص } إلى {ءَلْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل. وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

ب - الآية الثانية: تحول المقطع {مِنْ اَلْ: ص ح ص+ ص ح ص} إلى{مِ نَلْ: ص ح + ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

وكذلك تحول المقطع {نُ اَلْ: ص ح + ص ح ص } إلى {نُلْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

ج - الآية الثالثة: تحول المقطع {جاجَ: ص ح ح + ص ح} إلى {جاجن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣ - إغلاق وفتح بعض مقاطع القسم:

أ - فتح مقطع مغلق بالآية الأولى {تُمْ: ص ح ص > م نل: ص ح+ص ح ص}

ب - فتح مقطع مغلق بالآية الثانية {مِنْ: ص ح ص >م نل: ص ح+ص ح ص}

ج ـ غلق مقطع مفتوح في الآية الثانية { نُ: ص ح > نُلْ: ص ح ص }.
د ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة { جَ: ص ح > جَنْ: ص ح ص }.

٤ ـ التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل القسم كلها في تكوينها المقطعي: فكانت في صورة واحدة وهى الانتهاء بالمقطع {ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة. وقد انتهت أيضا كل فواصل القسم بحرفي الواو والنون .

٤. القسم الرابع: نعمة إيقاد النار من الشجر الأخضر

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "أي أخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب" أأنتم أنشأتم شجرتها" يعني التي تكون منها الزناد وهي المرخ والعفار، ومنه قولهم: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، أي: استكثر منها، كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما. ويقال: لأنهما يسرعان الوري. يقال: أوريت النار إذا قدحتها... أم نحن المنشئون أي: المخترعون الخالقون، أي: فإذا عرفتم قدرتي فاشكروني ولا تنكروا قدرتي على البعث.

قوله تعالى: نحن جعلناها تذكرة يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى؛ قاله قتادة. ومجاهد: تبصرة للناس من الظلام...

"ومتاعا للمقوين" قال الضحاك: أي: منفعة للمسافرين، سموا بذلك لنزولهم القوى وهو القفر. الفراء: إنما يقال للمسافرين: مقوين إذا نزلوا القي وهي الأرض القفر التي لا شيء فيها. وكذلك القوى والقواء بالمد والقصر، ومنزل قواء لا أنيس به، يقال: أقوت الدار وقويت أيضا أي: خلت من سكانها... وقال مجاهد: للمقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة، ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله منها. وقال ابن زيد: للجائعين في إصلاح طعامهم. يقال: أقويت منذ كذا وكذا، أي: ما أكلت شيئا، وبات

فلان القواء وبات القفر، إذا بات جائعا على غير طعم.

فسبح باسم ربك العظيم أي: فنزه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد، والعجز عن البعث"[١]

ثانيا: التحليل المقطعي

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾

أَ / فَ/ رَ / أَيْ/ تُ/مُنْ / نا / رَلْ / لَ / تِي / تُو / رُوْنْ

ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح

ح/ص ح ح/ص ح ح ص

ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾

أَ / أَنْ / تَمْ/ أَنْ /شَأْ / تُمْ / شَ/ جَ/ رَ/ تَ /ها /أَمْ /نَحْ /نُلْ/مُنْ /شِ/ ئُوْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص

ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ ص ح ح ص

نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

نَحْ / نُ/ جَ/ عَلْ / نا / ها / تَذْ / كِ /رَ/ ـةَ+نْ /وَ /مَ /تا /عَ+ ن/ لَلْ / مُقْ/ وِيْنْ

ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ ص ح/ص

ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح ح ص

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

فَ / سَبْ / بِحْ / بِسْ / مِ / رَبْ/ بِ / كَلْ /عَ / ظِيْمْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص /ص

ح/ص ح ح ص

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٩١.

أهم الخصائص المقطعية للقسم:

١. شيوع بعض المقاطع في القسم:

جاء في القسم ستة وخمسون مقطعا من ثلاثة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر إحدى وعشرين مرة.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر أربع وعشرين مرة .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر سبع مرات .

د - مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكر أربع مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ - شيوع المقطع الطويل المغلق، يليه المقطع القصير المفتوح، ثم المقطع الطويل المفتوح ، ثم المقطع المديد المغلق.

ب - ولا نجد بالقسم المقطع الزائد في الطول.

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ- الآية الأولى: تحول المقطع {ثُمْ اَلْنّ: ص ح ص+ ص ح ص+ ص ح ص} إلى {مُنْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.واللام الشمسية. [سياق الاستعمال]

وكذلك تحول المقطع {رَ اَلْ: ص ح + ص ح ص} إلى {رَلْ: ص ح ص } بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

ب - الآية الثانية: تحول المقطع { نُ اَلْ: ص ح + ص ح ص } إلى { نُلْ: ص ح ص } بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

ج - الآية الثالثة: تحول المقطع {رةً: ص ح+ ص ح} إلى {رة ن: ص ح+ص ح} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

وكذلك تحول المقطع {تاعً: ص ح ح + ص ح} إلى {تاع ن: ص ح ح+ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

د - الآية الرابعة: تحول المقطع {كَ اَلْ: ص ح+ ص ح ص} إلى {كَلْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية . [سياق الاستعمال]

٣- إغلاق وفتح بعض مقاطع القسم:

أ - فتح مقطع مغلق: بالآية الأولى {تُمْ: ص ح ص <تُ مُنْ: ص ح+ص ح ص}

ب - غلق مقطع مفتوح: بالآية الأولى { رَ: ص ح > رَلْ: ص ح ص }.

ج - غلق مقطع مفتوح: بالآية الثانية { نُ: ص ح > نُلْ: ص ح ص }.

د - غلق مقطع مفتوح: بالآية الثالثة { ةَ: ص ح > ةَ نْ: ص ح ص }.

هـ - غلق مقطع مفتوح: بالآية الثالثة { عَ: ص ح > عَ نْ: ص ح ص }.

و - غلق مقطع مفتوح: بالآية الرابعة { كَ: ص ح > كَلْ: ص ح ص }.

٤- التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل القسم كلها في تكوينها المقطعي: فكانت في صورة واحدة وهى الانتهاء بالمقطع {ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة.

ملاحظات على التحليل المقطعي: تستمر الآيات في عرض نعم الله على خلقه في قالب تركيبي واحد تكرر من قبل، حيث البدء بالاستفهام عن النعمة، ثم المنعم، ثم ماذا لو ذهبت النعمة، ومع تكرار هذا النمط التركيبي تتكرر المقاطع ومواضع النبر، مما يؤدي إلى تكرار الإيقاع والنغم في تساوٍ وانتظام. جاء ذلك في جمل قصيرة تنمو وتطول مع اتساع الحوار، منتهية بفواصل من المقطع (ص ح ح ص)، وبحرفي الواو والنون أو الياء والنون.

التكامل النحوي والصوتي لخلق إيقاع منتظم بالمجموعة كلها:

يأتي هذا التكامل النحوي والصوتي لخلق الإيقاع في الآيات من:

١- استخدام ضمير جمع المذكر السالم في أغلب الفواصل؛ لتنتهي كل الآيات بالمقطع (ص ح ح ص)، وفي وسطها أحيانا، لتنتهي بواو ونون أو ياء ونون، مع اختلاف العائد عليه هذا الضمير، فتارة يكون على الله تعالى، وتارة يكون عائدا على المخاطبين.

٢- نوع الكلمة في الفاصلة: تنتهي كلمة الفاصلة بياء ونون أو واو ونون، و قد تكون هذه الكلمة فعلا: (تخلقون، تزرعون، تفكهون، تحرثون، تورون،

تشكرون، تشربون). أو اسما: (الخالقون، مسبوقين، الزارعون، مغرمون، محرومون، المنزلون، المشئون، لمقوين).

٣- تكرار النهاية المقطعية في الفاصلة يأتي مسبوقا بتحضير لها بوسط الآية؛ وذلك بذكر الكلمة فعلا بأول الآية، ثم اسما بفاصلتها؛ فيجتمع جذر واحد للكلمة في صورة فعل ثم اسم في آية واحدة، فيكون كصدى الصوت بالآية:

أ- ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

ب- ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

ج- ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

د- ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

حيث تكرر الجذر فعلا في وسط الآية، واسما في آخرها.

٤- كثرة تكرار الواو والنون في نهاية أغلب الفواصل، بمعدل خمس عشرة مرة في مقابل مرتين بياء ونون، أوجد إيقاعا منتظما ونغما خفيا من تكرار الواو والنون في نهاية الفاصلة ووسط الآية، نحو: تزرعونه الزارعون...

٥- المحافظة على نهاية الفاصلة بالواو والنون جعله يصف الماء الذي يشرب بصفة منتهية بواو ونون؛ فتحقق له ذلك بإسناد الفعل إلى واو الجماعة في حالة الرفع؛ فأصبح تشربون، على الرغم من أنه يصف مفردا.

٦- ومن أجل السبب السابق قسَّم الجملة على آيتين؛ الأولى: منتهية بياء ونون، في الفاصلة، ثم جاء في الآية الثانية بالمتعلق بالأولى، يقول الطاهر بن عاشور (ويتعلق {على أن نبدل أمثالكم} بمسبوقين لأنه يقال: غلبه على كذا إذا حال بينه وبين نواله) [(١)].

(١) التحرير والتنوير المجلد الحادي عشر ج١١ ص ٣١٦

ثالثا : مواضع النبرين في الآيات

الآية الأولى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ٦٣﴾

أَ /فَ / رَ/ أَيْ / تُمْ / ما/ تَحْ / رُ/ ثُوْنْ

ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح/ص ح' ص/ص ح/ص ح' ح ص

نبرأولى: أفرأيتم: أي: ص ح'ص، ما: ما: ص ح'ح تحرثون: ثون: ص ح'ح ص

نبر ثانوي: أفرأيتم: أ: ص ح' ، تحرثون: تَحْ: ص ح'ص.

الآية الثانية: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤﴾

أَ /أَنْ / تَمْ /تَزْ /رَ /عُو /نَ /هُ /أَمْ / نَحْ /نُزْ /زَا / رِ / عُوْنْ

ص ح' /ص ح' ص/ص ح ص/ص ح 'ص/ص ح/ص ح' ح/ص ح/ص ح/ص ح' ص/ص ح' ص/ص ح ص/ص ح' ح/ص ح/ص ح' ح ص

نبر الأولى: أأنتم: أن: ص ح'ص، تزرعونه:: عُو: ص ح'ح أَمْ: ص ح'ص، نحن: نَحْ: ص ح'، الزارعون: عون: ص ح'ح ص.

نبرثانوي: أأنتم: أ: ص ح' ، تزرعونه: تز: ص ح'ص، الزارعون: زا: ص ح'ح

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {نُ الزّ } فغيره إلى (نُزْ) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح +ص ح ص+ص ح} إلى {نُزْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، واللام الشمسية

الآية الثالثة: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥﴾

لَوْ /نَ /شَا /ءُ /لَ /جَ /عَلْ / نا /هُ /حُ /طا /مَ+نْ / فَ/ ظَلْ/ تُمْ /تَ /فَكْ /كَ /هُوْنْ ص ح'ص/ص ح/ص ح 'ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح'ح/ص ح/ ص ح' /ص ح'ح/ص ح ص/ص ح/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح' /ص ح ص/ ص ح/ص ح'ح ص .

نبر الأولى: لو: ص ح'ص، نشاء: شا: ص ح'ح لجعلناه: نا: ص ح'ح حطاماً: طا: ص ح'ح فظلتم: ظل: ص ح'ص، تفكهون: هون: ص ح'ح ص.

نبرثانوي: لجعلناه: عَلْ: ص ح'ص، حُطاما: حُ: ص ح' ، تفكهون: فك: ص ح'ص

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على { طاماً } فغير فيه بأن:

أ) حول المقطع {طامً: ص ح ح + ص ح} إلى{طا+مً ن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { مَ: ص ح ـ> م نْ: ص ح ص } .

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ٦٦﴾

إِنْ /نا /لَ/مُغْ /رَ/ مُوْنْ ص ح' ص/ص ح ح/ص ح/ص ح' ص/ص ح/ص ح' ح ص

إِنَّا : إنْ: ص ح'ص، لمغرمون: مون: ص ح'ح ص.

نبرثانوي: لمغرمون: مُغْ: ص ح'ص

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧﴾

بَلْ/نَحْ/نُ/ مَحْ/رُو/ مُوْنْ ص ح'ص/ص ح' ص/ص ح/ص ح' ص/ص ح ح/ص ح'ح ص

بل: ص ح'ص، نحن: نَحْ: ص ح'ص، محرومون: مون: ص ح'ح ص

نبر ثانوي: مَحْرُمون: مَحْ: ص ح'ص.

الآية السادسة: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ٦٨﴾

أَ / فَ / رَ / أَيْ / تُ / مُلْ / ما / ءَلْ / لَ / ذِى / تَشْ / رَ / بُوْنْ

ص ح'/ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح/ص ح' ص/ص ح'ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح' ص/ص ح/ص ح' ح ص .

نبرأولى: أفرأيتم: أي: ص ح'ص، الماء: ما: ص ح'ح تشربون: بون: ص ح'ح ص

نبر ثانوي: أفرأيتم: أ: ص ح' ، م الماء: مُلْ: ص ح'ص تشربون: تش: ص ح'ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {مْ اَلْ } فغيره إلى (مل) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص} إلى {مُلْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

وكذلك وقع نبر السياق في الآية على قوله {ءَ اَلْ } فغيره إلى (ءَل) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص} إلى {ءَلْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية السابعة: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ٦٩﴾

أَ / أَنْ / تُمْ / أَنْ /زَلْ /تُ /مُو /هُ / مِ/ نَلْ / مُزْ /نِ/ أَمْ / نَحْ/نُلْ/ مُنْ/ زِ/ لُوْنْ

ص ح ُ/ص ح ْص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ْص/ص ح/ص ح ْح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ُص/ص ح ْص/ص ح ْ ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ْص/ص ح ْص/ص ح ص/ص ح ُ ص/ص ح/ص ح ْح ص

نبر أولى: أأنتم: أن: ص ح ْص، أنزلتموه: مو: ص ح ْح، مزن: مز: ص ح ْص، أم: ص ح ْص، نحن: نح: ص ح ْص، المنزلون: لون: ص ح ْح ص.

نبرثانوي: أأنتم: أ: ص ح ُ، أنزلتموه: زَلْ: ص ح ُص، من المزن: نَلْ: ص ح ُص، منزلون: من: ص ح ُص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {مِنْ اَلْ } فغيره إلى(نَلْ) بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح ص+ ص ح ص} إلى {م نُلْ: ص ح + ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

وكذلك وقع نبر السياق في الآية على قوله {نحنُ اَلْ } فغيره إلى (نُلْ) بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص} إلى {نُلْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الثامنة: لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾

لَوْ/ نَ /شَا/ ءُ/ جَ / عَلْ /نا /هُ /أُ /جا / جَ+نْ /فَ / لَوْ /لا / تَشْ /كُ / رُوْنْ

ص ح ْص/ص ح/ص ح ْح/ص ح/ص ح/ص ح ُص/ص ح ْح/ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح ُ ح/ص ح ْ ص/ص ح/ص ح ْص/ص ح ح/ص ح ُص/ص ح/ص ح ْح ص.

نبر أولى: لو: ص ح ْص، نشاء: شا: ص ح ْح ، جعلناه: نا: ص ح ْح ، أجاجا: جً ن: ص ح ْص ، فلولا: لو: ص ح ْص، تشكرون: رون: ص ح ْح ص.

نبرثانوي: جعلناه: عل: ص ح ُص، أجاجا: جا: ص ح ُح تشكرون: تش: ص ح ُص

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على { أجاجاً } فغير فيه إلى (جن) بأن:

أ) حول المقطع {جاجٍ: ص ح ح + ص ح} إلى{جا+جَ ن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { ج: ص ح ــ> ج نْ: ص ح ص }.

الآية التاسعة: أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾

أَ / فَ/ رَ / أَيْ/ تُ/مُنْ / نا / رَلْ / لَ / تِي / تُو / رُوْنْ.

ص ح ً/ص ح/ص ح/ص ح/ص حْ ص/ص ح/ص حٌ ص/ص ح ْح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ٌ ح/ص ح ْح ص.

نبرأولى: أفرأيتم: أي: ص حْص، النار: نا: ص حْح تورون: رون: ص حْح ص

نبر ثانوي: أفرأيتم: أ: ص حً ،مُالنار: مُلْ: ص حً ص، تورون: تو: ص حً ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {مْ النّ } فغيره إلى (مُنْ) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح +ص ح ص+ص ح} إلى {مُنْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، واللام الشمسية.

الآية العاشرة: ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾

أَ / أَنْ / تَمْ/ أَنْ /شَأْ / تُمْ / شَ/ جَ/ رَ/ تَ /ها /أَمْ /نَحْ /نُلْ/مُنْ /شِ/ ئُوْنْ.

ص حً/ص حْص/ص ح ص/ص ح ص/ص حً ص/ص حْ ص/ص ح ص/ص حْ/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص حْ ص/ص حْ ص/ص ح ص/ص حً ص/ص ح/ ص حْح ص .

نبر أولى: أأنتم: أَنْ: ص حْص، أنشأتم: شَأْ: ص حْص، شجرتها: ش: ص حْ ، أَمْ: ص حْص، نحنُ: نَحْ: ص حْص، المنشئون: ئُوْن: ص حْح ص.

نبر ثانوي: أأنتم: أ: ص حً ، أنشأتم: أَنْ: ص حًص، المنشئون: مُنْ: ص حً ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {نُ اَلْ } فغيره إلى (نُلْ) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص} إلى {نُلْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الحادية عشرة: نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

نَحْ / نُ/ جَ/ عَلْ / نا / ها / تَذْ / كِ /رَ/ ةَ+نْ /وَ /مَ /تا /عَ+ ن/ لَلْ/ مُقْ/ وِيْنْ.

ص حْص/ص ح/ص ح/ص حً ص/ص حْح/ص ح ح/ص ح ح/ص حً ص/ص حْ/ ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص حْ ح/ص ح ص/ص ح ص/ص حً ص/ص ح ص/ ص حْ ح ص

نبر الأولى: نحن: نَحْ: ص حْص، جعلناها: نا: ص حْح ، تذكرة: ك: ص حْ ، ومتاع: تا: ص حْح ، للمقوين: وين: ص حْح ص.

نبرثانوي: جعلناه: عل: ص حً ص، تذكرة: تذ: ص حً ص، للمقوين: لَلْ: ص حً ص

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على { رةً } فغير فيه إلى (رَتَنْ)بأن:

أ) حول المقطع {رةٍ: ص ح+ ص ح} إلى{ر+ةٍ ن: ص ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { ةَ: ص ح ـ> ةَ نْ: ص ح ص }.

وقع نبر السياق في الآية الرابعة على { تاعٍ } فغير فيه إلى (عَنْ) بأن:

أ) حول المقطع {تاعٍ: ص ح ح + ص ح} إلى{تا+عٍ ن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ مقطعا مفتوحا: هكذا { عَ: ص ح ـ> عَ نْ: ص ح ص }.

الآية الثانية عشرة: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾

فَ / سَبْ / بِحْ / بِسْ / مِ / رَبْ/ بِ / كَلْ /عَ / ظِيْمْ

صʼ ح/ص حʻ ص/ص ح ص/ص ح ص/ص حʻص/ص ح/ص حʻص/ص ح/ص حʼ ص /ص ح/ص حʻ ح ص .

نبرأولى: فسبح: سَبْ: ص حʻص، باسم: بس: ص حʻص، ربك: رب: ص حʻ ص، العظيم: ظيم: ص حʻح ص.

النبر الثانوي: فسبح: ف: ص حʼ ،ربك العظيم: كَلْ: ص حʼ ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {كَ اَلْ } فغيره إلى(كَلْ) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص} إلى {كَلْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

دلالة النبر الثانوي والأولى في الآيات:

اجتمع النبران في هذه المجموعة في كلمات معينة لإبراز ما فيها من معان إضافية غير منطوقة إلى جانب معانيها الأصلية، يمكن أن نلاحظها في الآيات:

الآية الأولى: تتحدث عن نعمة الزرع؛ فتبدأ بتوجيه الخطاب إلى هؤلاء القوم المنكرين للبعث بسؤالهم: أرأيتم ما تحرثون؟ وهو استفهام استنكاري؛ يقصد منه لفت انتباه السامع نحو هذه النعمة بالسؤال عنها، فعبر عن تلك المعاني الإضافية من الاستنكار والدهشة بالنبرين اللذين على كلمتي الآية؛ وذلك بالضغط على الكلمة الأولى (أرأيتم) على همزة الاستفهام بنبر ثانوي، وبنبر أولى في وسطها، ثم بنبرين على

الكلمة الثانية (تحرثون) بنبر ثانوي على أول الكلمة (تح) ليعطى معنى الاستمرار بتاء المضارعة، وعلى الحرف الأول من حروف الحدث وهو الحاء، ثم بنبر الأولى وهو الأشد على المقطع الأخير(ثون) الذي يؤكد على توجيه الخطاب لهم .

الآية الثانية: ثم تبدأ هذه الآية بسؤال آخر بعد السؤال الاستنكاري عن رؤية النعمة، بسؤاله عن موجدها وصانعها، هل الله سبحانه أم أنتم؟ وذلك بالسؤال عن أصل النعمة وعملية وجودها في الكون، فالأصل في الزرع الإنبات؛ فليس بالحرث وحده ينبت الزرع، فكم من نبات غرس في الوجود دون أن ينبت لأن الزارع سبحانه لم يرد أن ينبته، فكان السؤال عن تلك العملية المعروفة بنسبها إلى صانعها؟ فكان ذلك سؤالا استنكاريا، أيضا لأنه يستنكر تجاهلهم لصانعها، كيف يعجز سبحانه عن بعثهم من قبورهم؛ وقد بعث الحياة في تلك البذور الميتة فأصبحت أشجارا وارفة؟!، فعبر عن تلك المعاني الإضافية بالنبر بنبرين على مقاطع معينة في تلك الآية منها: أأنتم (أ/أن) فكان النبر الأول وهو الثانوي على السؤال للتأكيد على معنى الاستفهام، ثم النبر الثاني على المقطع(أَنْ) للتأكيد على توجيه الخطاب لهم دون غيرهم، ثم يأتي النبران اللذان على كلمة الحدث؛ وقد جاءت في صيغتين (فعل: تزرعونه + اسم فاعل: الزارعون) للتأكيد على لب القضية وجوهرها، وهو عملية الزرع لا الحرث، فالزرع لله والحرث لهم، ولا جدوى لحرث لا يأتي بعده إنبات، فأصل الحدث فعل الله فيه وهو إنبات الزرع. فكان النبران في الكلمتين على المقطعين نفسهما، لأن المقصود بالنبرين التأكيد على معنى واحد في الكلمتين السابقتين، فكان النبر الثانوي على المقطع (تز) والمقطع (زا) في تزرعون والزارعون، تأكيدا على الحدث بالنبر على أول الفعل زرع + زمن الحدث بتاء المضارعة، وفاعل الحدث في ألف اسم الفاعل، ثم يأتي النبر الأوليِّ على المقطع (عو) والمقطع (عون) في الكلمتين ليكون تأكيدا على توجيه الخطاب لهم وحدهم بالضغط على واو الجماعة والحرف الأخير من الفعل "العين" في الكلمتين.

الآية الثالثة: ثم يتجه بنا الحديث نحو سلب النعمة، وماذا يحدث لهم لو سلبت هذه النعمة منهم؟ وهو بيان لقدرة الله الذي أعطى، بأن يسلب ويمنع كما

أعطى، فماذا تفعلون حينئذٍ سوى الندم، فأظهر هذه المعاني وبينها من خلال النبر على كلمات معينة بتلك الآية وهى: (لو) وهى كلمة تمثل مقطعا مستقلا منبورا نبرا أوليا، لتعطى معنى الشرط في العبارة القادمة، ثم تأتى كلمة الفصل وهى الفعل (لجعلناه) وهى تدل على التحول في النعمة مع نسبها لصاحبها بالضغط على مقطعين أساسيين فيها (عل/نا) المقطع الأول بنبر ثانوي، فكان ذلك الضغط على لب الحدث (عل)والثاني نبر أوليٌّ على فاعل الحدث وصانعه سبحانه بضمير الجمع تعظيما للصانع وصنعته، وحقيقة نسب الصنعة له وحده، ثم يأتي نبران على كلمة هي نتيجة هذا العمل، أي ما سيصنعه الزرع إذا غضب عليكم لكفركم به، سيحطمه (حُطاما) فكان النبر الثانوي على أول الكلمة للتنبيه على الحدث (التحطيم) ثم النبر الأوليّ على المقطع التالي (طا) لاستكمال صيغة الحدث، والتأكيد عليه بالضغط ضغطتين متتاليتين على كلمة واحدة هي عقاب اللّه لهم. ثم تأتي الكلمة الأخيرة لتصور الأثر النفسي عليهم بعد الحدث تحطيم الزرع في كلمة (تفكهون) التي جاء فيها نبران ثانوي وأولى(تف/ هون) ليشير كل نبر منهما إلى معنى خاص به، فالأول (تف) يشير إلى حدث الندم بجزء من الفعل، وهوحدث ندم، ثم النبر الأوليّ على المقطع (هون) للتأكيد على إسناد الحدث إليهم هم، مع الحرف الأخير من الفعل (تفكه).

الآيتان الرابعة والخامسة: جاءتا لاستكمال حوارهم مع أنفسهم بعد وقوع مصيبة تحطم الزرع؛ حاملا معنى الحسرة والندامة بقولهم: إنا غرمنا وخسرنا ما وضعنا من بذور بالأرض، فقد حُرمنا خيره، فجاءت كلمتي الحسرة والندامة في آيتين مستقلتين، بإيقاع واحد فيهما، فكان لزاما إبرازهما بعدة وسائل هي:

١. مجيء كل كلمة في آية مستقلة.
٢. إعطاء إيقاع الحسرة والندامة فيهما بأن جاءتا على وزن متقارب(مُفْعَلُون/ مَفْعُولون) متكرر في كلمتين متتاليتين
٣. إسناد الحدثين إلى ضمير المتكلم الجمعي (إنا /نحن) لبيان عموم الحسرة والندامة لهم كلهم بضمير متصل وآخر منفصل، وليس للتعظيم.
٤. إسناد الحدثين إلى واو الجماعة، ووضعهما في فاصلة آيتين قصيرتين متتاليتين

أوجد إيقاعا متماثلا بالفاصلتين المتتاليتين، نتج عن تكرار مقطعين متماثلين بنهايتهما.

٥. التطابق التام في عدد المقاطع بالآيتين، أدى إلى تساوٍ في عدد انقباضات القفص الصدري عند النطق بالآيتين، وفى كمية الهواء الخارج من الرئتين.

٦. موضع النبرين الثانوي والأوليِّ في الآيتين واحد، فقد كانا على كلمتي الفاصلة وهما كلمتي الحسرة والندم (مغرمون/ محرمون) فالثانوي على المقطع الأول منهما (مع / مح) وهما من النوع (ص ح ص)، وكان الأوليِّ على المقطع الأخير من الكلمتين (مون/مون)، هذا المقطع جاء هو هو في الكلمتين مما أحدث إيقاعا متماثلا بالفاصلتين على الرغم من عدم تطابق كلمتي الفاصلة في الوزن ولا في المعنى، وهذا هو معنى التوازي بين كلمات القرآن، وليس الوزن.

الآية السادسة: وينتقل الحديث فيها إلى نعمة أخرى وهى نعمة الماء الذي نشربه، يتم عرضها بالطريقة نفسها في صيغة سؤال، استخدم أداة الاستفهام نفسها، والفعل رأى نفسه المسند لتاء المخاطب مع ميم الجمع، لتوجيه الخطاب لهم هم، ولهذا كان النبران فيها على المقاطع نفسها في الآية التي تحدثتْ من قبل عن نعمة الزرع. ثم النبر على النعمة بنبرين الثانوي/الأوليِّ (الماء: مل/اء)، ثم النبر بنبرين على صفة هذه النعمة (تشربون: تش/ بون) في بدايتها ونهايتها.

الآية السابعة: تأتى الآية بالسؤال المعتاد عن موجد النعمة؛ هل أنتم أم الله؟ فكان النبران في الكلمة الأولى على همزة الاستفهام، لإعطاء معنى الاستفهام التقريري، فهو يقرُّ من خلال الاستفهام بأن الله هو موجد هذه النعمة، ثم النبر على مصدر النعمة وهو السماء ومُنْزِلها (الفعل: أنزلتموه، اسم الفاعل: منزلون) بنيرين عليهما، فكان النبر الثانوي فيهما على المقطعين(زل /من) والنبر الأوليِّ على المقطعين(مو/ لون) للتأكيد على الحدث (الفعل واسم الفاعل) بضغطتين ليبرزهما، فينسب مصدر الماء إلى السماء، والفعل الإنزال إلى الله وحده.

الآية الثامنة: ثم يأتي بيان أثر سلب تلك النعمة عليهم، فماذا تفعلون لو أنني حولت هذا الماء إلى ملح أجاج؟! لن تفعلوا شيئا، إذن وجب دفع ثمن هذه النعمة

ذلك بشكر المنعم سبحانه وتعالى عليها. فكان النبران معبران عن هذه المعاني، في كلمة (جعلناه: عل/نا) إشارة إلى عملية التحول من ماء عذب إلى ماء مالح، ثم التأكيد على الحالة التي سيتحول الماء إليها بذكر صفتها والضغط علي تلك الصفة بنبرين الأول ثانوي والثاني أوليِّ(أجاجا: جا / جا)، ثم بيان ثمن السلعة والتأكيد عليه بنبرين (تشكرون: تش / رون).

الآية التاسعة: تنتقل بنا إلى الحديث عن نعمة أخرى، وهى نعمة إيقاد النار من الشجر الأخضر، فبدأت بالسؤال الأول نفسه، وبنبرين على همزة الاستفهام والفعل أرى، ثم بنبرين على النعمة (مالنار: مل/نا) ونبرين آخرين على صفة النعمة (تورون: تو/رون) أي تظهرونها؛ فهي صفة أساسية في النار.

الآية العاشرة: تبدأ بالسؤال عن المنعم الذي أوجد النعمة، هل هم أم الله؟! بالضغط على تلك الكلمة ضغطتين (أأنتم: أ/أن)، النبر على فعل الحدث واسم الفاعل منه مرتين (أنشأتم: أن/ شأ، المنشئون: من / ئون) لبيان أصل النار وهو إنشاء الشجر التي توقد النار.

الآية الحادية عشرة: ثم تأتى هذه الآية لبيان سبب إيجاد النار، وهو أن تكون تذكرة بنار الآخرة وصورة مصغرة لها، وذلك بالنبر مرتين على كلمة الإيجاد (جعلناها: عل/ نا) ثم جاء النبران على سبب إيجاد النار، وهو (تذكرة: تذ/ ك) في موضعين متتاليين عليها لإبراز هذه العلة للسامع بقوة، ثم ذكر من صُنعتْ من أجله النعمة، والتأكيد عليه بنبرين أيضا (للمقوين: لل/ وين).

الآية الثانية عشرة: تأتى هذه الآية حاملة الأمر الإلهي الصريح بشكر تلك النعم في نهاية حدثيه سبحانه عنها، بأمر مباشر بالتسبيح باسم الله العظيم، ليكون ذلك شكرا على كل نعمه. فجاء النبران على موضع الحدث المطلوب لشكر النعمة وهو التسبيح (فسبح: ف/ سب) وللتأكيد عليه، وعلى صفة المنعم صاحب كل هذه النعم وهو (العظيم: ال/ ظيم) فسبحان الله عما يشركون.

اللوحة الخامسة: نعم الله على عباده

تعرض هذه الآيات من ٥٧ إلى ٧٤ لصور متنوعة من نعم الله تعالى على عباده من نعمة الخلق إلى نعمة إخراج الزرع إلى نعمة الماء إلى نعمة إيقاد النار من الشجر الأخضر، في صيغة حوار بين الحق تبارك وتعالى وبين المشركين، التزم فيه بقالب تركيبي واحد يتكرر في كل نعمة مع استبدال النعمة بنعمة أخرى فقط، حيث يبدأ كل قسم بسؤال عن النعمة باستخدام الفعل رأيتم الموجه للمخاطب مطالبا له بضرورة الرؤية العينية؛ فيتعين على المخاطب سقوط حجته للمعاينة والمشاهدة بالعين. ثم يأتي بعد ذلك سؤال آخر عن إسناد النعمة إلى الخالق أم المخلوق؟ ولأنه سؤال معروفة إجابته لم يجب عنه سبحانه، فكان الغرض منه التقرير، ثم تأتي جملة شرطية تقول: وماذا لو سلبت هذه النعمة، ماذا أنتم فاعلون؟

ويتكرر هذا القالب مع كل نعمة مستخدما التراكيب والأدوات والأفعال نفسها تقريبا، مما يؤدي إلى اتحاد الجمل في الطول والتركيب والتوافق إلى حد بعيد في عدد المقاطع، ومواضع النبر، وكذلك المقطع الأخير في كل فاصلة (ص ح ص) والحرف الأخير وقبل الأخير (غالبا) في كل فاصلة، فكوّن كل هذا التوافق إيقاعا منتظما متكررا، وانسجاما صوتيا، ونغما خفيا في اللوحة .

نموذج للبناء التركيبي:

❖ النعمة الخلق:

الآية الأولى: (أفرأيتم ما تمنون) نجدها في قالب استفهامي يتكرر مع كل نعمة: همزة استفهام + الفعل رأيتم + ما + جملة صلة تنتهي بالمقطع(ص ح ح ص)

الآية الثانية: (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) نجدها في قالب استفهامي متكرر: همزة استفهام + أنتم + خبره فعل + أم + نحن + خبره اسم فاعل للفعل السابق منتهي بواو ونون، لتنتهي الآية بالمقطع (ص ح ح ص) فتتوافق مع ما قبلها.

هذا الإيقاع المتناسق المتكرر الذي نجده يتكرر مع كل نعمة جاء من:

أ- تكرار الهمزة مرتين في الآية الأولى (همزة الاستفهام - همزة الفعل رأى) وثلاث مرات في الآية الثانية (همزة الاستفهام وهمزة الضمير وهمزة أم)

ب - تكرار ضمير (نحن) تعظيما للمنعم سبحانه، في الموقع نفسه بكل آية.

ج - الفعل المسند إلى واو الجماعة في حالة رفع، واستبدال الفعل نفسه باسم الفاعل منه متصلا بواو ونون لتنتهي الفاصلة المقطع (ص ح ح ص).

د - تكرار أصوات لها صفة تنغيمية خاصة (راء.همزة.واو. نون.ميم ياء).

هذا التركيب الخاص بهذه اللوحة استتبع توافقا مقطعيا بين الآيات المتقابلة فكوَّن لنا هذا الإيقاع المتكرر المنتظم، الذي نحس به؛ ونحاول أن نعرف مصدره.

المجموعة الخامسة عشرة

قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الواقعة: ٧٥ – ٨٢

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: قوله تعالى: فلا أقسم "لا" صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى: فأقسم، بدليل قوله: وإنه لقسم. وقال الفراء: هي نفي، والمعنى: ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف أقسم وقد يقول الرجل: لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفي اليمين، بل يريد به نفي كلام تقدم. أي: ليس الأمر كما ذكرت، بل هو كذا. وقيل: "لا" بمعنى "ألا" للتنبيه كما قال: ألا عم صباحا أيها الطلل البالي، ونبه بهذا على فضيلة القرآن ليتدبروه، وأنه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا...

قوله تعالى: بمواقع النجوم مواقع النجوم: مساقطها ومغاربها في قول قتادة وغيره. عطاء بن أبي رباح: منازلها. الحسن: انكدارها وانتثارها يوم القيامة... الماوردي: ويكون قوله تعالى: فلا أقسم مستعملا على حقيقته من نفي القسم. القشيري: هو قسم، ولله تعالى أن يقسم بما يريد، وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة... وقال ابن عباس: المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما، أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكاتبين، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام عشرين سنة، فهو ينزله على الأحداث من أمته...

وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم وحكي الفراء عن ابن مسعود أن مواقع النجوم هو محكم القرآن...

قوله تعالى: إنه لقرآن كريم قيل: إن الهاء تعود على القرآن، أي: إن القرآن لقسم عظيم؛ قاله ابن عباس وغيره. وقيل: ما أقسم الله به عظيم إنه لقرآن كريم

ذكر المقسم عليه، أي: أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن قرآن كريم، ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفترى، بل هو قرآن كريم محمود...

قوله تعالى: في كتاب مكنون مصون عند الله تعالى. وقيل: مكنون محفوظ عن الباطل. والكتاب هنا كتاب في السماء؛ قاله ابن عباس. وقال جابر بن زيد وابن عباس أيضا: هو اللوح المحفوظ. عكرمة: التوراة والإنجيل فيهما ذكر القرآن ومن ينزل عليه. السدي: الزبور. مجاهد وقتادة: هو المصحف الذي في أيدينا.قوله تعالى: لا يمسه إلا المطهرون اختلف في معنى لا يمسه هل هو حقيقة في المس بالجارحة أو معنى؟ وكذلك اختلف في المطهرون من هم؟ فقال أنس وسعيد وابن جبير: لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة. وكذا قال أبو العالية وابن زيد: إنهم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم، فجبريل النازل به مطهر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مطهرون. الكلبي: هم السفرة الكرام البررة.قوله تعالى: تنزيل من رب العالمين أي: منزل، كقولهم: ضرب الأمير ونسج اليمن. وقيل: تنزيل صفة لقوله تعالى: إنه لقرآن كريم. وقيل: أي: هو تنزيل[1].

ثانيا: التحليل المقطعي

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾

فَ/ لا /أُقْ / سِ / مُ /بِ /مَ /وا / قِ / عِنْ/ نُ / جُوْمْ

ص ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح /ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح /ص ح

ص /ص ح /ص ح ح ص.

وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

وَ/إِنْ/نَ/ـهُ/لَ/قَ /سَ/مُ+نْ /لَوْ/تَعْ/لَ/مُو/نَ/عَ /ظِيْمْ

ص ح /ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح /ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ص/ ص ح

ص /ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح / ص ح ح ص.

(١) تفسير القرطبى: ٦٣٩٣ ـ ٦٣٩٧

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾

إِنْ / نَ /ـهُ / لَ / قُرْ / آ / نُ+نْ / كَ / رِيْمْ

ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾

فِي / كِ / تا / بِ+نْ / مَكْ / نُوْنْ

ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح ح ص.

لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

لا / ي / مَسْ / سُ /ـهُ / إِلْ / لَلْ / مُ / طَهْ / ـهَ / رُوْنْ

ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾

تَنْ / زِي / لُ+نْ / مِنْ / رَبْ / بِلْ / عا / لَ / مِيْنْ

ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح / ص ح/ص ح ح ص.

أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾

أَ /فَ /بِ/ها /ذَلْ /حَ /دِي /ثِ /أَنْ / تُمْ /مُدْ /ـهِ / نُوْنْ

ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

و / تَجْ / عَ / لُو / ن / رِزْ / قَ / كَمْ / أَنْ / نَ / كَمْ / تُ / كَذْ / ذِ / بُوْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ح ص.

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة تسعون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر أربعين مرة.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر ثلاثين مرة .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر اثنتي عشرة مرة .

د - مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر ثمان مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ- شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح، ثم المقطع المديد المغلق.

ب - ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ - الآية الأولى: تحول المقطع {قع اَلْ: ص ح ص + ص ح ص } إلى {قِ عَلْ: ص ح+ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية [سياق الاستعمال]

ب - الآية الثانية: تحول المقطع {قسمُ: ص ح+ص ح +ص ح} إلى {قسم ن: ص ح + ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نون التنوين. [سياق الاستعمال]

ج - الآية الثالثة: تحول المقطع {آنٌ: ص ح ح + ص ح} إلى {آ نُ نْ: ص ح ح+ ص ح ص } بإضافة صوت جديد نون التنوين. [سياق الاستعمال]

د - الآية الرابعة: تحول المقطع {تابِ: ص ح ح + ص ح} إلى {تاب ن: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نون التنوين. [سياق الاستعمال]

هـ - الآية الخامسة: تحول المقطع {لا اَلْ: ص ح ح+ص ح ص} إلى {لَلْ: ص ح ص} بتقصير فتحة (لا) الطويلة، وإسقاط همزة الوصل، وبقاء اللام القمرية.

و- الآية السادسة: تحول المقطع {رب اَلْ: ص ح ص+ص ح ص} إلى {ر بِلْ: ص ح+ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية [سياق الاستعمال]

ز- الآية السابعة: تحول المقطع{ذا اَلْ: ص ح ح+ص ح ص} لـ{ذلْ: ص ح ص}

بتقصير فتحة (ذا) وإسقاط همزة الوصل وبقاء اللام القمرية [سياق الاستعمال]

٣ . إغلاق بعض مقاطع المجموعة:

أ . غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثانية { مُ: ص ح > مُنْ: ص ح ص } .

ب . غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة { نُ: ص ح > نُنْ: ص ح ص } .

ج . غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الرابعة { بِ: ص ح > بِنْ: ص ح ص} .

د . غلق مقطع مفتوح: كما في الآية السادسة { بِ: ص ح > بِلْ: ص ح ص} .

٤. تقصير بعض الحركات واندماجها:

أ. كما في الآية الخامسة {إلا ال: ص ح ح + ص ح ص > للْ: ص ح ص} .

ب . كما في الآية السابعة {هذا اَلْ: ص ح ح +ص ح ص > ذَلْ: ص ح ص} .

٥ . التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة كلها في تكوينها المقطعي: فكانت في صورة واحدة وهى الانتهاء بالمقطع {ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة.

وصف الآيات للقرآن الكريم بين جلال المعني وصدى الصوت:

تتحدث هذه المجموعة عن كتاب الله الكريم، فيُقْسمُ الحقُ تبارك وتعالى بمواقع النجوم على صدق القرآن ومكانته ولكن المشركين يكذبون، وتنتهي هذه المجموعة بصوت الميم في الفاصلة في أول آياتها، وقد مهدت الآية السابقة لهذا الصوت، حيث انتهت بصوت الميم بالفاصلة أيضا في قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ الواقعة/٧٤، وكأنها تربط بهذا الصوت بين المجموعتين، ثم تعود بعد ثلاث آيات إلى صوت النون، وهو الصوت الغالب على نهايات الفواصل في السورة عامة، وصوتا الميم والنون من الأصوات التي يكثر التبادل بينها.

وقد جاءت الآيات في صورة متوازية متقابلة، حيث نجد كل آيتين متتاليتين متساويتين تقريبا في عدد المقاطع، وفي الحرف الأخير، وتنتهي كل آيات المجموعة بالمقطع (ص ح ح ص) إلى جانب التساوي في مواضع النبر الذي تكرر في المقطع الأخير من الفواصل المجموعة(ص ح ح ص)، كل هذا أوجد إيقاعا متميزا بنغم

ساحر في الآيات تعانق مع المعنى العام الخاص للمجموعة، ويبدو ذلك في التعانق بين الصوت و الدلالة في هذه القضايا:

أولا: تأثير الهمزة والمقطع (ص ح ص) على المعنى:

تعاون كل من الهمزة والمقطع (ص ح ص) في هذه المجموعة فكونا نغما خاصا شارك في منح الآيات معان إضافية، فلكل من الهمزة والمقطع الثالث خصائص صوتية خاصة كان لها الأثر الكبير في تكوين المعاني الجديدة كفونيمات فوق تركيبية:

فالهمزة "صوت انفجاري حنجري يتم الإعداد لنطقه بتفريغ مجرى الهواء من أي أثر لأي صوت آخر، بالمد الذي يسبقها، (بمقدار ست حركات) حيث ينطق باحتجاز الهواء الخارج مع نطقها بإغلاق الوترين الصوتيين تماما، ثم خروج الهواء فجأة وبشدة، ليكوّن صوتا انفجاريا دون أي حركة للوترين لأنه صوت مهموس، ولاستحالة ذلك النطق، فكيف يجمع الوتران الصوتيان بين حالتين متناقضتين معا في النطق، هما صفة الإغلاق التام للوترين استعدادا للنطق بالصوت الانفجاري الهمزة، وبين صفة الاهتزاز للوترين التي تسمى بحالة الجهر التي تصاحب الصوت المجهور الذي يسبق النطق بالهمزة، لذلك ينطلق الهواء مع النطق بالهمزة متفجرا، هذه الصفة لصوت الهمزة (انفجاري) جعل له تأثيرا على المعنى - كما سنري وكما ذكر ذلك ابن جني في تفسيره لكلمة (أزَّ) في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣] [(١)] - فكانت الهمزة بما لها من خصائص صوتية سببا لوجود تلك الهزة التي نشعر بها مع نطق كلمة أزَّ، ولا نشعر بها لو أبدلناها بكلمة هزَّ (مريم)، أما الهمزة التي في (الواقعة) فنشعر معها بتغليظ القسم؛ تعظيما القرآن.

المقطع (ص ح ص): يتكرر هذا المقطع بكثرة في الآيات، وكان هو موضع النبر؛ لأنه الأطول بالنسبة لكثير من المقاطع اللغة، وكذلك طبيعة تكوين

---

(١) الخصائص: ج/٢ ،ص/١٤٦

المقطع (ص ح ص) من صامتين بينهما حركة قصيرة، وقد وُزِّعَ في الآيات بصورة متساوية، كل هذا أضفى على الآيات إيقاعا منتظما، ومعان جديدة؛ منها:

١- الآية الأولى: الهمزة في كلمة أُقْسِمُ في المقطع (أُ قْ: ص ح ص) هي موضع النبر، مما أعطى الإحساس بغلظة القسم، وفي الآية الثانية نجد الهمزة على المقطع (ص ح ص) أيضا، وهو موضع النبر في كلمة: (وإِنَّه: إِنْ) فدَّل ذلك على تأكيد القسم، وتغليظه أيضا نظرا لعظمة المُقْسِمِ و ما يقسم به، فتأكد معنى الجملة، ونجد هذا يتكرر في الآية التالية في كلمة { إِنَّه } على المقطع الثالث المنبور (إِنْ) فيعطي ذلك معنى التأكيد للشيء المقسم به، أما في الآية الخامسة فنجد الهمزة قد جاءت هنا في إطار كلمة الاستثناء (إلا) على المقطع (ص ح ص: إِلْ)، وهو منبور، لبيان أهمية من يستثنيهم من المنع، ويُسْمح لهم أن يمسوا كتابه، ثم تأتي الهمزة في وسط الآية الأخيرة من تلك المجموعة في كلمة (أَنَّكُمْ) على المقطع المنبور (أَنْ: ص ح ص)، فأعطى معنى توجيه الاتهام إليهم بالتكذيب بعد كل هذا التغليظ في القسم من رب السماوات والأرض.

ثانيا: أثر التقسيم المقطعي على التراكيب:

إن آيات هذه المجموعة التي تصل إلى ثمان آيات، جاءت في عدد قليل من الجمل أقل من عدد الآيات، وهذا يعني أن هذه الجمل قد قُسِّمتْ على عدة آيات أكبر من عدد الجمل مراعاة للفاصلة، حيث تأتى الجملة حاملة المعنى في أكثر من آية، وهذا الأمر يمثل جانبا من خصائص النص القرآني، فيمثل المعنى جانبا من بناء النص، ويمثل الإيقاع الجانب الآخر منه، وكلاهما جزء لا يتجزأ من التكامل التام لبناء النص، ولا يستغني عن هذا التكامل النص القرآني، فلكل منهما دور في بناء هذا النص.

لماذا؟ لأن القرآن نص كلام الله للبشر؛ فيجب أن يَشُدُّ إليه كل من يسمعه من كل البشر، من يفهم اللغة العربية ومن لا يفهمها، ولقد رأيت أناسا ليسوا عربيا ولا يعرفون العربية يستمعون للقرآن مشدودين له لمجرد أنه يُتْلَي عليهم بإيقاعه المتجانس وأصواته المتآلفة، فيصل إلى أعماق نفوسهم فيؤثر فيها، وذلك لما جُبِلتْ عليه النفس البشرية، من ميل إلى كل صوت هادئ رخيم، يشدها إليه،

وتلك آية من آيات الإعجاز القرآني، فهو ليس كتاب قوانين وتشريعات للبشر في أمور دنياهم وآخرتهم فحسب، بل هو أيضا كتاب نزل ليتلوه من نزل عليهم ليلَ نهارَ؛ فلا بد أن يكون مصحوبا بنغم خفي يشعر به من يسمعه؛ فلا يمل منه، وينجذب إليه، ويكرره باستمرار.

إذن نحن أمام خطين متوازيين متكاملين؛ يمثلهما النص القرآني:

الأول: المعنى ويتمثل فيما نراه من جمل كاملة صحيحة البناء واضحة المعاني. الثاني: الانسجام الصوتي الذي يُوجِدُهُ الإيقاع الجميل الذي يشدُّ القلوب، والنغم الخفي، كل هذا كان له دور أيضا في وضوح المعنى وبيانه، ولهذا يجب أن ننظر إلى المعنى ونسأل مما تكوَّن المعنى؟ وما عناصر بناء المعنى في هذا النص؟ لنرى مدي التكامل والتلاحم بينهما (الصوت والمعنى) كما في هذه الآيات التي تطرب لها النفس، وتَهْتزُّ لها القلوب خشوعا وإجلالا لكلمات ربها سبحانه وتعالى.

فنجد المُقْسَم به في الآية الأولى، ونجد جواب القسم في الآية الثالثة، وتأتي الآية الرابعة والخامسة والسادسة بصفات ومتعلقات نحوية ترتبط بجواب القسم، مما يجعل السامع للكتاب الكريم يتتبع معنى الجملة على مدى تلك الآيات التي تمثل كل آية منها بناءً صوتيا مستقلا متكاملا متعاونا مع ما قبله في صنع الإيقاع العام لتلك المجموعة، فيترقب ويتتبع السامع المعنى مع الانتقال من آية لأخرى، مع استمتاعه بإيقاع الترتيل المنتظم والانسجام الصوتي الذي في الآيات، بما يشبه الموسيقى التصويرية التي يصنعها المخرج للحدث الفني الذي يعرضه على المشاهد (فلم /مسرحية/ مسلسل) فيلتقي معنى الحدث ومفهومه المعروض على المتلقي مع الموسيقى المصاحبة لذلك الحدث، وتكون تلك العملية بمثابة الترجمة الصوتية للحدث، وتكون انعكاسا له، فنتصور ذلك الحدث ونحيا معه من خلال تلك الموسيقى المصاحبة له، فنجد في الحدث المؤلم موسيقى الناي الحزين، ونجد مع الحدث السعيد موسيقى فرحة.

هذا ما فعلته الآيات؛ فصورت من خلال المقاطع المنتظمة والمتسقة الأحداث التي وردت في الآيات ذات الجلال والهيبة والعظمة لهذا الكتاب الكريم، وقيمة

أن يقسم الله تبارك وتعالى بمواقع النجوم على صدق هذا الكتاب، باستخدام المقطع (ص ح ص) بكثرة، لما ذكرته آنفا من صفاته، فيشعر السامع بغلظة القسم وجلاله لصدوره عن رب العالمين، ومن استخدام ذلك المقطع المكون من صامتين بينهما حركة قصيرة، تجعل المتكلم ينتقل من الصامت الأولي إلى الصامت الثاني في عُجالة بعد نطق الصامت الأول، على العكس ما يحدث في المقطع (ص ح ح ص) الذي نجد فيه صامتين بينهما حركة طويلة تعطى فرصة للمتكلم أن ينطق الصامت الأول بإشباع حركة ذلك الصامت الأول، ثم ينتقل إلى الصامت الثاني في هدوء أكثر مما نراه في المقطع الثالث (ص ح ص)، لذلك كان المقطع (ص ح ص) في وسط الآية، وكان المقطع (ص ح ح ص) في نهاية الفاصلة فقط؛ لإمكان إشباع الحركة التي بين الصامتين مع الوقف بتسكين الصامت الأخير من الآية، فيُحْدث ذلك نغما خاصا متكررا في نهاية الآية مع نهاية الفاصلة بالمقطع (ص ح ح ص).

وكذلك توزيع مواضع النبر بين الآيات من نبر متصاعد أو هابط؛ أعطى الإحساس بالشدة والغلظة في مواضع القسم والمقسم به، لبيان جلال كل من المقسم وما يقسم به.

لقد قسمت الجملة إلى عدة آيات قصار، فأوجد ذلك عدة فواصل لهذه الآيات انتهت جميعها بالمقطع (ص ح ح ص) وبحرفي النون والميم، وكان قصر الآيات سببا لتقارب وانتظام الإيقاع المتكرر، ومحدثا هذا النغم الجميل ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الجاثية: ٦].

موضع النبر في الآيات:

الآية الأولى: فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾

فَ/لا/أُقْ/سِ/مُ/بِ/مَ/وا/قِ/عِنْ/نُ/جُوْمْ

ص حَ/ص ح ح/ص حَ ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص حَ ح/ص ح/ص حَ ص/ص ح/ص حَ ح ص.

النبر الأولى: فلا: ف: ص حَ، أقسم: أق: ص حَ ص، بمواقع: وا: ص حَ ح، النجوم: جوم: ص حَ ح ص.   النبر الثانوي: قع النجوم: عِنْ: ص حَ ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {ع النُّ } فغيره إلى (عِنْ) بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص} إلى {عِنْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، ولام التعريف لأنها لام شمسية؛ فاندمج المقطعان معا.

الآية الثانية: وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

وَ / إِنْ / نَ /ـهُ / لَ / قَ / سَ / مُ+نْ / لَوْ/ تَعْ / لَ / مُو/ نَ /عَ / ظِيْمْ

ص ح/ص ح ' ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح '/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح 'ص/ ص ح ' ص/ص ح/ص ح ' ح/ص ح/ص ح/ ص ح ' ح ص.

نبر أولى: وإنَّهُ: إنْ: ص ح 'ص، لقسم: ل: ص ح '، لو: ص ح 'ص، تعلمون: مو: ص ح ' ح، عظيم: ظيم: ص ح 'ح ص. نبر ثانوي: تعلمون: تَعْ: ص ح 'ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على { قَسَمٌ } فغير فيه إلى (قَسَمُنْ) بأن:

أ) حول المقطعِ: {ص ح+ ص ح} إلى{س+مٌ ن: ص ح+ ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ المقطع المفتوح: هكذا { م: ص ح ــ> مٌ نْ: ص ح ص }.

الآية الثالثة: إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾

إِنْ /نَ /ـهُ /لَ / قُرْ /آ /نُ+نْ /كَ /رِيْمْ

ص ح ' ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ' ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ' ح ص.

نبرأولى: إنه: إن: ص ح 'ص، قرآن: قر: ص ح 'ص، كريم: ريم: ص ح 'ح ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على {آ+نٌ} فغير فيه إلى(آ+ نن)بأن:

أ) حول المقطع {آنٌ: ص ح ح + ص ح} إلى{آ+نُ نْ: ص ح ح + ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ المقطع المفتوح: هكذا { نٌ: ص ح ــ> نٌ نْ: ص ح ص }.

الآية الرابعة: فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾

في / كِ / تا / بِ+نْ / مَكْ / نُوْنْ

ص ح ' ح/ص ح/ص ح ' ح/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح ' ح ص.

نبر أولى: في: في: ص ح 'ح ، كتاب: تا: ص ح 'ح مكنون: نون: ص ح 'ح ص.

نبر ثانوي: مكنون : مَكْ : ص ح ʼص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على { تابٍ } فغير فيه إلى(تابِنْ) بأن:

أ) حول المقطع {تاب: ص ح ح+ص ح} إلى{تا+بِ ن: ص ح ح+ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ المقطع المفتوح: هكذا { بِ: ص ح ـ>بِ نْ: ص ح ص }.

الآية الخامسة: لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

لا /ي /مَسْ /سُ /هُ /إِلْ /لَلْ /مُ/طُهْ /هَ /رُوْنْ

ص حٍ ح/ص ح/ص حٍ ص/ص ح/ص ح/ص حٍ ص/ص ح ص/ص ح/ص حٍ ص/ص ح/ص حٍ ح ص.

نبرأولى: لا: ص حٍ ح يمسّه: مس: ص حٍ ص، إلا: إل: ص حٍ ص، المطهرون: رون: ص حٍ ح ص .

نبر ثانوي: المطهرون: طه: ص ح ʼص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {لا اَلْ } فغيره إلى(لَلْ) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح ح+ص ح ص} إلى {لَلْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية، وتقصير الفتحة اللام.

الآية السادسة: تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾

تَنْ /زِي/ لُ+نْ/مِنْ/ رَبْ/ بِلْ/عا/لَ / مِيْنْ.

ص ح ص/ص حٍ ح/ص ح ص/ص حٍ ص/ص حٍ ص/ص ح ص/ص ح ʼح / ص ح/ص حٍ ح ص.

نبرأولى: تنزيل: زي: ص حٍ ح، من: ص حٍ ص، ربِّ: رَبْ: ص حٍ ص، العالمين: مين: ص حٍ ح ص.

نبر ثانوي: العالمين: عا: ص ح ʼح .

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {بِ اَلْ } فغيره إلى(بِلْ) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص} إلى {بِلْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

وقع نبر السياق في الآية على { يلٌ } فغير فيه إلى(لُ+ نْ) بأن:

أ) حول المقطع {ل: ص ح ص} إلى {لُنْ: ص ح ص} بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ المقطع المفتوح: هكذا { لُ: ص ح ـــ<لُ نْ: ص ح ص }.

الآية السابعة: أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾

أَ / فَ /بِ/ها /ذَلْ/حَ/دِي/ثِ/أَنْ/تُمْ/مُدْ/هِ/ نُوْنْ.

ص ح ٰ/ص ح/ص ح/ص ح ٰ ح/ص ح ٰ ص/ص ح/ص ح ٰ ح/ص ح/ص ح/ص ح ٰ ص/ ص ح ص/ص ح ٰ ص/ص ح/ص ح ٰ ح ص.

نبر أولى: أفبهذا: ها: ص ح ٰح ، الحديث: دى: ص ح ٰح ، أنتم: أن: ص ح ٰص، مدهنون: نون: ص ح ٰح ص.

نبر ثانوي: أفبهذا: أ: ص ح ٰ، هذا الحديث: ذَلْ: ص ح ٰ ص، مدهنون: مُدْ: ص ح ٰص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {ذاَ اَلْ } فغيره إلى (ذَلْ) بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح ح + ص ح ص} إلى {ذَلْ: ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية، وتقصير الفتحة

الآية الثامنة: وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

و / تَجْ / عَ / لُو / ن / رِزْ / قَ / كَمْ / أَنْ / نَ / كَمْ / تُ / كَذْ / ذِ / بُوْنْ

ص ح/ص ح ٰ ص/ص ح/ص ح ٰ ح/ص ح/ص ح ٰ ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ٰ ص/ص ح/ص ح ٰ ح ص.

نبر أولى: تجعلون: لو: ص ح ٰح رزقكم: رز: ص ح ٰص، أنكم: أن: ص ح ٰص، تكذبون: بون: ص ح ٰح ص.

نبر ثانوي: تجعلون: تج: ص ح ٰص، تكذبون: كذ: ص ح ٰ ص.

التنغيم:

وقع التنغيم في الآيات في موضع واحد، تكرر في كل الآيات في الموضع نفسه فوقع على المقطع الأخير من الفاصلة، المقطع (ص ح ٰح ص). فكان موضع التنغيم فيهم كالآتي:

الآية الأولى: النجوم (جومْ: ص ح ٰح ص). **الآية الثانية:** عظيم (ظيم: ص ح ٰح

ص). **الآية الثالثة:** كريم (ريم: ص حʼح ص) **الآية الرابعة:** مكنون (نون: ص حʼح ص). **الآية الخامسة:** مطهرون (رون: ص حʼح ص). **الآية السادسة:** العالمين (مين: ص حʼح ص). **الآية السابعة:** مدهنون (نون: ص حʼح ص). **الآية الثامنة:** تكذبون (بون: ص حʼح ص) .هذا التكرار لموضع النبر الأوليِّ في فواصل كل الآيات، مع كونه موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا ليكوِّن لوحة تناغمية متسقة من هذا الإيقاع.

نوع التنغيم: جاء التنغيم في كل آية بصورة مختلفة تناسب معنى كل آية وحدها:

١. الآية الأولى: التنغيم مستوي، لأن المعنى لم يتم فلا ندري ما جواب القسم.
٢. الآية الثانية: التنغيم هابط، لأن الآية إخبار عن صفة هذا القسم.
٣. الآية الثالثة: التنغيم هابط، لأن الآية جواب للقسم الذي في الآية الأولى.
٤. الآية الرابعة: التنغيم هابط، لأنه إخبار بصفة الكتاب الذي فيه القرآن.
٥. الآية الخامسة: التنغيم هابط، لأنه وصف لمن يمس القرآن الكريم.
٦. الآية السادسة: التنغيم هابط، لأن الآية وصف لمنزِّل القرآن سبحانه.
٧. الآية السابعة: التنغيم صاعد، لأن الجملة استفهامية بمعنى استنكار تكذيبه.
٨. الآية الثامنة: التنغيم صاعد، فالآية عطف على السؤال السابق للاستنكار.

المجموعة السادسة عشرة

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الواقعة: ٨٣ – ٨٧

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "قوله تعالى: أفبهذا الحديث يعني القرآن أنتم مدهنون أي: مكذبون... المدهن: الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه شبه بالدهن في سهولة ظاهره. وقال مقاتل بن سليمان وقتادة: مدهنون كافرون، نظيره: ودوا لو تدهن فيدهنون. وقال المؤرج: المدهن: المنافق أو الكافر الذي يلين جانبه ليخفي كفره، والإدهان والمداهنة: التكذيب والكفر والنفاق، وأصله اللين.

وقوله تعالى: وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال ابن عباس: تجعلون شكركم التكذيب. وذكر الهيثم بن عدي: أن من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان؟ أي: ما شكره. وإنما صلح أن يوضع اسم الرزق مكان شكره، لأن شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقا على هذا المعنى. فقيل: وتجعلون رزقكم أي: شكر رزقكم الذي لو وجد منكم لعاد رزقا لكم أنكم تكذبون بالرزق أي: تضعوا الرزق مكان الشكر

قوله تعالى: فلولا إذا بلغت الحلقوم أي: فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم. ولم يتقدم لها ذكر، لأن المعنى معروف.وفي حديث: إن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق، يجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهي بها إلى الحلقوم، فيتوفاها ملك الموت. وأنتم حينئذ تنظرون أمري وسلطاني. وقيل: تنظرون إلى الميت لا تقدرون له على شيء. وقال ابن عباس: يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تخرج...أي: فهل ردوا روح الواحد منهم إذا بلغت الحلقوم. وقيل المعنى: فهلا إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزع وأنتم حضور - أمسكتم روحه في جسده، مع حرصكم على امتداد عمره، وحبكم لبقائه. وهذا رد لقولهم: نموت ونحيا وما يهلكنا إلا

الدهر. وقيل: هو خطاب لمن هو في النزع، أي: إن لم يك ما بك من الله فهلا حفظت على نفسك الروح.

ونحن أقرب إليه منكم أي: بالقدرة والعلم والرؤية. قال عامر بن عبد القيس: ما نظر إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إلي منه. وقيل: أراد ورسلنا الذين يتولون قبضه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون أي: لا ترونهم.

قوله تعالى: فلولا إن كنتم غير مدينين أي: فهلا إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين بأعمالكم، ومنه قوله تعالى: أإنا لمدينون أي: مجزيون محاسبون.... ودانه أي: أذله واستعبده، يقال: دنته فدان، ترجعونها ترجعون الروح إلى الجسد.إن كنتم صادقين أي: ولن ترجعوها فبطل زعمكم أنكم غير مملوكين ولا...مجازها: فلولا وهلا إن كنتم غير مدينين ترجعونها، تردون نفس هذا الميت إلى جسده إذا بلغت الحلقوم[1].

التحليل المقطعي:

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾

فَ / لَوْ / لا / إِ / ذا / بَ / لَ / غَ/ تِلْ / حُلْ / قُوْمْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح ص/ص ح ح ص.

وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾

وَ / أَنْ / تُمْ / حِي / نَ / إِ / ذِ+نْ / تَنْ / ظُ / رُوْن

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح/ص ح ح ص.

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾

وَ / نَحْ /نُ / أَقْ /رَ /بُ / إِ / لِي/هِ / مِنْ / كُمْ/ وَ/ لا/ كِنْ /لا/ تُبْ /صِ /رُوْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٩٧ ـ ٦٤٠٢

فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾

فَ / لَوْ / لا / إِنْ / كُنْ / تُمْ / غَيْ / رَ / مَ / دِي / نِيْنْ

ص ح /ص ح ص /ص ح ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح ح /ص ح ح ص.

تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

تَرْ / جِ / عُو / نَ / ها / إِنْ / كُنْ / تُمْ / صا / دَ / قِيْنْ

ص ح ص /ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح ح /ص ح ص /ص ح ص /ص ح ص / ص ح ح / ص ح /ص ح ح ص.

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة واحد وستون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ - مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر ثلاث وعشرين مرة.

ب - مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر ثلاث وعشرين مرة .

ج - مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر عشر مرات .

د - مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) تكرر خمس مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ - شيوع المقطع القصير المفتوح والمقطع الطويل المغلق، يليهما المقطع الطويل المفتوح ، ثم المقطع المديد المغلق.

ب - ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

٢ - اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ- الآية الأولى: تحول المقطع {غَتْ اَلْ: ص ح ص+ ص ح ص } إلى {غَ تِلْ: ص ح+ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية [سياق الاستعمال]

ب - الآية الثانية: تحول المقطع {نئذٍ: ص ح+ ص ح+ ص ح} إلى {نَئِذِ ن: ص ح+ص ح+ ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

٣ـ إغلاق وفتح بعض مقاطع المجموعة:

أ ـ فتح مقطع مغلق: بالآية الأولى {غَتْ: ص ح ص <غَ تِلْ: ص ح+ص ح ص}

ب ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثانية {ذِ: ص ح <ذ ن: ص ح ص}.

٤ـ التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة كلها في تكوينها المقطعي: فكانت في صورة واحدة وهى الانتهاء بالمقطع {ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة، وكذلك هو موضع النبر الأوليِّ والتنغيم في الآيات. كذلك التوافق التام في عدد مقاطع الآيتين الأخيرتين من المجموعة .

موضع النبر في الآيات:

الآية الأولى: فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾

فَ / لَوْ / لا / إِ / ذا / بَ / لَ / غَ / تِلْ / حُلْ / قُوْمْ.

ص حٌ /ص ح ّص/ص ح ح/ص حٌ /ص ح ح/ص ح ّ/ص ح/ص ح/ص حٌ ص/ ص ح ص/ص ح ّ ح ص.

نبرأولى: فلولا: لو: ص ح ّص، إذا: إ: ص ح ّ، بلغت: ب: ص ح ّ، الحلقوم: قوم: ص ح ّح ص.

نبر ثانوي: فلولا: ف: ص حٌ ، تْ الحلقوم: تِلْ: ص حٌص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {غَتْ اَلْ} فغيره إلى(تِلْ) بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح ص+ ص ح ص} إلى {غ تِلْ: ص ح+ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الثانية: وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾

وَ / أَنْ / تُمْ / حِي / نَ / إِ / ذِ + نْ / تَنْ / ظُ / رُوْن.

ص ح/ص ح ّ ص/ص ح ص/ص ح ّ ح/ص ح/ص ح ّ/ص ح ص/ص حٌ ص/ ص ح/ص ح ّ ح ص.

نبر أولى: وأنتم: أن: ص ح ّص، حين: حي: ص ح ّح ئذٍ: إ: ص ح ّ، تنظرون: رون:

ص حُ ح ص.

نبر ثانوي: تنظرون: تن: ص حُ ص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على { ئذٍ } فغير فيه إلى (إذِ نْ) بأن:

أ) حول المقطع {ئذٍ: ص ح+ ص ح} إلى {إ +ذ ن: ص ح+ ص ح ص}

بإضافة نون التنوين؛ كضرورة للأداء الفعلي عند القراءة القرآنية.

ب) غَلَقَ المقطع المفتوح: هكذا { ذ: ص ح ــ> ذ نْ: ص ح ص }.

الآية الثالثة: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾

وَ / نَحْ /نُ / أَقْ /رَ /بُ / إِ / لِي/هِ / مِنْ / كُمْ/ وَ/ لا/ كِنْ /لا/ تُبْ /صِ /رُوْنْ .

ص ح/ص حُ ص/ص ح/ص حُ ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص حُ ص/ص ح/ ص حُ ص/ص ح ص/ص ح/ص حُ ح/ص ح ص/ص ح ح/ص حُ ص/ص ح/ص حُ ح ص.

نبر أولى: نحن: نح: ص حُ ص، أقرب: أق: ص حُ ص، إليه: لي: ص حُ ص، منكم: من: ص حُ ص، لا: ص حُ ح لكن: لا: ص حُ ح تبصرون: رون: ص حُ ح ص .

نبر ثانوي: تبصرون: تُبْ: ص حُ ص.

الآية الرابعة: فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾

فَ / لَوْ / لا / إِنْ / كُنْ / تُمْ / غَيْ / رَ / مَ / دِي / نِيْنْ.

ص حُ/ص حُ ص/ص ح ح/ص حُ ص/ص حُ ص/ص ح ص/ص حُ ص/ص ح/ص ح/ص حُ ح/ص حُ ح ص.

نبر أولى: فلولا: لو: ص حُ ح إِنْ: ص حُ ص، كنتم: كُنْ: ص حُ ص، غير: غى: ص حُ ص، مدينين: نين: ص حُ ح ص.

نبر ثانوي: فلولا: ف: ص حُ ، مدينين: دِئ: ص حُ ح .

الآية الخامسة: تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾

تَرْ / جِ / عُو / نَ / ها / إِنْ / كُنْ / تُمْ / صا / دَ / قِيْنْ.

ص حُ ص/ص ح/ص حُ ح/ص ح/ص ح ح/ص حُ ص/ص حُ ص/ص ح ص/ص ح ح /

ص حَ ح/ ص ح/ص ح/ص حَ ح ص.

نبر أولى: ترجعونها: عو: ص حَ ح إِنْ: إِنْ: ص حَ ص، كنتم: كن: ص حَ ص، صادقين: قين: ص حَ ح ص.

نبر ثانوي: ترجعونها: تَرْ: ص حَ ص، صادقين: صا: ص حَ ح

لوحة "خروج الروح من الجسد"

تتكون هذه المجموعة من خمس آيات، في تركيب متكامل، حيث تصور الآية الأولى لحظة خروج الروح من الجسد كفكرة واحدة مستقلة في آية واحدة، فيبدو الترابط بينها وبين الآيات التالية من خلال الامتداد الواضح لهذه الفكرة في تلك الآيات بإلقاء الضوء على أجزاء الحدث والأفراد الذين في الوسط المحيط بتلك الروح الخارجة من الجسد، ثم بيان العلاقة بين الروح وخالقها، وهى علاقة تفوق علاقتكم أنتم بصاحب الروح، فلو أنكم بما تدَّعون من علاقة قرابة به، وحب له؛ قادرون على إرجاعها فعليكم أن إرجاعها إلى ذلك الجسد الذي ستخرج منه الآن، إن كنتم صادقين في حبكم، أو كنتم صادقين في قدرتكم.

هذا الحدث يستلزم طريقة معينة في الأداء الصوتي عند القراءة لإظهار هذا الترابط، فعندما يقول الحق تبارك وتعالى: فلولا إذا بلغت الحلقوم، يستلزم وقفة لاستحضار هذه اللحظة بكل جوانبها، فنجد هذا الجو من الرهبة قد استحضره القارئ من خلال المقطع الأخير في الفاصلة، بإشباع ذلك الضم المتمثل في الواو (وهي الصوت الضيق) قبل الوقف على الميم، بل إن النفس يمتد من الجوف مع الواو ليصل إلى الشفتين اللتين تحبساه، فيتسرب من الأنف مع الميم، فيحدث هذا الصوت الرخيم مكونا الميم، ثم تأتي الآية الثانية (وأنتم حينئذ تنظرون) لتنتقل إلى أحد أجزاء اللوحة، وهم الحضور حول الميت، وما بهم من سكينة وخشوع وعجز عن أن يفعلوا له شيئا. وكأنه ردٌّ على الحدث الأول، وهو استعداد الروح للخروج تقابله حالة الصمت من المحيطين به، ولهذا تتساوى الآيتان في عدد المقاطع وفي نوع المقطع الأخير، ولكن الوقف هنا كان على النون وليس على الميم، فالهواء الممتد هنا من الجوف إلى الفم لن يتوقف عند الشفتين كما في الميم، بل قبلهما عند اللثَّة، فالنون صوت لثوي، أما في الحالة الأولى (حالة الميم) يكون امتداد الهواء

أطول لتوقفه عند مصدة أبعد مما في النون؛ وهى الشفتان، أما النون فالمصدة التي تحول الهواء للأنف فيه أقصر فهو يُصدُّ عند اللثة، وليس عند الشفتين، ثم يخرج الهواء بالكيفية السابقة نفسها التي في الميم، لينتهي النفس الخارج عند الأنف أيضا، ليصبح الصوتان كأنهما شيء واحد، فامتداد الهواء في المقطعين (قوم/ رون) من الداخل مع الواو الأولى والواو الثانية حدث بالصورة نفسها، ثم التوقف عند الشفتين واللثة، ثم الانتهاء بخروج الهواء من الأنف في مقطعين، كل هذا جعل لهما نغما وإيقاعا متشابها متقاربا وصوتا رخيما (صوت الغنة)، وكان هذا الانتقال من الميم إلى النون لكي يقطع القول بأن القرآن شعر؛ قافيته هنا (الميم) فيسرع بالانتقال من الميم إلى أختها النون.

إلى جانب ذلك فإن أعداد المقاطع في الآيتين متطابق تماما، فتساوت كمية الهواء الخارجة مع ذلك العدد المتطابق من المقاطع، فظهرت في شكل دفقات هوائية واحدة، تخرج من صدر القارئ في ترتيب واحد متساوٍ.

ثم تأتي الآية الثالثة لتصور جانبا آخر من اللوحة، وهو مكان الحق تبارك وتعالى من الحدث؛ متمثلا في ملك الموت، ولكن في وقفة متأنية تستدعي فصل ما قبلها عمَّا بعدها؛ ليكون هذا الحدث في آية مستقلة تناسب جلال الله تبارك وتعالى، ولهذا جاء في آية مستقلة مختلفة في عدد مقاطعها وبنائها الصوتي مع المحافظة على انتهاء الفاصلة كسائر فواصل المجموعة بالمقطع(ص ح ح ص) فقد قُسِّمتْ هذه الآية إلى جملتين الأولى: (ونحن أقرب إليه منكم) والثاني (ولكن لا تبصرون)، مما يجعل الآية تحوي فكرتين مختلفتين، ومصورة لحالتين مستقلتين، ولكنهما مرتبطان بالحدث الأصلي وهو لحظة خروج الروح، الحالة الأولى: مكان الحق سبحانه (متمثلا في ملك الموت) أثناء الحدث، وهى حالة قربه من الميت، والحالة الثانية: حالة أهله في عدم إدراكهم لما يحدث حولهم، على الرغم من وجودهم داخل اللوحة ضمن أجزاء الحدث، مما يستدعي سكتة خفيفة عند نهاية الجملة الأولى، لإعطاء الإحساس بالفصل بين الحالتين، لتأتي بعدها الجملة الثانية ردا على سؤال تفرضه الجملة الأولى، أين صاحب هذه الروح ومالكها وخالقها هنا؟ فيكون رده سبحانه عليهم (ولكن لا تبصرون)، فالعيب في

أبصاركم أنتم، تلك الأبصار القاصرة العاجزة عن أن ترى ببصيرة ما يحدث حولها، فكان المقطع الأخير من كلمة منكم (كُمْ) إظهارا وتأكيدا لإسناد العجز إليهم دون غيرهم، فليس العجز في وضوح صورة الحدث، ولكنه في قدرة تلك الأبصار المحيطة بالحدث على رؤية مَا يحدث.

ويتضح هذا المعنى المذكور من خلال نوع المقطع وموضع النبر في الآية، كما يلي:

١- استعانت الآية بالمقطع (ص ح ص)وجعلته موضع النبر في كلمة نحن (نح) لإظهار عظمة اللّٰه خالق هذه الروح وصاحب الحق في أن يسلبها من الجسد التي تسكن فيه في الوقت الذي قدره لها سبحانه.

٢- تكرار المقطع (ص ح ص) مع النبر عليه في كلمة واحدة مكونة من مقطعين من نوع واحد (مِنْكُمْ: من/كُمْ) وجّه الخطاب إليهم ، هم وحدهم، بـ(كُمْ)؛ لبيان قرب اللّٰه من الميت أكثر منكم أنتم.

٣- وجود النبر على المقطع (ص ح ص) في كلمة (ولكن: لا) أعطى معنى الاستدراك على الحدث؛ ليكون جوابا على سؤال سوف يطرحه السامع عن سبب عدم ظهور الحق في اللوحة، فكان الجواب هو بيان علة الاختفاء، وهي عدم قدرتهم هم على رؤية الحدث، على الرغم من وجود الحق في الصورة.

٤. ثم يأتي المقطع (ص ح ح ص) في نهاية الفاصلة، بما فيه من نبر وحركة طويلة ليرسخ المعنى المطلوب وهو عجزهم عن الرؤية بقوله: لا تبصرون، فالقارئ الذي سيشبع الواو التي في هذا المقطع سيكون ذلك بمثابة وقفة طويلة عند هذه الكلمة التي تبين موضع الخلل في رؤية الحدث، فتظهر بذلك كل هذه المعاني.

٥. ثم تأتي الآيتان الأخيرتان في المجموعة في شكل جملة شرطية مقسومة على آيتين متساويتين تماما في عدد مقاطعهما، وفي حروف الفاصلة، ويوضح البناء النحوي مدى الترابط بين الآيتين، فالآية الأولى بها أداة الشرط وفعل الشرط، والثانية هي جواب الشرط، فعندما يقف القارئ عند نهاية الآية الأولى للتزود بالنفس، ولأن الوقوف على نهاية الآية سنة، يترك الفرصة للسامع للتفكير

في جواب الشرط، كيف يكون؟ فتأتي الآية الثانية لتوضح الجواب المطلوب، وهو أنكم عليكم إرجاع الروح للجسد فقط، هذا إن كنتم صادقين، وهو شرط آخر يضيف عجزا جديدا إلى عجزهم السابق عن رؤية الحدث، وقد تأكَّد لهم إتمام عملية الموت، فقد خرجت الروح، والمطلوب منهم المشاركة في الحدث؛ بإرجاع الروح إلى الجسد الراقد أمامهم، ولكن هيهات هيهات!!!.

توزيع النبرين:

تعاون النبر الثانوي والنبر الأولي في بناء المعنى وذلك بحسن توزيعهما نحو:

الآية الأولى: جاء النبران على مقطعين متتاليين في أول كلمة (فلولا) لإظهار معنى الشرط الذي في الآية، مع معنى الرجاء في أن يتدبروا هم هذه اللحظة، وفي كلمة الحلقوم نبران (تل/ قوم) لبيان المنطقة التي وصلت إليها الروح وهى الحلقوم تلك المنطقة التي لا ينفع معها أمل ولا رجاء في عودتها (طريق اللاعودة) فأكد عليها بنبرين لإبرازها؛ ليلتفت إليها السامع.

الآية الثانية والثالثة: كان النبران على كلمتي الفاصلة في الآيتين (تنظرون، تبصرون) واحدا ، فقد اتفقت الكلمتان في أشياء كثيرة منها:

١- الوزن " تفعلون".

٢ - المقطع الأخير في حروفه ونوعه وموقعه "رون/رون "مما أدى إلى إحداث إيقاع متماثل؛ كون تكاملا مع معنى: (تنظرون، تبصرون) في الدلالة على عجزهم عن الرؤية بالبصيرة (لا تبصرون) على الرغم من رؤيتهم بالعين المبصرة (تنظرون) الدال على حقيقة الرؤية؛ فهم ينظرون فعلا؛ ولكن لا يبصرون بالبصيرة لأنهم لا بصيرة لديهم لرؤية الغيب وهو ماغاب عنهم.

٣- بيان الفرق بين البصر والبصيرة في الدلالة على الرؤية، فالأولى كانت لديهم لنظرهم بالعين، والثانية ليست لديهم، لأنها الروية بالقلب.

٤- موضع النبر الأولى والثانوي على المقطع الأول والأخير فيهما: (تنظرون: تن/ رون) (تبصرون: تب/ رون) أوجد إيقاعا منتظما ومتكررا بالفاصلتين.

٥- إسناد الفعلين(تبصرون، تنظرون) لفاعل واحد؛ فتنتهي الفاصلة بواو ونون.

وعلى الرغم من هذا الاتفاق بين كلمتي الفاصلة فإن حقيقة المعنى ومقصده مختلف فيهما. فكلمة تنظرون يُقْصد بها حقيقة النظر الذي يعرفه البشر، ثم جاء الفعل الثاني تبصرون، وهو نفى الحدث الذي سبق إثباته؛ لأن المقصود من الفعلين مختلف، فالله سبحانه يؤكد أنهم ينظرون بأعينهم على هذا الميت، لكنهم لا يبصرون ما يحدث من أمور غيبية تغيب عن أعين الناظرين، فهم في حاجة إلى قدرة أكبر، وهى البصيرة التي هي درجة أعلي في الرؤية، يعطيها الله لمن يشاء من عباده ويصطفى، ولهذا لا يوجد تناقض بين المعنيين في الفعلين؛ فكلاهما يعنى الرؤية، ولكن هناك درجات في تلك الرؤية، فالأولى عندهم وهى النظر، والثانية ليست لديهم وهى البصيرة.

الآية الرابعة والخامسة: جاء النبران في هاتين الآيتين في صورة متوازية تجعل الإيقاع فيهما متماثلا متقابلا؛ ولنحاول وضع هذا في جدول يبين تقابلهما:

رقم الآية	الكلمة التي في أول الآية	الكلمة التي في آخر الآية
الأولى: (٨٦)	فلولا: ثانوي: ف، أوليٌّ: لو	مدينين: ثانوي: مد، أوليٌّ: نين
الثانية: (٨٧)	ترجعونها: ثانوي: تر، أوليٌّ: عو	صادقين: ثانوي: صا، أوليٌّ: قين

لننظر إلى هذا التوازن في موقع النبرين مما يحدث تساوٍ في حركة القفص الصدري مع النفس الخارج فيهم بصورة متكررة؛ ليكون إيقاعا منتظما، فكان النبران في الفاصلتين علي المقطع الأخير، وكان النبر الثانوي قبل النبر الأوليِّ وبينهما مقطع واحد (مدهنين: مد/ نين، صادقين: صا/قين) وكذا كلمة (ترجعونها: تر/عو) حيث النبر الثانوي في أول الكلمة يليه مقطع ثم النبر الأوليِّ الذي يقع على المقطع قبل الأخير لأن الكلمة لم تكن فاصلة، أما (فلولا) فنظرا لقصرها؛ فتوالي النبران عليها دون فاصل، بضغطتين لتظهرا شدة الرجاء والأمل فيهم.

المعاني الإضافية: تعاون النبران معا لإعطاء الآيتين معان جديدة، منها:

١. توجيه الخطاب لهم وحدهم في هذين النبرين (نين، قين).
٢. الرجاء في شيء لن يحدث "عودة الروح" من خلال كلمة الشرط (فلولا).
٣. التأكيد على الطالب الذي يرجوه منهم؛ وهو إرجاع الروح بالضغط على كلمة (ترجعونها) بنبرين (تر/عو).

٤. النبر الأوليِّ على المقطع (إِنْ) والمقطع الذي يليه (كُنْ) في "إِنْ كُنْتُمْ" مرتين متتاليتين في مقطع من نوع واحد(ص ح ص) وقد تكرر مرتين في الآيتين، أفاد الشك في قدرتهم على فعل أي شيء، والشك في صدقهم فيهم.

التنغيم:

وقع التنغيم في الآيات في موضع واحد، تكرر في كل الآيات في الموضع نفسه؛ فوقع على المقطع الأخير من الفاصلة، وهو المقطع (ص ح'ح ص). فكان موضع التنغيم في الآيات كالآتي:

في الأولى: الحلقوم (قوم: ص ح'ح ص). في الثانية: تنظرون (رون: ص ح'ح ص). في الثالثة: تبصرون (رون: ص ح'ح ص). في الرابعة: مدينين (نين: ص ح'ح ص). في الخامسة: صادقين (قين: ص ح'ح ص).

هذا مع تكرار لموضع النبر الأولي في فواصل كل الآيات، مع كونه موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا.

نوع التنغيم:

جاء التنغيم مرتبطا بمعنى كل آية لأنه عرض حالة الموت في صورة حوار:

الآية الأولي: التنغيم مستوي لأن المعنى لم يتم، فالآية فعل الشرط ينتظر جوابه.

الآية الثانية: التنغيم هابط، لأن الآية جملة إخبارية لوصف حالهم لحظة الموت.

الآية الثالثة: التنغيم هابط، لأنها إخبار عن حال الحق لحظة الموت وقربه منه.

الآية الرابعة: التنغيم مستوي، لأنها جملة شرطية جديدة تنتظر جوابا للشرط.

الآية الخامسة: التنغيم هابط، لأنها جواب شرطين سابقين وشرط ثالث بآخرها.

هذا التنغيم بأنواعه المختلفة حمَّل الآيات معان إضافية منها:

١. تنغيم (حلقوم) أضاف معنى اليأس من عودة الروح للجسد (منطقة اللاعودة).
٢. تنغيم (تنظرون) أكَّد على حقيقة رؤيتهم العينية الفعلية لحالة خروج الروح.
٣. تنغيم (تبصرون) بيَّن أصل المشكلة، إنه الفرق بين نظرهم ومعنى البصيرة.
٤. تنغيم (مدينين) مع كونها فعل الشرط شكك في صدق أنهم غير مجازين .
٥. تنغيم (صادقين) أضاف معنى الشك في صدقهم وقدرتهم على إرجاع الروح

المجموعة السابعة عشرة

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

أولا: من أقوال المفسرين

قال القرطبي: "قوله تعالى: فأما إن كان من المقربين ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث، وبيَّن درجاتهم فقال: فأما إن كان هذا المتوفى من المقربين وهم السابقون. فروح وريحان وجنة نعيم... ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا. قال الحسن: الروح: الرحمة. الضحاك: الروح: الاستراحة. القتبي: المعنى: له في القبر طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الروح: النظر إلى وجه الله، والريحان: الاستماع لكلامه ووحيه، وجنة نعيم: هو ألا يحجب فيها عن الله عز وجل... قال الحسن: الروح: الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم... ومعناه: فبقاء له وحياة في الجنة، وهذا هو الرحمة. قوله تعالى: وأما إن كان من أصحاب اليمين أي: إن كان هذا المتوفى من أصحاب اليمين، ...فسلام لك من أصحاب اليمين أي: لست ترى منهم إلا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم، فإنهم يسلمون من عذاب الله. وقيل: المعنى: سلام لك منهم، أي: أنت سالم من الاغتمام لهم. والمعنى واحد. وقيل: أي: إن أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلي الله عليك ويسلم. وقيل: المعنى أنهم يسلمون عليك يا محمد. وقيل: معناه سلمت أيها العبد مما تكره فإنك من أصحاب اليمين، فحذف " إنك ". وقيل: إنه يحيا بالسلام إكراما، فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل؛ أحدها: عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت؛...الثاني: عند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير، الثالث: عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها. قلت: وقد يحتمل أن تسلم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك إكراما بعد إكرام، والله أعلم... قوله تعالى: وأما إن كان من المكذبين بالبعث الضالين عن الهدى وطريق الحق، فنزل من حميم أي: فلهم رزق من حميم، كما قال: ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون... إن

هذا لهو حق اليقين أي: هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه. وجاز إضافة الحق إلى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما. قال المبرد: هو كقولك: عين اليقين ومحض اليقين، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين. وعند البصريين حق الأمر اليقين أو الخبر اليقين. وقيل: هو توكيد.... فسبح باسم ربك العظيم أي: نزه الله تعالى عن السوء. والباء زائدة أي: سبح اسم ربك، والاسم: المسمى. وقيل: فسبح أي: فصل بذكر ربك وبأمره. وقيل: فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه. وعن عقبة بن عامر قال: لما نزلت: فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم: اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال النبي صلى الله عليه وسلم: اجعلوها في سجودكم خرجه أبو داود. والله أعلم.[1]

ثانيا: التحليل المقطعي:

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾

فَ/ أَمْ / مَا / إِنْ / كا / نَ / مِ/ نَلْ / مُ / قَرْ / رَ / بِيْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾

فَ /رَوْ/حُ+نْ/و /رَيْ/حا/ نُ+نْ/و /جَنْ/ نَ/ـتُ / نَ/عِيْمْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح ص

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾

وَ/ أَمْ/ ما/إِنْ/ كا/ نَ /مِنْ /أَصْ/ حا / بِلْ / ي/ مِيْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٤٠٢ ـ ٦٤٠٥

فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾

فَ /سَ /لا / مُ+نْ/ ل/ ك/مِنْ/أَصْ/حا/ بِلْ / ي/ مِيْنْ

ص ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾

وَ /أَمْ / ما / إَنْ / كا / نَ / مِ / نِلْ / مُ / كَذْ / ذِ / بِيْ / نَضْ / ضالْ / لِيْنْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح ص/ص ح ح ص.

فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾

فَ / نُ / زُ / لُ+نْ / مِنْ / حَ/ مِيْمْ

ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾

وَ / تَصْ / لِ / يَ /ـةُ / جَ / حِيْمْ

ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح ص.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾

إِنْ / نَ / ها / ذا / ل /ـه / و / حَقْ /قُلْ/ ي / قِيْنْ

ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

فَ / سَبْ / بِحْ / بِسْ / مِ / رَبْ/ بِ / كَلْ / ع / ظِيْمْ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص /ص ح/ص ح ح ص.

أهم الخصائص المقطعية للمجموعة:

١. شيوع بعض المقاطع في المجموعة:

جاء في المجموعة تسعة وتسعون مقطعا من أربعة أنواع هي:

أ ـ مقطع قصير مفتوح (ص ح) تكرر اثنتين وأربعين مرة.

ب ـ مقطع طويل مغلق (ص ح ص) تكرر أربع وثلاثين مرة .

ج ـ مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) تكرر ثلاث عشرة مرة .

د ـ مقطع مديد مغلق (ص ح ح ص) عشر مرات.

هذا البيان الإحصائي يوضح:

أ ـ شيوع المقطع القصير المفتوح، يليه المقطع الطويل المغلق، ثم المقطع الطويل المفتوح ، ثم المديد المغلق.

ب ـ ولا نجد بالمجموعة المقطع الزائد في الطول.

٢ ـ اندماج التراكيب المقطعية في قراءة الشيخين:

أ ـ الآية الأولى: تحول المقطع {من اَلْ: ص ح ص + ص ح ص } إلى {مِ نَلْ: ص ح+ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل وبقاء اللام القمرية [سياق الاستعمال]

ب ـ الآية الثانية: تحول المقطع {روح: ص ح ص+ ص ح} إلى {رَوْحُنْ: ص ح ص + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

وكذلك تحول المقطع {حان: ص ح ح + ص ح} إلى {حان ُنْ: ص ح ص + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

ج ـ الآية الثالثة: تحول المقطع {بِ اَلْ: ص ح+ص ح ص} إلى {بِلْ: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية. وكذا بالآية الرابعة

[سياق الاستعمال]

د ـ الآية الخامسة: تحول المقطع {مِنْ اَلْ: ص ح ص+ص ح ص } إلى {مِ نَلْ: ص ح+ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل.وبقاء اللام القمرية [سياق الاستعمال]

وكذلك تحول المقطع {ن اَلْض: ص ح + ص ح ص+ص ح} إلى {نض: ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل واللام الشمسية معا. [سياق الاستعمال]

هـ ـ الآية السادسة: تحول المقطع {زُلُ: ص ح+ ص ح} إلى {زُلُ نْ: ص ح + ص ح ص} بإضافة صوت جديد نتيجة للتنوين. [سياق الاستعمال]

و. الآية الثامنة: تحول المقطع {قُ اَلْ: ص ح +ص ح ص } إلى {قُلْ: ص ح ص } بإسقاط همزة الوصل. وبقاء اللام القمرية. [سياق الاستعمال]

ز ـ الآية التاسعة: تحول المقطع {كَ اَلْ: ص ح +ص ح ص } إلى {كَلْ: ص ح ص } بإسقاط همزة الوصل. وبقاء اللام القمرية . [سياق الاستعمال]

٣ ـ إغلاق وفتح بعض مقاطع المجموعة:

أ ـ فتح مقطع مغلق: بالآية الأولى {مِنْ: ص ح ص >م نَلْ: ص ح+ص ح ص}

ب ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثانية {حٌ: ص ح > حُ نْ: ص ح ص }.

ج ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثانية {نٌ: ص ح > نُ نْ: ص ح ص }.

د ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثالثة {بِ: ص ح > بِلْ: ص ح ص }.

هـ ـ فتح مقطع مغلق: كما بالآية الخامسة {مِنْ: ص ح ص> م: ص ح}

و. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الخامسة {نَ: ص ح > نَضْ: ص ح ص}

ز. غلق مقطع مفتوح: كما في الآية السادسة {لٌ: ص ح > لُ نْ: ص ح ص }.

ح ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية الثامنة { قٌ: ص ح > قُلْ: ص ح ص }.

ى ـ غلق مقطع مفتوح: كما في الآية التاسعة {كٌ: ص ح >كلْ: ص ح ص }.

٤ ـ التكوين المقطعي للفاصلة:

جاء الانسجام الصوتي من اتفاق فواصل المجموعة كلها في تكوينها المقطعي: فكانت في صورة واحدة وهى الانتهاء بالمقطع {ص ح ح ص} مما يؤدى إلى توافق في الدفقات الهوائية الخارجة مع نهاية كل آية عند الفاصلة. كذلك التوافق التام في عدد مقاطع الآيتين الأخيرتين من المجموعة .

موضع النبر الأوليّ والثانويّ في الآيات:

الآية الأولى: فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾

فَـ/أَمْ /مَا /إِنْ /كا/ نَ/ مِ/نَلْ/مُ /قَرْ / رَ / بِيْنْ

ص ح/ص ح، ص/ص ح ح/ص ح، ص/ص ح، ح/ص ح/ص ح/ص ح، ص/ ص

ح/ص ح ْ ص/ص ح/ص ح ً ح ص

نبر أولى: فأمّا: أم: ص ح ْص، إن: ص ح ْص، كان: كا: ص ح ْح، نَ اَلْ: نَلْ: ص ح ْص، المقربين: بين: ص ح ْح ص. نبر ثانوي: المقربين: قر: ص ح ْص.

الآية الثانية: فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾

فَ / رَوْ / حُ+نْ / و / رَيْ / حا / نُ+نْ / و / جَنْ / نَ /ـةُ / نَ/عِيْمْ

ص ح/ص ح ْ ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ْ ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ ص ح ْ ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ْ ح ص.

نبر أولى: فروح: رو: ص ح ْص، وريحان: حا: ص ح ْح جنَّة: جَنْ: ص ح ْص، نعيم: عيم: ص ح ْح ص.

الآية الثالثة: وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾

وَ/أَمْ/ ما/إِنْ/كا/ نَ /مِنْ /أَصْ/حا/بِلْ/ ي/ مِيْنْ.

ص ح/ص ح ْ ص/ص ح ح/ص ح ْ ص/ص ح ْ ح/ص ح ْ ص/ص ح ْ ص/ص ح ْ ح/ص ح ْ ص/ص ح/ص ح ْ ح ص.

نبر أولى: أمّا: أَمْ: ص ح ْص، إن: ص ح ْص، كان: كا: ص ح ْح، من: ص ح ْ ص، أصحاب: حا: ص ح ْح ، اليمين: مين: ص ح ْحص.

نبر ثانوي: أصحاب: أص: ص ح ْص، أصحاب اليمين: بِلْ: ص ح ْص.

الآية الرابعة: فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾

فَ/سَ/لا/مُ+نْ/ل/ك/مِنْ/أَصْ/حا/بِلْ/ي/ مِيْنْ.

ص ح/ص ح/ ص ح ْ ح/ص ح ص/ص ح ْ/ص ح/ص ح ْص/ص ح ْص/ص ح ْ ح/ص ح ْ ص/ص ح/ص ح ْ ح ص.

نبر أولى: فسلام: لا: ص ح ْح ، لك: ل: ص ح ْ ، من: ص ح ْص، أصحاب: حا: ص ح ْح ، اليمين: مين: ص ح ْح ص.

نبر ثانوي: أصحاب: أص: ص ح ْص، أصحاب اليمين: بِلْ: ص ح ْص.

الآية الخامسة: وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾

وَ /أَمْ /ما /إِنْ /كا /نَ /مِ /نِلْ /مُ /كَذْ /ذِ /بِيْ /نَضْ /ضالْ / لِيْنْ.

ص ح/ص ح ْص/ص ح ح/ص ح ْ ص/ص ح ْ ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ ص

ح/ص ح ’ص/ص ح/ص ح ‘ ح/ص ح ص/ص ح ’ ح ص/ص ح ‘ ح ص.
نبر أولى: أمّا: أَمْ: ص ح ‘ص، إن: ص ح ‘ص، كان: كا: ص ح ‘ح، مِنْ اَلْ: نَلْ: ص ح ‘ ص، المكذبين: بِيْ: ص ح ‘ح ، الضالين: لين: ص ح ‘ح ص.
نبر ثانوي: المكذبين: كذ: ص ح ’ص، الضالين: ضال: ص ح ’ح ص.

الآية السادسة: فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾

فَ / نُ / زُ / لُ+نْ / مِنْ / حَ/ مِيْمْ
ص ح ‘/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ‘ ص/ص ح/ص ح ‘ ح ص.
نبرأولى: فنزل: ف: ص ح ‘ ،من: ص ح ‘ص، حميم: ميم: ص ح ‘ح ص.

الآية السابعة: وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾

وَ / تَصْ / لِ / يَ /ةُ / جَ / حِيْمْ
ص ح/ص ح ص/ص ح ‘/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ‘ ح ص.
نبر أولى: وتصلية: ل: ص ح ‘ ، جحيم: حيم: ص ح ‘ح ص.

الآية الثامنة: إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾

إِنْ/نَ/ها/ذا/ل/ـه/و/حَقْ /قُلْ/ ي / قِيْنْ
ص ح ‘ص/ص ح/ص ح ‘ح/ص ح ح /ص ح ‘/ص ح/ص ح/ص ح ‘ص/ص ح ’ ص/ص ح/ص ح ‘ ح ص.
نبرأولى: إن: ص ح ‘ص، هذا: ها: ص ح ‘ ح، لهو: ل: ص ح ‘ ،حقّ: حَقْ: ص ح ‘ص ، اليقين: قين: ص ح ‘ح ص.
نبر ثانوي: ق اليقين: قُلْ: ص ح ’ص.

الآية التاسعة: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

فَ/سَبْ/بِحْ/بِسْ/مِ/رَبْ/بِ/كَلْ/ع/ظِيْمْ ص ح/ص ح ‘ ص/ص ح ص/ص ح ‘ ص/ص ح/ص ح ‘ ص/ص ح/ص ح ’ ص /ص ح/ص ح ‘ ح ص
نبرأولى: فسبح: سب: ص ح ‘ص، باسم: بس: ص ح ‘ص، ربك: رَبْ: ص ح ‘ص، العظيم: ظيم: ص ح ‘ح ص.
نبر ثانوي: كَ العظيم: كَلْ: ص ح ’ص

التعاون بين المعنى والصوت في تصوير "يوم الجزاء"

جاءت هذه اللوحة لبيان جزاء الناس يوم القيامة، وأقسامهم عند الله، فصورت الآيات ذلك المشهد العظيم، وهو مشهد الجزاء على العمل، وما يرافقه من توتر لدى المنتظرين لتلك النتيجة هل سيكونون في الجنة أم في النار؟

يأتي بناء هذه الآيات من حيث عدد المقاطع، ونوع المقطع الأخير في الفاصلة في هذا الشكل:

١- الآية الأولى بها: ١٢مقطعا، والفاصلة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص)(بين).

٢- الآية الثانية بها: ١٤مقطعا، والفاصلة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص)(عيم).

٣- الآية الثالثة بها: ١٢ مقطعا، والفاصلة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص)(مين).

٤- الآية الرابعة بها: ١٢مقطعا، والفاصلة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص)(مين).

٥- الآية الخامسة بها: ١٥مقطعا،والفاصلة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص)(لين).

٦- الآية السادسة بها: ٧ مقاطع، والفاصلة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص)(ميم).

٧- الآية السابعة بها: ٧مقاطع، والفاصلة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص)(حيم).

٨- الآية الثامنة بها: ١١مقطعا، والفاصلة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص)(قين).

٩- الآية التاسعة بها: ١٠مقطعا،والفاصلة تنتهي بالمقطع(ص ح ح ص)(ظيم).

بهذا الشكل كان البناء المقطعي للآيات، فكل آيتين متقابلتان ومتساويتان، وكأنها مقطوعة من الأبيات، وذلك باستبدال التفعيلات بالمقاطع الصوتية، واستبدال القافية الواحدة بالمقطع (ص ح ح ص) الذي ساد فواصل هذه المجموعة وما قبلها، مما كوَّن في الآيات إيقاعا متساويا ومنتظما من خلال هذا التناسق العجيب في المقاطع، ويأتي سر هذا البناء المقطعي من ارتباطه بالمعنى، فتأتي كل آية مساوية، ومطابقة مقطعيا للآية التي ترتبط بها دلاليا، فقد أشارت الآيات في شكل موجز لحالة الناس جميعا يوم القيامة، وانقسامهم إلى ثلاثة أقسام، فجاءت كل آيتين متتاليتين لتبينان صنفا من الناس، ومكانته في الآية الثانية، فكان هناك ارتباط فكري بين كل آيتين متتاليتين، وكذلك الارتباط الصوتي، فتكون الأولى صوتا، وتكون الثانية هي الصدى الصوتي لهذه الآية،

وصدى الصوت يماثل الصوت، لذا وافقه في عدد المقاطع ونوع المقطع الأخير في الفاصلة، والحرفيين الأخيرين في الفاصلة، كل هذا كوّن نغما يشبه نغم الآية الأولى، كما أن المعنى لا يكتمل بالآية الأولى وحدها، بل لابد من الآية الثانية، لأن التركيب المقطعي وموضع النبر في الآية الأولى ربطها بشدة بالآية الثانية.

أقسام الناس يوم القيامة والمقابلة الصوتية بين آيات كل قسم:

القسم الأول: المقربون ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

القسم الثاني: أصحاب اليمين ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾

القسم الثالث: المكذبون ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾

القسم الأول: لو نظرنا إلى الآية الأولى من القسم الأول نجد النبر فيها وقع على المقطع (ص ح ص) في أمَّا (أَمْ) ثم يذكر اسم أصحاب هذا القسم، فتشتاق النفس إلى سماع الحكم عليهم ومكانتهم في ذلك اليوم، فتجده في الآية الثانية من هذا القسم، معه صدى إيقاع الآية الأولى الذي يظهر في عدد المقاطع المتقارب في الآيتين(١٢ ـ ١٤) كذا نهاية الفاصلة فيهما بالمقطع (ص ح ح ص)، وأيضا الترابط النحوي الذي بينهما، فالآية الأولى فعل الشرط والثانية جواب الشرط.

القسم الثاني: نجد هذا التوافق الصوتي يتكرر مع الآيتين الثالثة والرابعة، فموضع النبر يتكرر مع تكرار كلمة (أمَّا)، والنهاية المقطعية للفاصلة فيهما واحد وهو المقطع (ص ح ح ص)، بل إن الكلمتين الأخرتين بالآيتين واحد (أصحاب اليمين)، وعدد المقاطع في الآيتين واحد (١٢)، و بينهما أيضا ترابط نحوي، حيث الآية الأولى فعل الشرط (وأمَّا إن كان) والثانية جواب الشرط، ولكن في صورة مختلفة عن جواب الشرط السابق الذي وصف نعيم المقربين: (روح وريحان وجنت نعيم) أما مع أصحاب اليمين؛ فالوضع مختلف، فوصف حالهم وما هم فيه من النعيم كان عبارة عن تحية يرسلونها لنبيهم قائلين: يا نبيَّ الله إننا في نعيم عظيم لا نستطيع أن نصفه إلا بقولنا لك (سلام لك منَّا على ما وضعتنا فيه من نعيم نعجز أن نصفه) فأوجزوا القول له، فكانت تلك العبارة

(سلام لك) أبلغ في الإخبار عن نعيمهم من وصفه؛ وإن جاء في كتب الدنيا كلها. مما يجعل السامع يتخيل هذا النعيم ويشتاق له وإن لم يذكره سبحانه .

القسم الثالث: (المكذبون الضالون) أما عند حديثه عن المشركين فالوضع مختلف أيضا، حيث جاء التعبير عنهم بصورة مختلفة في ثلاث آيات: آية تشير إليهم، وآيتان تشيران إلى مكانتهم في النار، في مقابل آية واحدة لكل جماعة من أصحاب النعيم، ولكن آيات أصحاب النعيم أكبر في عدد مقاطعها، لأن هنا مقام التطويل والتفصيل ومتعة الوصف للنعيم، وهو محبب إلى النفس البشرية، أما أصحاب النار لا يستحب الوقوف عندهم، فقد جاءت الآيتان اللتان تصوران مكانهم وعقابهم قصيرتين سريعتين، مع تطابق تام بينهما في عدد مقاطعهما (٧)، ونهاية فاصلتهما بالمقطع (ص ح ح ص) مع نهايتهما بياء وميم.

نهاية السورة: وتنتهي السورة بالآيتين الأخيرتين في نسق واحد وتقارب في عدد مقاطعهما (١١- ١٠)، فكانت الأولى تشير إلى أن هذا حق لا جدال في، وكانت الثانية أمر من الله إلى نبيه (صلى الله عليه وسلم) أن يسبح باسم الله العظيم.

التنغيم:

وقع التنغيم في الآيات في موضع واحد، تكرر في كل الآيات في الموضع نفسه؛ فوقع على المقطع الأخير من الفاصلة، وهو المقطع (ص حʻح ص). فكان موضع التنغيم في الآيات كالآتي:

الأية الأولى: المقربين (بينْ: ص حʻح ص).

الآية الثانية: نعيم (عيم: ص حʻح ص).

الآية الثالثة: اليمين (مين: ص حʻح ص).

الآية الرابعة: اليمين (مين: ص حʻح ص).

الأية الخامسة: الضالين (لينْ: ص حʻح ص).

الآية السادسة: حميم (ميم: ص حʻح ص).

الآية السابعة: جحيم (حيم: ص حʻح ص).

الآية الثامنة: اليقين (قين: ص حʻح ص).

الآية التاسعة: العظيم (ظيم: ص حʻح ص).

لقد تكرار موضع النبر الأوليِّ في فواصل كل الآيات، مع كونه موضع التنغيم أيضا؛ أنشأ إيقاعا منتظما متكررا بكل آيات اللوحة نسمعه عند الفاصلة.

نوع التنغيم:

التنغيم هابط حيث الآيات كلها تشير إلى معنى واحد، جاء في جمل إخبارية تخبر عن أصناف الناس وأحوالهم يوم القيامة، هذا الإخبار أُحيط بإيقاع واحد، تكوَّن من تنغيم واحد، ونبر واحد جاء على مقطع واحد في موضع واحد.

اللوحة الأخيرة

تنتهي السورة بتلك اللوحة التي تشمل المجموعة الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة، تصور هذه الآيات حالة الإنسان منذ موته إلى أن يبعثه الله فيدخل الجنة أو النار، وقد سبق هذا حديث عن الكتاب الكريم، وصفاته.

تتصف هذه اللوحة بشكل عام بقصر آياتها، واستمرار المحافظة على هذه الصفة ولو أدى ذلك إلى تقسيم الجملة إلى عدة آيات، وذلك لتحقيق عنصر الإيقاع المتمثل في تكرار المقطع (ص ح ح ص) في نهاية كل فاصلة مع صوتيْ النون أو الميم وقبلهما الواو أو الياء، وفي إطار هذا الشكل العام للإيقاع في الآيات كانت هناك:

أ) عناصر الاستقلال الصوتي الخاصة بهذه المجموعة.

ب) عناصر صوتية مشتركة تربط المجموعة بإيقاع العامة للآيات.

عناصر الاستقلال:

١- بعض الآيات تتفق مع ما تليها في عدد المقاطع بصورة تامة مكونة نغما متجانسا مع نهاية مقطعية واحدة؛فتكون إيقاعا منتظما متكررا.

٢- يتنوع عدد مقاطع بعض الآيات المتتالية صعودا وهبوطا؛ فتبدو في صورة مختلفة لكسر الرتم المتكرر، وتغيير النمط الموجود في بعض الآيات.

٣- تقسيم الجملة علي أكثر من آية لتحقق الإيقاع ولخدمة المعنى، حيث تقسيم الجملة إلى آيات يبرز بعض عناصرها، ويوضحه كما في قوله: (إنه لقرآن

كريم ❖ في كتاب مكنون) هذا التقسيم للجملة – حيث العبارة الثانية متعلقة بالأولى صفة لخبر إن – فأبرز قضية حفظ القرآن أنه في كتاب مكنون؛ بتقسيم الجملة في آيتين، ولو لاحظنا أن القارئ ينطق بكل آية مستقلة عن ما قبلها بوقفة مع نهاية كل آية؛ لأدركنا مدى الحاجة إلى هذا الترابط بين الآيات لبيان الفكرة وتوضيحها، فالمعنى يسير في خط مستقيم، والآيات تقسمه إلى دفعات، ذات خصائص صوتية متماثلة؛ لتحقق من ذلك التقسيم إيقاعا متجانسا ساحرا يشد الألباب، مع الحفاظ على المعنى والسير خلفه.

٤- تأتي بعض الآيات فيما يشبه أبيات الشعر، ولكن في قالب مقطعي، وليس في إطار تفعيلات أو قافية، كما في قوله (فأما إن كان من أصحاب اليمين ❖ فسلام لك من أصحاب اليمين) لاحظ التصريع الموجود في نهاية الآية الأولى والثانية (اليمين)، فيُحدث ذلك نغما خفيا وإيقاعا منتظما من تكرار نهاية صوتية واحدة في الآيتين.

٥- وقد يحدث هذا التوافق بين الآيتين في عدد المقاطع، ونوع المقطع الأخير فيها، ثم يأتي عنصر صوتي مختلف لكسر هذا التماثل، فلا تصبح الآية مطابقة تماما لأختها، وذلك بالاختلاف في الحرف الأخير في الفاصلة، كما في قوله (إن هذا لهو حق اليقين ❖ فسبح باسم ربك العظيم) رغم تقاربهما.

٦- ظهور المقطع (ص ح ح ص) في وسط الآية في (الضالّين) للمرة الثانية.

عناصر الاتفاق الصوتي في اللوحة مع السورة:

تتفق آيات هذه اللوحة مع كل آيات السورة في عناصر صوتية كونت الإطار الصوتي العام لآيات السورة؛ فاتفقت معها في أمور صوتية:

أ- آيات اللوحة تنتهي بالمقطع (ص ح ح ص) كذا أغالب فواصل السورة.

ب- الصوت الأخير في فواصل اللوحة هو(ميم ونون) وقد شاعا بالسورة كلها.

ج- الصوت قبل الأخير ياء أو واو، وهذا شائع أيضا في كل فواصل السورة.

قيمة الاختلاف والاتفاق في المقاطع:

إن الاختلاف والاتفاق بين الآيات يحمل كثيراً من القيم الصوتية؛ مما أوجد الإيقاع الخاص بالآيات وكما قال د.تمام: " لو اتحدت كميات الكلمات العربية فتشابهت في بنيتها لوقع النبر فيها على صورة واحدة... أو لجاء إيقاع اللغة متساوي المسافات رتيبا مملا كوقع خطوات المشي... ولكن اختلاف الكلمات طولا وقصرا وتجردا وزيادة و اتصالا و انفصالا ، حال دون هذه الرتابة وذلك الملل، وجعل للغة إيقاعا لا مجرد وقع، ولكن الإيقاع المقصود هو إيقاع في نطاق التوازن لا في نطاق الوزن. فالوزن في العربية للشعر والتوازن في الإيقاع للنثر والذي في القرآن إيقاع متوازن لا موزون) [١]

(١) البيان في روائع القرآن ٢٦٩

الدراسة الإحصائية لمقاطع السورة

بعد أن انتهينا من تحليل ودراسة مقاطع سورة الواقعة بقى تقديم دراسة إحصائية حول ما وجدناه فيها من مقاطع متنوعة، وتوزيعها على الآيات، وفواصلها على طول السورة، ومواضع النبرين فيها، مع بعض الإحصائيات الأخرى لأشياء وجدتها أثناء الدراسة وتفيد في عملية تقديم تقرير عن العناصر الصوتية التي كونت النغم الخفي في السورة كلها، وما نستنتجه من الإحصاء، وقد قمت بتسجيل جانبا من الدراسة من خلال هذا الجدول الذي بينتُ فيه: القسم الأول: رقم المجموعة. القسم الثاني: عدد ورود المقطع (ص ح) فيها. القسم الثالث: عدد المقطع (ص ح ص). القسم الرابع: عدد المقطع (ص ح ح). القسم الخامس: عدد المقطع (ص ح ح ص). القسم السادس: نوع مقطع الفاصلة. القسم السابع: عدد مقاطع المجموعة. القسم الثامن: عدد آيات المجموعة كما يلي:

مجموعة رقم:	المقطع: ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح ص	نوع المقطع في الفاصلة	عدد مقاطع	عدد الآيات
١:	١٢	٨	٥	ــ	ص ح ص	٢٥	٣
٢:	١٢	١١	٤	ــ	ص ح	٢٧	٣
٣:	١٢	١٩	٨	ــ	ص ح ص	٣٩	٣
٤:	١٥	١٣	٧	٥	ص ح ح ص	٤٠	٥
٥:	٤٢	٣٤	٢٢	٩	ص ح ح ص	١٠٧	١٠
٦:	٧	٧	١٠	ــ	ص ح	٢٤	٢
٧:	٧	١٥	٦	٥	ص ح ح ص	٣٣	٥
٨:	٩	٩	٧	ــ	ص ح ص	٢٥	٣
٩:	٩	١٠	٦	ــ	ص ح	٢٥	٣
١٠:	٩	١٠	١	٣	ص ح ح ص	٢٣	٣
١١:	١١	١٠	٩	٤	ص ح ح ص	٣٤	٤

مجموعة رقم:	المقطع: ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح ص	نوع المقطع في الفاصلة	عدد مقاطع	عدد الآيات
١٢:	٢٤	١٧	١٩	٤	ص ح ح ص	٦٤	٤
١٣:	٣٦	٣٠	١٥	٩	ص ح ح ص	٩٠	٨
١٤:	٩٨	٩٩	٣٨	١٨	ص ح ح ص	٢٥٣	١٨
١٥:	٤٠	٣٠	١٢	٨	ص ح ح ص	٩٠	٨
١٦:	٢٣	٢٣	١٠	٥	ص ح ح ص	٦١	٥
١٧:	٤٢	٣٤	١٠	٤	ص ح ح ص	٩٩	٩
المجموع	٤٠٨	٣٧٩	١٩٢	٨٠		١٠٥٩	٩٦

نتائج عملية الإحصاء

أولا: النتائج العامة الإحصائية:

١- عدد المقاطع في السورة كلها ١٠٥٩
٢- عدد المقطع: (ص ح) ٤٠٨ بنسبة: ٥٢، ٣٨٪
٣- عدد المقطع: (ص ح ح) ١٩٢ بنسبة: ١٨,١٣٪
٤- عدد المقطع: (ص ح ص) ٣٧٩ بنسبة: ٣٥,٧٨٪
٥- عدد المقطع: (ص ح ح ص) ٨٠ بنسبة: ٧,٥ ٪
٦- المقطع الخامس لم يرد مطلقا في كل السورة.

هذا الإحصاء يبين شيوع المقطع (ص ح) كأكثر المقاطع انتشارا في هذا النص (سورة الواقعة) ، يليه المقطع (ص ح ص) ، ثم المقطع (ص ح ح)، وأخيرا المقطع (ص ح ح ص).

ثانيا: الرد على إحصاء د. أحمد مختار عمر:

إن هذه السورة تعدُّ نصا كاملا؛ لهذا يمكننا من خلال هذه النتائج الإحصائية الرد على نتائج إحصائيات قام بها د.مختار عمر حول شيوع المقاطع المختلفة في اللغة العربية:

أ) يرى كل من د. إبراهيم أنيس ود.أحمد مختار عمر أن المقاطع الأكثر شيوعا في العربية (ص ح) و(ص ح ح) و(ص ح ص)، وهذا ما أكده هذا البحث حيث وصل عدد هذه المقاطع معا في السورة كلها ٩٧٩ مقطعا من ١٠٥٩ وهو المجموع الكلي للمقاطع أي بنسبة ٩٢/٤ ٪ يقول د. أحمد مختار: " فقد كان د. إبراهيم أنيس على حق حين اعتبر المقاطع الثلاثة (س ع ع) و (س ع) و (س ع س) هي المقاطع الشائعة في اللغة العربية وهي التي تكوّن الكثرة الغالبة من الكلام العربي).

ب) يرى د. أحمد مختار عمر أن أكثر المقاطع وقوعا في هذه الأوزان هو المقطع من نوع: س ع س يليه س ع) [(١)] ولكن ما وجدته في سورة الواقعة غير ذلك حيث عدد المقطع (س ع) يفوق عدد المقطع الثالث س ع س، فالأول يزيد عن الثالث بـ ٢٩ مقطعا، مما يشير إلى اختلاف لغة القرآن عن لغة البشر.

ثالثا: مقاطع الفواصل

كان تقسيمي الآيات إلى مجموعات حسب النهاية المقطعية لفواصلها، التي تبنى لنا إيقاع الآيات المتتابعة في شكل مجموعات متفقة ومتجانسة صوتيا، فهذا هو سبب تقسيمي الآيات إلى مجموعات بلغت سبع عشرة مجموعة، ثم لاحظتُ اتفاقا آخر هو ما بين بعض هذه المجموعات المتتالية من اتفاق في الموضوع الذي تتحدث عنه؛ فجمعتها في مستوى أعلى هو المستوى الفكرة العامة التي تناقشها تلك المجموعات، فالاتفاق بينها ليس صوتيا فحسب، فجمعتها تحت اسم "لوحة" تتحدث عن موضوع واحد يجمع عناصر هذه المجموعات وتدخل في إطاره، فكان العنصر الذي تجتمع تحته اللوحة هو عنصر المعنى العام؛ وليس المقطع الذي في نهاية الفواصل، حيث اللوحة تجمع أكثر من مجموعة مختلفة المقاطع في فواصلها؛ وكانت المجموعات متنوعة المقاطع، فكل مجموعة لها نهاية مقطعية تختلف أو تتفق مع ما قبلها وما بعدها، فكان لهذا التنوع أثره الكبير في تنوع

(١) دراسة الصوت اللغوي ٢٦١

إيقاع الآيات ككل، ولهذا كان لابد من فكرة جديدة تجتمع تحتها بعض هذه المجموعات وهى فكرة المعنى العام، تحت مسمى اللوحة .

فكان توزيع المقاطع على نهايات المجاميع كالآتي:

المجموعة الأولى: (ص ح ص). المجموعة الثانية: (ص ح).

المجموعة الثالثة: (ص ح ص). المجموعة الرابعة: (ص ح ح ص).

المجموعة الخامسة: (ص ح ح ص). المجموعة السادسة: (ص ح).

المجموعة السابعة: (ص ح ح ص). المجموعة الثامنة: (ص ح ص).

المجموعة التاسعة: (ص ح). المجموعة العاشرة: (ص ح ح ص) .

المجموعة الحادية عشرة: (ص ح ح ص).

المجموعة الثانية عشرة: (ص ح ح ص).

المجموعة الثالثة عشرة: (ص ح ح ص).

المجموعة الرابعة عشرة: (ص ح ح ص).

المجموعة الخامسة عشرة: (ص ح ح ص).

المجموعة السادسة عشرة: (ص ح ح ص).

المجموعة السابعة عشرة: (ص ح ح ص).

نلاحظ في هذا التوزيع لمقاطع فواصل المجاميع أن السورة بدأت أول فواصلها بالمقطع (ص ح ص) يليه المقطع (ص ح) ، ثم التدرج في ظهور المقطع المديد المغلق (ص ح ح ص) الذي هو من أطول المقاطع، حيث يظهر في المجموعة الرابعة والخامسة؛ كأول ظهور له، ثم في المجموعة السابعة، ثم يستمر من العاشرة حتى المجموعة الأخيرة وهى السابعة عشرة، فيصبح هذا المقطع الأكثر شيوعا بعد ذلك في فواصل السورة كلها.

هذا الشيوع لهذا المقطع في فواصل السورة؛ يقابله مكانته الغريبة في الترتيب العددي للمقاطع في آيات السورة كلها؛ فقد ورد بنسبة ٥,٧ ٪ من مجموع المقاطع في السورة، بما يعنى أنه أقل المقاطع ورودا في السورة. وهذا الأمر يمكن تعليله بوجود صفة الطول في هذا المقطع؛ فبه حركة طويلة في وسطه، مما جعله أفضل المقاطع للتنغيم ، ولما يحدثه الصوت المجهور الطويل الذي في وسط هذا المقطع من

نغمة مميزة بالسورة؛ التي تظهر بوضوح في نهاية الفاصلة مع انتهاء النفس لدى القارئ، وكذلك وجود النبر على ذلك المقطع الطويل الأخير، وكلاهما (المقطع المديد المغلق + النبر الأوليِّ بنهاية الفاصلة) كان لهما الدور الكبير في إحداث التنغيم بأنواعه المختلفة في الآية، الذي أثر على معناها الأصلي بما سيضيفه إليها من معان إضافية جديدة سنعرض لها في عنوان: "الحوار والتنغيم".

رابعا: خصائص المقطع الرابع (ص ح ح ص)

لا يرد المقطع الرابع في العربية إلا في نهاية الكلمة عند الوقف، وقد حدث هذا بكثرة في آيات السورة في فواصلها في ٨٠ مرة، أما في وسط الكلمة فلا يحدث هذا إلا بشرط أن يكون المقطع التالي له مبتدأ بصامت يماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق، وهو ما أشار إليه القدماء بالتقاء ساكنين، وهو أن يكون الأول حرف لين والثاني مدغما في مثله في الوقف، وقد ورد هذا المقطع مرتين في وسط الآية بالكلمة الضالِّين، بالآية ٥١ (الضالُّون المكذبون) وبالآية ٩٢ (المكذبين الضالِّين) وقد أشار ابن جني إلى تلك الحالة عندما يرد هذا المقطع في وسط الكلمة، وكيفية التخلص منه قائلا (وأول المثلين مع التشديد ساكن فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد فيجعلون طولها، ووفاء الصوت بها عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين: من تحريكها، إذا لم يجدوا عليه تطرقا، ولا بالاستراحة إليه تعلقا، وذلك نحو شابَّة ودابَّة...وربما لم يكتف من تقوي لغته، ويتعالى تمكنه وجهارته...أن يبدل من هذا الألف همزة، فيحملها الحركة التي كان كلفا بها، ومصانعا بطول المدة عليها فيقول: شأبَّة ودأبَّة... قال كُثير: إذا ما العوالي بالعبيط احمأرَّتْ[(١)] أي إن هذا المقطع لا يرد في وسط الكلمة مطلقا وخصوصا في الشعر؛ فإذا حدث ذلك أبدلت الهمزة مكان الألف.

أما في النثر فإنهم ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء

---

(١) الخصائص ٣/ ١٢٦.

الصوت بها عوضا عما كان يجب لالتقاء الساكنين، فيجعلون إطالة الألف عوضا عن التقاء الساكنين، وذلك بتحويل المقطع الرابع إلى المقطع الثاني الطويل المفتوح، ويشبعون المد فيه حتى يضعف التشديد الذي على الباء، ثم ينطقون الباء في مقطع جديد مستقل من النوع الثالث، وهذا ما حدث في نطق الضالِّين، حيث يمد القارئ ألف ضالِّين بمقدار ست حركات، وفي رسم المصحف نجد فوق الألف في ضالِّين علامة المد اللازم بمقدار ست حركات حتى يتمكن القارئ من مد هذه الألف؛ فينطق باللام بسهولة كما قال ابن جني.

تكرار بعض المقاطع:

تكررت بعض المقاطع بصورة متطابقة تماما في فواصل آيات متتالية، كان هذا التطابق في نوع حروفها وترتيبها، وربما في موضع النبر والتنغيم بالآية نفسها لاحظ هذا التطابق التام بين المقطع الأخير من الفاصلتين في الآيات التالية:

١. ﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٨-٢٩]

المقطع الأخير من فاصلة الآيتين هو: (ضود - ضود: ص حَ‘ح ص) فهما من مقطع واحد منبور ومنغم، وأحرفه واحدة، لذا فهما متطابقان تماما.

٢. ﴿ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٣-٣٤]

المقطع الأخير من فاصلة الآيتين هو: (عَةْ - عَةْ: ص ح ص) فهما من مقطع واحد، وأحرفه واحدة، فهما متطابقان، مع فرق واحد أنهما ليستا موضع النبر.

٣. ﴿ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٦-٦٧].

المقطع الأخير من فاصلة الآيتين هو: (مون - مون: ص ح‘ ح ص) فهما من مقطع واحد منبور ومنغم، وأحرفه واحدة، فهما متطابقان تماما.

٤. ﴿ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٤-٨٥].

المقطع الأخير من فاصلة الآيتين هو: (رون - رون: ص ح‘ ح ص) فهما من مقطع واحد منبور ومنغم، وأحرفه واحدة، فهما متطابقان تماما.

٥. ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ [الواقعة: ٩٠-٩١]
المقطع الأخير من فاصلة الآيتين هو: (مين ـ مين: ص ح' ح ص) فهما من مقطع واحد منبور ومنغم، وأحرفه واحدة، فهما متطابقان تماما.

٦. ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٠]
المقطع الأخير من فاصلة الآيتين هو: (رون ـ رون: ص ح' ح ص) فهما من مقطع واحد منبور ومنغم، وأحرفه واحدة، فهما متطابقان تماما.

إذا نظرنا إلى هذا التكرار المتطابق في المقطع الأخير من هذه الآيات نجد أنه أحدث أثرا صوتيا كبيرا من تكراره بتلك الصورة المتتالية، وقد أحدثه إيقاعا منتظما، ومتماثلا؛ نظرا لتماثل هذه المقاطع المتتالية بتلك الصورة في موقع واحد متكرر، وكذلك توزيعها في أماكن مختلفة من السورة.

خصائص ورود النبرين (الأوليِّ والثانوي) في الآيات:

اجتمع النبران في الآيات بصور مختلفة، توضح التنوع الذي كوَّن لنا الإيقاع المتنوع للآيات، ولهذا كان علينا تقديم جدول يوضح تنوع هذه الصور، وما يمكن أن نستخلصه من خصائص لاجتماعهما في الآيات، والكلمات التي اجتمع فيها النبران، وأماكن هذا الاجتماع في وسط الآية أو أولها أو بالفاصلة، وما بين النبرين من مقاطع ونوعها وعدد هذه المقاطع التي تفصل بين النبرين.

هذه النتائج نحاول الوصول إليها من خلال دراسة التحليل السابق للآيات، وحصر وما ورد فيها من النبرين، ولكن في بداية تلك الدراسة لابد أن نقر بحقيقة ضرورية أكيدة، هي أن النبر هو عبارة عن شعور لدى المتكلم والسامع معا، **فالأول:** ينفعل ببعض الكلمات؛ فيضغط عليها دون الكلمات الأخرى، وقد يزيد هذا الانفعال بكلمة دون أخرى؛ فيتكرر الضغط علي تلك الكلمة؛ فيصبح لدينا ضغطان علي تلك الكلمة؛ أحدهما أشد من الآخر. إذن فالنبر إحساس لدي المتكلم تجاه بعض الكلمات يظهره النبر في كلام المتكلم، ولهذا يختلف المتكلمون في إحساسهم بالكلمات وما بها من معانٍ، فيختلف موقع النبر في العبارة من متكلم إلى آخر، تبعا لحالته الانفعالية، وإدراكه لمعنى العبارة، وغرضه منها، والرسالة التي يريد أن يبعثها من خلال عبارته.

أما الثاني: وهو السامع فيختلف في إدراكه لموقع النبر، وفهمه لما يحمله إليه من معان إضافية يريد المتكلم توصيلها له، وكذلك مدى سماعه الصحيح للعبارة المنطوقة وما فيها من تنغيم، وعلاقته الشخصية بالمتكلم، فإذا لاحظنا اختلافا ما بين المتكلمين والسامعين في تحديد موقع النبرين، فلا غرابة في ذلك فأحد هذه العناصر قد أثر فيها، وكذلك الدارس مثل السامع قد يدرك ما يعنيه المتكلم بعبارته أو لا يدرك ذلك.

علي الرغم من ذلك فإننا اتبعنا منهجا ثابتا وضعه لنا علماؤنا الأجلاء، من د.إبراهيم أنيس ود. تمام حسان وغيرهم، وحاولنا الالتزام به في تلك الدراسة.

هذا الجدول وضعته بعد دراسة متأنية لمواضع النبرين بناءً علي سماع قراءة الشيخين (المنشاوي والحذيفي)، ذكرت فيه: ١ـ رقم الآية. ٢ـ الكلمة المنبورة بنبرين معا فقط (أي اجتمع فيها النبران) حتى لو أنها استعانت بصوت في الكلمة السابقة عليها لتكوين هذا النبر لاشتراكهما معا في مقطع واحد.٣ـ موضع النبر الثانوي. ٤ـ موضع النبر الأوليِّ. ٥ـ موقع هذه الكلمة في الآية (أولها. وسطها. فاصلة) . ٦ـ ما بين النبرين من مقاطع ونوعها. وبعد الانتهاء من هذا الجدول نُدخل معطياته ضمن عملية تحليل دقيقة لها نصل منها إلى نتائج جديدة:

الآية	الكلمة	نبر ثانوي	نبر أوليّ	المكان	ما بينهما من مقطع
١٠	السابقون	سا :ص ح ح	قو :ص ح ح	أول	ب :ص ح
١٠	السابقون	سا :ص ح ح	قون :ص ح ح ص	فاصلة	ب :ص ح
١١	المقرَّبون	قر :ص ح ص	بون :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
١٢	جنَّات	جن :ص ح ص	نا :ص ح ح	وسط	لا يوجد
١٢	ت النعيم	تن :ص ح ص	عيم :ص ح ح ص	فاصلة	ن: ص ح
١٣	الأولين	أو :ص ح ص	لين :ص ح ح ص	فاصلة	و :ص ح
١٤	نالأخرين	نل :ص ح ص	رين :ص ح ح ص	فاصلة	أ/خ :ص ح
١٥	موضونة	مو :ص ح ح	ضو :ص ح ح	فاصلة	لا يوجد
١٦	متكئين	مت :ص ح ص	ئي :ص ح ح	أول	ك :ص ح

الآية	الكلمة	نبر ثانوي	نبر أوليّ	المكان	ما بينهما من مقطع
١٦	متقابلين	قا :ص ح ح	لين:ص ح ح ص	فاصلة	ب:ص ح
١٧	مخلدون	خل:ص ح ص	دون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
١٨	بأكواب	أك:ص ح ص	وا :ص ح ح	أول	لا يوجد
١٨	أباريق	با :ص ح ح	ري:ص ح ح	وسط	لا يوجد
١٨	ن معين	من:ص ح ص	عين:ص ح ح ص	فاصلة	م:ص ح
١٩	يصدعون	صد :ص ح ص	عو:ص ح ح	وسط	لا يوجد
١٩	ينزفون	ين:ص ح ص	فون:ص ح ح ص	فاصلة	ز:ص ح
٢٠	يتخيرون	خي:ص ح ص	رون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٢١	يشتهون	يش:ص ح ص	هون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٢٣	ؤالمكنون	ؤل:ص ح ص	نون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٢٤	يعملون	يع:ص ح ص	لون:ص ح ح ص	فاصلة	م:ص ح
٢٥	يسمعون	يس:ص ح ص	عو:ص ح ص	وسط	م:ص ح
٢٧	أصحاب	أص:ص ح ص	حا :ص ح ح	أول	لا يوجد
٢٧	ب اليمين	بل:ص ح ص	مي:ص ح ح	وسط	ي:ص
٢٧	أصحاب	أص:ص ح ص	حا :ص ح ح	وسط	لا يوجد
٢٧	ب اليمين	بل:ص ح ص	مين:ص ح ح ص	فاصلة	ي:ص ح
٢٨	مخضود	مخ:ص ح ص	ضود :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٢٩	منضود	من:ص ح ص	ضود :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٣٠	ممدود	مم:ص ح ص	دود :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٣١	مسكوب	مس:ص ح ص	كوب:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٣٢	فاكهة	فا :ص ح ح	ك:ص ح	أول	لا يوجد
٣٣	مقطوعة	مق:ص ح ص	طو:ص ح ح	وسط	لا يوجد
٣٣	ممنوعة	مم:ص ح ص	نو:ص ح ح	فاصلة	لا يوجد
٣٤	مرفوعة	مر:ص ح ص	فو:ص ح ح	فاصلة	لا يوجد
٣٥	أنشأناهن	نا :ص ح ح	هن:ص ح ص	وسط	لا يوجد

الآية	الكلمة	نبر ثانوي	نبر أوليّ	المكان	ما بينهما من مقطع
٣٦	فجعلناهن	نا :ص ح ح	هن :ص ح ص	وسط	لا يوجد
٣٨	أصحاب	أص :ص ح ص	حا :ص ح ح	وسط	لا يوجد
٣٨	باليمين	بل :ص ح ص	مين :ص ح ح ص	فاصلة	ي :ص ح
٣٩	ثلة + ن	ثل :ص ح ص	ـة+ن :ص ح ص	أول	لا يوجد
٣٩	نالأولين	نل :ص ح ص	لين :ص ح ح ص	فاصلة	أو :ص ح ص
٤٠	ثلة + ن	ثل :ص ح ص	ـة+ن :ص ح ص	أول	لا يوجد
٤٠	نالأخرين	نل :ص ح ص	رين :ص ح ح ص	فاصلة	أ/خ :ص ح
٤١	أصحاب	أص :ص ح ص	حا :ص ح ح	أول	لا يوجد
٤١	بالشمال	بش :ص ح ص	مال :ص ح ح	وسط	ش :ص ح
٤١	أصحاب	أص :ص ح ص	حا :ص ح ح	وسط	لا يوجد
٤١	بالشمال	بش :ص ح ص	مال :ص ح ح ص	فاصلة	ش :ص ح
٤٢	وحميم	و :ص ح	ميم :ص ح ح ص	فاصلة	ح :ص ح
٤٣	يحموم	يح :ص ح ص	موم :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٤٤	كريم	ك :ص ح	ريم :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٤٥	مترفين	مت :ص ح ص	فين :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٤٦	يصرون	صر :ص ح ص	رو :ص ح ح	وسط	لا يوجد
٤٦	ل الحنث	لل :ص ح ص	حن :ص ح ص	وسط	لا يوجد
٤٦	ثالعظيم	ثل :ص ح ص	ظيم :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٤٧	يقولون	قو :ص ح ح	لو :ص ح ح	وسط	لا يوجد
٤٧	لمبعوثون	مب :ص ح ص	ثون :ص ح ح ص	فاصلة	عو :ص ح ح
٤٨	أوآباؤنا	با :ص ح ح	ؤ :ص ح	وسط	لا يوجد
٤٨	الأولون	أو :ص ح ص	لون :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٤٩	الأولين	أو :ص ح ص	لي :ص ح ح	وسط	و :ص ح
٤٩	والآخرين	ول :ص ح ص	رين :ص ح ح ص	فاصلة	أ/خ :ص ح
٥٠	مجموعون	مج :ص ح ص	عو :ص ح ح	أول	مو :ص ح ح

الآية	الكلمة	نبر ثانوي	نبر أوليّ	المكان	ما بينهما من مقطع
٥٠	ميقات	مي:ص ح ح	قا :ص ح ح	وسط	لا يوجد
٥٠	معلوم	مع:ص ح ص	لوم:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٥١	ضالون	ضال:ص ح ح ص	لو:ص ح ح	وسط	لا يوجد
٥١	المكذبون	كذ :ص ح ص	بون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٥٢	لأكلون	ل:ص ح	لو : ص ح ح	وسط	أ /ك:ص ح
٥٢	زقوم	زق:ص ح ص	قوم:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٥٣	فمالئون	ما :ص ح ح	ئو:ص ح ح	أول	ل:ص ح
٥٣	هاالبطون	هل:ص ح ص	طون:ص ح ح ص	فاصلة	ن:ص ح
٥٤	فشاربون	شا :ص ح ح	بو : ص ح ح	أول	ر:ص ح
٥٤	ن الحميم	نل:ص ح ص	ميم:ص ح ح ص	فاصلة	ح:ص ح
٥٥	فشاربون	شا :ص ح ح	بو:ص ح ح	أول	ر:ص ح
٥٥	ب الهيم	بل:ص ح ص	هيم:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٥٦	م الدين	مد :ص ح ص	دين:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٥٧	خلقناكم	لق:ص ح ص	نا :ص ح ح	وسط	لا يوجد
٥٧	تصدقون	صد :ص ح ص	قون:ص ح ح ص	فاصلة	د :ص ح
٥٨	أفرأيتم	أ :ص ح	أي:ص ح ص	أول	ف/ر:ص ح
٥٨	تمنون	تم:ص ح ص	نون: ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٥٩	أأنتم	أ :ص ح	أن:ص ح ص	أول	لا يوجد
٥٩	تخلقونه	تخ:ص ح ص	قو:ص ح ح	وسط	ل:ص ح
٥٩	خالقون	خا :ص ح ح	قون:ص ح ح ص	فاصلة	ل:ص ح
٦٠	قدّرنا	قد :ص ح ص	در: ص ح ص	وسط	لا يوجد
٦٠	بمسبوقين	بو:ص ح ح	قين:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٦١	أمثالكم	أم:ص ح ص	ثا :ص ح ح	وسط	لا يوجد
٦١	ننشأكم	نن:ص ح ص	شأ :ص ح ص	وسط	لا يوجد
٦١	تعلمون	تع:ص ح ص	مون:ص ح ح ص	فاصلة	ل:ص ح

الآية	الكلمة	نبر ثانوي	نبر أوليّ	المكان	ما بينهما من مقطع
٦٢	تم النشأة	من: ص ح ص	نش:ص ح ص	وسط	لا يوجد
٦٢	ةالأولى	ةل:ص ح ص	أو: ص ح ص	وسط	لا يوجد
٦٢	فلولا	ف:ص ح	لو:ص ح ح	وسط	لا يوجد
٦٢	تذكرون	ذك:ص ح ص	رون:ص ح ح ص	فاصلة	ك:ص ح
٦٣	أفرأيتم	أ:ص ح	أي:ص ح ص	أول	ف/ر:ص ح
٦٣	تحرثون	تح:ص ح ص	ثون:ص ح ح ص	فاصلة	ر:ص ح
٦٤	أأنتم	أ:ص ح	أن:ص ح ص	أول	لا يوجد
٦٤	تزرعونه	تز:ص ح ص	عو:ص ح ح	وسط	ر:ص ح
٦٤	لزارعون	زا:ص ح ح	عون:ص ح ح ص	فاصلة	ر:ص ح
٦٥	لجعلناه	عل:ص ح ص	نا:ص ح ح	وسط	لا يوجد
٦٥	حطاما	ح: ص ح	طا:ص ح ح	وسط	لا يوجد
٦٥	تفكهون	فك:ص ح ص	هون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٦٦	لمغرمون	مغ:ص ح ص	مون:ص ح ح ص	فاصلة	ر:ص ح
٦٧	محرمون	مح:ص ح ص	مون:ص ح ح ص	فاصلة	رو:ص ح ح
٦٨	أفرأيتم	أ:ص ح	أي:ص ح ص	أول	ف/ر:ص ح
٦٨	م الماء	مل:ص ح ص	ما: ص ح ح	وسط	لا يوجد
٦٨	تشربون	تش:ص ح ص	بون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٦٩	أأنتم	أ:ص ح	أن:ص ح ص	أول	لا يوجد
٦٩	أنزلتموه	زل:ص ح ص	مو:ص ح ح	وسط	ت:ص ح
٦٩	ن المزن	مل:ص ح ص	مز:ص ح ص	وسط	لا يوجد
٦٩	نالمنزلون	من:ص ح ص	لون:ص ح ح ص	فاصلة	ز:ص ح
٧٠	جعلناه	عل:ص ح ص	نا:ص ح ح	وسط	لا يوجد
٧٠	أجاجا	جا:ص ح ح	جن:ص ح ص	وسط	لا يوجد
٧٠	تشكرون	تش:ص ح ص	رون:ص ح ح ص	فاصلة	ك:ص ح
٧١	أفرأيتم	أ:ص ح	أي:ص ح ص	أول	ف/ر:ص ح

الآية	الكلمة	نبر ثانوي	نبر أوليّ	المكان	ما بينهما من مقطع
٧١	م النَّار	من:ص ح ص	نا :ص ح ص	وسط	لا يوجد
٧١	تورون	تو:ص ح ح	رون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٧٢	أأنتم	أ :ص ح	أن:ص ح ص	أول	لا يوجد
٧٢	أنشأتم	أن:ص ح ص	شأ :ص ح ص	وسط	لا يوجد
٧٢	المنشئون	من:ص ح ص	ئون:ص ح ح ص	فاصلة	ش:ص ح
٧٣	جعلناه	عل:ص ح ص	نا :ص ح ح	وسط	لا يوجد
٧٣	تذكرة نْ	تذ :ص ح ص	ك:ص ح	وسط	لا يوجد
٧٣	للمقوين	لل:ص ح ص	وين:ص ح ح ص	فاصلة	مق:ص ح ص
٧٤	فسبح	ف:ص ح	سب:ص ح ص	وسط	لا يوجد
٧٤	كالعظيم	كل:ص ح ص	ظيم:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٧٥	ع النجوم	عن:ص ح ص	جوم:ص ح ح ص	فاصلة	ن:ص ح
٧٦	تعلمون	تع:ص ح ص	مو:ص ح ح	وسط	ل:ص ح
٧٧	نْن: كريم	نْن:ص ح ص	ريم:ص ح ح ص	فاصلة	ك:ص ح
٧٨	مكنون	مك:ص ح ص	نون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٧٩	مطهرون	طه:ص ح ص	رون:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٨٠	العالمين	عا :ص ح ح	مين:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٨١	أفبهذا	أ :ص ح	ها :ص ح ح	أول	لا يوجد
٨١	ذاالحديث	ذل:ص ح ص	دي:ص ح ح	وسط	ح:ص ح
٨١	مدهنون	مد :ص ح ص	نون:ص ح ح ص	فاصلة	هـ:ص ح
٨٢	تجعلون	تج:ص ح ص	لو :ص ح ح	أول	ع:ص ح
٨٢	تكذبون	كذ :ص ح ص	بون:ص ح ح ص	فاصلة	د :ص ح
٨٣	فلولا	ف:ص ح	لو :ص ح ص	أول	لا يوجد
٨٣	تالحلقوم	تل:ص ح ص	قوم:ص ح ح ص	فاصلة	حل:ص ح ص
٨٤	تنظرون	تن:ص ح ص	رون:ص ح ح ص	فاصلة	ظ:ص ح
٨٥	تبصرون	تب:ص ح ص	رون:ص ح ح ص	فاصلة	ص:ص ح

الآية	الكلمة	نبر ثانوي	نبر أوليّ	المكان	ما بينهما من مقطع
٨٦	فلولا	ف:ص ح	لو:ص ح ح	أول	لا يوجد
٨٦	مدينين	دي:ص ح ح	نين:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٨٧	ترجعونها	تر:ص ح ص	عو:ص ح ح	أول	ج:ص ح
٨٧	صادقين	صا:ص ح ح	قين:ص ح ح ص	فاصلة	د:ص ح
٨٨	المقربين	قر:ص ح ص	بين:ص ح ح ص	فاصلة	ر:ص ح
٨٩	ت نعيم	تُ:ص ح	نعيم:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٩٠	أصحاب	أص:ص ح ص	حا:ص ح ح	وسط	لا يوجد
٩٠	باليمين	بل:ص ح ص	مي:ص ح ح	فاصلة	ي:ص
٩١	أصحاب	أص:ص ح ص	حا:ص ح ح	وسط	لا يوجد
٩١	باليمين	بل:ص ح ص	مي:ص ح ح	فاصلة	ي:ص
٩٢	مكذبين	كذ:ص ح ص	ك:ص ح	وسط	ذ:ص ح
٩٢	الضالين	ضال:ص ح ح ص	لين:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٩٥	ق اليقين	قل:ص ح ص	قين:ص ح ح ص	فاصلة	ي:ص ح
٩٦	كالعظيم	كل:ص ح ص	ظيم:ص ح ح ص	فاصلة	ع:ص ح

نتائج الدراسة

نلاحظ من خلال تلك الدراسة عدة نتائج منها:

"الإحصاء العددي"

١. عدد الكلمات التي ورد بها النبران١٤٨.
٢. عدد تلك الكلمات بالفاصلة: ٨٠.
٣. عدد تلك الكلمات بوسط الآية ٤٣.
٤. عدد تلك الكلمات بأول الآية: ٢٥.

من هذا الإحصاء يتبين:

ورود الكلمات الطويلة التي تحوي النبرين في فاصلة الآيات بصورة كبيرة؛ بلغت نسبة:٥٤٪ أي أكثر من النصف، لماذا؟ لأنها تنتهي جميعها بالمقطع المديد المغلق(ص ح ح ص) الذي يكون موضع النبر والتنغيم، وفي نهاية الآية فتحمل فكرة الآية؛ لذا احتاجت الكلمة إلي إظهار مضمونها بالنبر عليها بنبرين.

"خصائص ورود النبر الأوليّ والثانوي في كلمة واحدة"

نلاحظ وجود صور متعددة لاجتماع النبرين في كلمة واحدة، وهي:

١. ألا يكون بين النبرين فاصل نحو: قدرنا، أصحاب... تكرر ذلك (٨٥) مرة.
٢. أن يكون بين النبرين فاصل مقطعي عبارة عن مقطع واحد، كما في:
أ ـ مقطع قصير مفتوح (ص ح) نحو:مكذبين، المقربين... تكرر ذلك (٥٢) مرة.
ب ـ مقطع طويل مغلق(ص ح ص) نحو: للمقوين... تكرر ذلك (٣) مرات.
ج ـ مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) نحو: مجموعون... تكرر ذلك(٣) مرات.
٣. أن يكون بين النبرين فاصل مقطعي عبارة عن مقطع واحد ورد مرتين: حدث هذا في مقطع قصير مفتوح (ص ح) نحو: لأكلون... تكرر ثمان مرات.

"أثر اجتماع النبرين في صناعة الإيقاع"

تقوم بعض المجاميع في السورة بصناعة إيقاع خاص بها من خلال عدة توافقات في الآيات، من بينها التوافق في مواضع النبرين، حيث نجد في أغلب الكلمات الطويلة في آيات المجموعة الواحدة تطابقا كبيرا في مواضع نبريهما، ويمكن تصور هذا التناغم والتوافق في الإيقاع بالمقابلة بين آيات التي جاءت في المجموعة السابعة وهي:

الآية	الكلمة	نبر ثانوي	نبر أولي	مكانها	ما بينهما من مقطع
٢٨	مخضود	مخ: ص ح ص	ضود :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٢٩	منضود	من:ص ح ص	ضود :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٣٠	ممدود	مم:ص ح ص	دود :ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد
٣١	مسكوب	مس:ص ح ص	كوب:ص ح ح ص	فاصلة	لا يوجد

فنجد هذه الكلمات متطابقة في موضع النبرين، والوزن الصرفي، وموضع الكلمة في الآية (بالفاصلة) وما بين النبرين من مقاطع (لا يوجد) مما يظهر قيمة هذا التوافق في صناعة إيقاع متناسق منتظم متكرر في داخل المجموعة، يؤثر علي معاني تلك الكلمات، حيث تجعل السامع يعيش في حالة نفسية واحدة في إطار إيقاع واحد متكرر منتظم يصاحب وصف نعيم أصحاب اليمين.

خصائص
البناء الصوتي للسورة

بعد دراسة سورة الواقعة من جوانبها الصوتية المختلفة خرجت منها بتصور لخصائص بنائها الصوتي على مستوى الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية لها، وهو ما أحاول استخلاصه في هذا الفصل.

أولا: المقطع

تميزت مقاطع هذه السورة بخصائص منها:

المقطع الخامس: (ص ح ص ص) لا يوجد هذا المقطع في السورة كلها .

المقطع الرابع: (ص ح ح ص) هذا المقطع لا يجوز في العربية إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف، أو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذي ختم به، وهو أن يكون الأول حرف مد، والثاني مدغما في مثله نحو: دابَّة وشابَّة والضالِّين، وقد ورد هذا المقطع في نهاية فواصل ثمانين آية من السورة، بنسبة ٨٣٪ من آيات السورة كلها، أما في وسط الآية فقد وردت في موضعين فقط في كلمة واحدة (الضالِّين) وردت في الآية ٥١ والآية ٩٢. وتكوّن هذا المقطع من:

صامت + حركة طويلة + صامت.

كانت الحركة الطويلة هي الواو أو الياء، وكان الصامت الثاني هو النون أو الميم في كل المواضع عدا أربعة مواضع كانت بالدال والباء، وكان هذا المقطع هو موضع النبر مع آخر الآية في الفاصلة.

المقطع الثالث: (ص ح ص) يوجد بكثرة في وسط الآيات في تناوب مع المقطعين الثاني والأول، أما في آخر الآية، فقد ورد عشر مرات فقط في فواصل السورة كلها، وقد جاء هذا العدد موزعا على ثلاث مجموعات في السورة.

المقطع الأول والثاني: (ص ح) (ص ح ح) وردا بكثرة في وسط الآيات، وهما مع المقطع الثالث يمثلان الصورة الكاملة لمقاطع السورة كلها، وقد يتحول المقطع الأول إلى المقطع الثاني في آخر الآية عند الوقف بإشباع الحركة القصيرة لتكوّن مقطعا مفتوحا متحركا بحركة طويلة، كما يفعل بعض القرَّاء في آخر الآية، وقد ورد المقطع الأول ثماني مرات في فواصل السورة.أما في وسط السورة فقد ورد المقطع الأول بكثرة في تبادل مع المقطع الثاني والثالث.

ثانيا: الفاصلة

أ. خصائص الفاصلة في سورة الواقعة:

قامت الفاصلة بتشكيل الإيقاع الخاص بالسورة، حيث غلبت الفواصل المنتهية بالمقطع (ص ح ح ص) على فواصل السورة ، فقامت بـــ:

١- تقسيم الجملة إلى عدة آيات لتحدث إيقاعا متساويا مع تكرار المقطع (ص ح ح ص) في نهاية كل آية كما في قوله تعالى: (والسابقون السابقون❖ أولئك المقربون❖ في جنات النعيم).

٢- تغيير تركيب الجملة بالتقديم والتأخير في عناصرها ليتحقق الإيقاع المطلوب في آخر الآية. كما في (وظل من يحموم ❖ لا بارد ولا كريم) فأخَّر كريم لتتوافق صوتيا مع يحموم؛ فتنتهيان بالمقطع: (ص ح ح ص).

٣- استبدال الكلمة المفردة بأخرى مجموعة جمع مذكر سالم لتحقيق الإيقاع نفسه في نهاية الآية بالمقطع (ص ح ح ص).

٤- إسناد الأفعال التي ترد في الفاصلة إلى واو الجماعة للسبب السابق، وهو تحقيق الإيقاع نفسه عند نهاية الفاصلة بالمقطع (ص ح ح ص).

ب. أصوات الفاصلة:

انتهت فواصل الآيات بأصوات متنوعة في تبادل مع بعضها البعض، وقد ارتبطت بعض المقاطع بأصوات معينة ، حيث ارتبطت النون والميم بالمقطع (ص ح ح ص) مع كسر هذه القاعدة بصوت الدال في ثلاث فواصل، وبصوت الباء في

فاصلة واحدة. وارتبط المقطع (ص ح ص) بصوت هاء السكت. أما المقطع (ص ح ح) فخرج عن القاعدة، ولم يرتبط بصوت ما.

ج. الفاصلة والتجانس الصوتي:

أقصد بذلك أن يكون الصوتان المتجاوران غير متنافرين، لتحدث المناسبة الصوتية بينهما؛ والفاصلة القرآنية أكبر مظهر للمناسبة الصوتية (لأن طبيعة الفاصلة أنها إتيان بخواتم الآيات طبقا لاختيار أسلوبي مقصود، بحيث يكون ثمة مناسبة صوتية بين رأس الآيتين،.. .ولكون المناسبة الصوتية تعتمد على الانسجام لا على المطابقة التامة وجدنا الفاصلة القرآنية تتحقق بالصوتين المنسجمين، ولا يتحتم فيهما أن يكونا متطابقين... ومن هنا نجد الياء في (المخبتين) تنسجم مع الواو في (ينفقون) الحج ٣٤-٣٥... ومغزى هذا أن المناسبة الصوتية هي المبدأ الذي تقوم عليه الفاصلة القرآنية، أما القافية الشعرية فلا تقنع بالمناسبة، وإنما تتخطاها إلى المطابقة) [(١)]
ويتجلى هذا التبادل في سورة الواقعة كما في التبادل الذي حدث بين هذه الأصوات:

١. تبادل الفواصل بين النون والميم كما في: تكذبون الحلقوم تنظرون تبصرون.
٢. تبادل بين السين والثاء كما في: وبست الجبال بسًّا، فكانت هباء منبثا.
٣. الانتقال من الدال إلى الباء: كما في قوله (في سدر مخضود ❖ في طلح منضود❖ وظل ممدود❖ وماء مسكوب) وقد ساعد على عدم الشعور بالانتقال من الدال للباء أنهما على وزن مَفْعُوْل، وأنهما من مخرجين متقاربين.

ثالثا: بناء الهياكل المقطعية وأثره على الإيقاع:

هناك أبنية صوتية تتكرر في المجموعة التي قسمتُ آيات السورة عليها، وهى تتكون من تراكيب صوتية تحوى عددا من الأصوات أتتْ في شكل مقاطع معينة، متكررة بالتركيب والترتيب الصوتي نفسه، ونوع المقاطع نفسها، فتبدو في شكل قوالب متكررة، هذه القوالب تعطي إيقاعا ثابتا ومتكررا، لا تلبث أن

(١) البيان في روائع القرآن ٣٠٢

تعتاده الأذن، وتألفه مع كثرة تكراره، ثم تسرع الآيات بتبديله، حتى لا تمله الأذن، أو ربما قامت بإعادة توزيعه على مواضع متعددة من السورة للسبب نفسه، وقد لاحظت مثل هذه القوالب الصوتية في سورة الواقعة، حيث نجد تكرارا في مواضع كثيرة لبعض القوالب التي جاءت متجمعة متكررة في إطار موضوعات محددة، نعرض بعضا منها هنا:

أ. نعم الله على عباده:

يذكر الله نعمه على عباده في صورة قالب تركيبي معين يتكرر بالطريقة نفسها من خلال كل نعمة يذكرها، فمن هذه النعم:

نعمة الخلق: أفرأيتم ما تمنون❖ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون❖ نحن قدرنا بينكم..

نعمة الزرع: أفرأيتم ما تحرثون❖ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون❖ لو نشاء...

نعمة الماء: أفرأيتم الماء الذي تشربون❖ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون❖ لو نشاء...

نعمة النار: أفرأيتم النار التي تورون❖ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون❖...

لو نظرنا إلى هذه الآيات في تكوينها وترتيبها المقطعي؛ لوجدنا أنها تتكرر بالشكل والترتيب المقطعي نفسه مع كل نعمة حتى إننا يمكن أن نصوغها بشكل آخر مع حذف الكلمات الدالة على النعمة، وترك مكانها فارغا، لتعطينا هذا القالب الصوتي المتكرر، فيصبح الشكل:

{أفرأيتم ما... ❖أأنتم... أم نحن... ❖نحن...}

هذا القالب الصوتي يمثل بناءًا متكررا مع كل نعمة جاء من بناء مقطعي متكرر هو:

- ❖ أفرأيتم ما: ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح...
- ❖ أأنتم : ص ح/ص ح ص/ص ح ص ...
- ❖ أم نحن : ص ح ص/ص ح ص/ص ح...
- ❖ نحن : ص ح ص/ص ح ...

هذا يعني تكرار الإيقاع نفسه بتكرار القالب الصوتي التركيبي المذكور المكون من المقاطع نفسها وبترتيبها مع كل نعمة، مع الأصوات نفسها التي توجد في تلك المقاطع، ومع تكرار للنبر في المواضع نفسها التي تصاحبها تلك المقاطع، والشدة نفسها والتنغيم نفسه وما نتج عنه معان إضافية في العبارات الاستفهامية المتكررة، مما صنع لها نمطا تركيبيا واحدا ذا خصائص صوتية واحدة، وهذا ما أعنيه بالهيكل المقطعي، هذا الهيكل بهذه الصورة التي يتكرر فيها مع كل نعمة أوجد لنا إيقاعا متكررا منتظما، كأنه رجل يسير بخطوات ثابتة متكررة .

ب.أجر الآخرة:

الناس في الآخرة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام يذكرهم الحق تبارك وتعالى مع أجرهم في الآخرة في قالب صوتي متكرر، كون لنا إيقاعا متميزا من هذا الترتيب المقطعي المتكرر، الذي جاء في هذا القالب الصوتي المتكرر:

١ـ المقربون: { فأما إن كان من المقربين ❖ فروح ... }.

٢ـ أصحاب اليمين: { وأما إن كان من أصحاب اليمين ❖ فسلام ... }.

٣ـ المكذبون: { وأما إن كان من المكذبين الضالين❖ فنزل ... }.

بالطريقة نفسها نجد الآيات تكرر القالب الصوتي التركيبي نفسه؛ بما يتضمنه من عناصر توافق صوتية سابقة؛ ولكن بشكل يخص هذا الموقف، فلو صِغْنَاه بطريقة أخرى مع حذف اسم الجماعة وأجرهم في الآخرة، لأصبح بهذا الشكل: (فأما إن كان من...❖ فـ) يصبح الترتيب المقطعي المتكرر هو:

ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح/ص ح ص ...❖ص ح

ج.أصناف الناس في الآخرة:

يذكر اللّه أصناف الناس في الآخرة في هذه السورة في قالب صوتي تركيبي مقطعي واحد هو:

١ـ أصحاب الميمنة: (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) الآية: {٨}

٢ـ أصحاب المشأمة: (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة)الآية {٩}

٣. أصحاب اليمين: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) الآية {٢٧}
٤. أصحاب الشمال: (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الآية {٤١}

فوضع الحق تبارك وتعالى كل جماعة في القالب الصوتي التركيبي نفسه، مما يقتضي ترتيبا مقطعيا واحدا متكررا متطابقا تماما كما في الآيتين(٩،٨):

١. ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ ص ح ح /ص ح ص/ص ح ح / ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص.

وهو يقابل هنا بين: أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة؛ فحدث التطابق بينهما.

٢. ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

وهو يقابل هنا بين: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال؛ فحدث التطابق بينهما.

هذا التطابق الصوتي التام بين كل جماعتين: (أصحاب الميمنة // أصحاب المشأمة) وكذلك (أصحاب اليمين // أصحاب الشمال) جاء من تطابق كل جماعتين صوتيا معا، وكذلك في وزنهما الصرفي .

لقد أوجد هذا القالب المتكرر من المقاطع المتطابقة إيقاعا منتظما في الآيات نحسه مع تكرار تلك القوالب في أماكنها من السورة، حيث تم توزيع هذه القوالب في مواضع مختلفة من السورة.

الفصل الثاني

التنغيم والحوار

تقديم:

تُقَدِّمُ اللغةُ الحواريةُ ما يدور بين شخصين في لغة منطوقة تصحبها عناصر صوتية تحمل دلالات إضافية تقوم بتوجيه الكلام من معنى إلى آخر، إنها عملية تداولية تبين أثر استعمال اللغة كوسيلة تخاطب بين الناس، لهذا كان علينا دراسة المصاحبات الصوتية لتلك العبارة، وما يتبعها من تأثير تداولي على معانيها، فيُحَمِّلُ المتكلمُ عباراتِه بتلك المصاحبات الصوتية في أثناء حواره التداولي، لهذا نجد العبارة نفسها تعنى عدة دلالات يقوم المتكلم بواسطة تلك العناصر الصوتية بتحديد المعنى المراد في ذهنه؛ ثم يقوم السامع بحل شفرات العبارات، ثم النزوع للعمل بها "لقد وضّح لسانيو حلقة براغ اللسانية (Karcevski), (Mathesius)) تقطيعا لدفق الكلام يخضع لعوامل تداولية، كتقسيم الجملة إلى إنشاء وخبر، (هذا تقابل تعود صيغه الأولى إلى العصور القديمة). وشهدت فترة السنوات نفسها ظهور أعمال جديدة تتناول تعلم نغمية اللغة الإنجليزية... ومنذ السنوات١٩٦٠، بدأت الدراسات التي تعتمد على الآلات"(١).

---

(١) الصوتيات: ١٢٣

لقد انطلق هذا التحليل من الربط بين الجملة النحوية والظواهر الصوتية المصاحبة لتوليف رسالة كلامية تداولية، ويمكن إدراك ذلك بملاحظة الظواهر النبرية والنغمية والمقطعية بتلك الرسالة، وما تعبر عنه من معان مختلفة. "وقد كشفت الأعمال التي تناولت لغات أوربية مختلفة عن وجود علامات سمعية **لهيكل نغميٍّ** ذي مكونات مشابهة للمكونات التقليدية للنحو (لكن غير معادلة لها) كالفقرة والمنطوقة النغميتين، والمجموعة التنغيمية (أو المجموعة الكبرى)، والمركب الصواتي (مجموعة صغرى، أو مجموعة نبرية، أو مجموعة معنوية) والكلمة والنغمية والقدم والمقطع والقافية"[(١)].

هذه العلامات السمعية صنعتها هياكل نغمية تظهر في نطق المتكلم؛ ثم تُنقل من خلال الحوار إلى السامع الذي يحِلُّ شفرتها لوجود هياكل نغمية مماثلة لها في ذهنه، فالسامع لا يتلقى الرسالة الصوتية من المتكلم، بل يتلقى هياكل نغمية تحقق له التواصل.

فهناك "عوامل نغمية في الكلام العفوي، وفى مواقف حقيقية كالحوار مثلا، الذي تكون فيه الروابط بين النحو والنغمية أقل وضوحا، الذي تطغى فيه وظائف نغمية أخرى، لقد انفجر عدد من الدراسات المتعلقة بالنغمية... ،إذ نجد دراسات حول النغمية والخطاب، والنغمية وشخصية المتكلم، والتعبير عن المواقف والعواطف، والفروقات بين اللهجات وبين الثقافات... وخُصص لهذه المواضيع مؤتمر دولي يعقد كل سنتين بعنوان نغمية الخطاب، وبذلك فإن الآلات الجديدة التي تستطيع أن تبين بطريقة مرئية القناة الصوتية وحركاتها... باتت تسمح بإجراء دراسات مُعُمَّقة حول التفاعل بين النغمية ونطق المقاطع، وحول بنية الدماغية التي تشترك في العمليات النغمية"[(٢)].

لقد وصلت الدراسات الحديثة إلى هذا المستوى من العمق في تحليل العبارة المنطوقة بكل خصائصها الصوتية، وربطها بالمواقف الحوارية والخطابية، والعمليات العقلية المصاحبة لها بالبنية الدماغية لطرفيّ الحوار، فالمتكلم ينطق حسب اتفاق غير

---

(١) الصوتيات: ١٢٤

(٢) الصوتيات: ١٢٥

معلن بينه وبين السامع على خصائص صوتية يضعها في كلامه، كوسيلة تواصل معروفة ومحفوظة بأدمغتهما على الرغم من عفويتها.

من هنا كان الرابط قويا بين الحوار والتنغيم المصاحب له، لذا كان علينا عند دراسة النص القرآني (كنص منطوق جاءنا في قراءة متواترة تحرت الدقة المتناهية التي تجعله نصا منطوقا) أن ندرسه في إطار قضيتي الحوار والتنغيم.

أولا: التنغيم Intonation

١- ما التنغيم؟

هو درجة الصوت التي تصدر عن المتكلم؛ وتتحكم فيها آلة داخله هي الأوتار الصوتية (شدة أو ضعفا) فتجعل الصوت شديدا أو ضعيفا حسب كمية الهواء الخارج عبر تلك الأوتار، وشدته أو ضعفه عند احتكاكه بها. "فهو عبارة عن تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو خاص بالجملة أو أجزاء الجملة، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة"[١] وهو" الصور العامة التي تتمثل في مجموعة النغمات، التي تشمل نوع خاص من أنواع الحدث اللغوي." [٢]

قيمة تحليل درجة الصوت (التنغيم):

"نتيجة لأن النغمية تتمثل في تغيرات التردد الأساسي، وفى متلازمات نوعية الصوت (طريقة اهتزاز الطيات الصوتية) وفى تغيرات المدة والشدة المادية، كذلك في البدائل الصوتية..فإن تغيير هذه المعايير يستلزم مشاركة كل الأعضاء التي تسمى بـ أعضاء النطق"[٣] لهذا يجب إدخال كل العناصر السابقة ضمن عملية

(١) الدراسة الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث: ٢٣٢

(٢) الدراسات الصوتيات عند العلماء العرب: ٢٣٤ وأصوات اللغة ٥٥ وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي١٩٤ ومدخل إلى علم اللغة٨٢.

(٣) الصوتيات: ١٢٥.

تحليل التنغيم الذي يكوِّن خصائص الصوت بدرجاته التنغيمية المختلفة.

"يتعلق العروض (أو دراسة التنغيم بالمعنى الواسع) بما يوجد في مستوى أعلى من مستوى أصغر وحدة قابلة للعزل على الصعيد الصوتي أو الصوتمي، سواء سمّي وحدة صوتية (phone)، أو قطعة، أو صوتما، تبعا لمستوى التحليل المتوخى[١]."

و"يتميز كل صوت بطيفه المحدد طبقا لمناطق توزّع الطاقة (محدثا جرسا متميزا على صعيد الإدراك والسمع). وبالمدة التي تتنوع أثناءها الشدة الجُمَليِّة والتردد الأساسي ،إذا كان الأمر يتعلق بصوت مركب دوريّ." ويُمكن لكل واحد من المقاييس المستخرجة من طيف، ومدة، وشدة وتردد أساسي أن يستعمل في لسان معين في مستوى بيان خصائص الوحدات الدنيا من نوع الوحدة الصوتية والصوتم والقطعة ...

"لكن هذه المقاييس السمعية تصلح أيضا لبيان خصائص الظواهر العروضية أو التنغيمية (بالمعنى العام) المفاصل والوقف والتنبير والتنغيم (بالمعنى الضيق للفظ الموافق للاتساق النغمي على الصعيد الإدراكي) يمكّن انتظام تغيِّرها المتفاوت مدى على المحور الزماني من تحديد مفهوم الإيقاع في المستوى الإدراكي، ويمكّن عدد الوحدات الدنيا الملفوظة في الثانية الواحدة (وحدة صوتية أو مقطع) من أن نتكلم على منسوب التدفق أو نسقه العام أو المحليّ. [٢]"

يبين ذلك قيمة الأصوات التطريزية في إيجاد العلاقة بين إنتاجها وسماعها وإدراكها بخصائصها النطقية والسمعية والطيفية، وذلك لما تحمله كل جملة من طاقة جُمليَّة، فكل صوت يتميز بطيفه المحدد بناء على مناطق توزيع الطاقة الخاص به، والمدة الزمنية التي ينطق فيها ،وتردده الأساسي، مما يُظهر خاصية كل صوت، وإمكانياته. ويبدو هذا من خلال المظاهر العروضية أو التنغيمية المختلفة نحو: (المفصل. الوقف . النبر . التنغيم).

---

(١) المعجم الموسوعى الجديد فى علوم اللغة: إشراف أوزوالد دوكرو ـ جان ـ ماري شافار، ترجمة عبد القادر المهيرى ـ حمادى صمود، المركز الوطنى للترجمة تونس.٢٠١٠ ص٣٤١.

(٢) المرجع السابق: ٣٤١.

٢. نوع التنغيم ووظيفته :

يقول كلود هاجيج عن التنغيم "حقل مفتوح لافتراضات النزعات العامة، وقلما استكشف، إنه حقل التعبيرية. لا ريب أن التنغيم لا يتفرد بالتعبيرية، مثلما أن المنظومات الصوتية لا تنفرد بالتعبير عن المعنى التصوري. إلا أن التنغيم يقوم في التعبيرية بدور كبير، قد يتعداها ربما إلى حقل النحو المجرد. التنغيم هو مجموعة التغيرات التي تطال كل سلسلة من الكلمات... يساهم التنغيم، ولو بشكل منقوص، بتقليص الفجوة بين التنوعات الهائلة للمعاني، والفقر في الوسائط الشكلية التي تعبر عنها."[(١)] فبين كلود قيمة التنغيم في قضية الحوار ودوره فيها، وكيف أن التنغيم يوجه البناء النحوي للجملة، ويحدد بشكل كبير المعنى المراد من العبارة.

١-٢ دور المتكلم في تحديد وظيفة التنغيم:

إن تحديد وظيفة التنغيم تنطلق من نوع التنغيم، الذي ينطق به المتكلم، فالمتكلم الذي يعبر عن معنى ما؛ يختار له النمط التنغيمي الذي يعطيه هذا المعنى؛ الذي له مثيل في ذهن السامع كنمط تنغيمي لديهما، فيتم التواصل بينهما في إطاره، مما يدفعنا إلى القول: إنه على الرغم من أن العلماء ذكروا وظائف كثيرة للتنغيم؛ لكن يظل التحديد الدقيق لوظيفة التنغيم سرا كامنا في نفس المتكلم؛ يدركه السامع أو لا يدركه، فعلى قدر إدراك السامع لمضمون الرسالة (صحيحا كان أو خطأً) يكون سلوكه كرد فعل على ما فهمه من تلك الرسالة؛ هذا الإدراك لتلك الرسالة هو عندي أساس التفاعل بين طرفي الحوار (المتكلم والسامع) في أحاديثهما المستمرة في كل يوم.

وقد أشارت جاكلين إلى دور المتكلم بصفته المؤدي للغة المنطوقة: "يدعو تأثير عوامل الأداء، وكذلك تعدد وظائف التنغيم إلى توخي الحذر الشديد في

(١) بنية الألسن: كلود هاجيج، تر/ أحمد حاجي صفر. المنظمة العربية للترجمة. ط١ ٢٠١٦ ص ٤٩.

صياغة قواعد النغمية، إذ لا يوجد في الوقت الحالي نظام ممكن للتعرف على التنغيم، على غرار الأنظمة الموجودة للتعرف على الكلام، ويعود ذلك إلى أنه يتم تشكيل نغمة القول بواسطة عدد كبير من العوامل التي إلى حد ما لا يمكن التنبؤ بها. كما أن تسارع دفق الكلام يحد من دقة التركيبة النغمية ومن عدد الموسوم من مستويات المكونات. [(١)]"

لقد تَحَكَّمَ المعنى في بناء العبارة؛ وكان التنغيم الذي يصنعه المتكلم هو دليلنا على ذلك، فالتنغيم تابع لما استقر في ذهن المتكلم من معنى لذا يختار لهذا المعنى هذا التنغيم المسطح (المستوى)أو الهابط أو الصاعد؛ ليعبر به عمًّا في ذهنه من فكرة، وقد ذكر دور التنغيم في تقسيم الآيات، والكلام العادي على أساس منه؛ وجعله مرتبطا برغبة المتكلم في التعبير عن معان محددة. د.تمام حسان، فقال: "وكثيرا ما يرى المتكلم أن المعنى يتطلب تقسيم الجملة تنغيميا بحسب الاعتبارات الإلقائية إلى فقرة تنفيسية تتصل بوجود مفاصل من الألفاظ كأدوات العطف وغيرها؛ فيقف المتكلم عند كل فقرة تنفسية منها بنغمة مسطحة على نحو ما حدث في الآيات التي أوردناها"[(٢)].

٢-٢ وظيفة التنغيم:

ذكر العلماء وظائف كثيرة للتنغيم؛ تتنوع بتنوعه في كل لغة أو لهجة حسب خصائصه النطقية في تلك اللغات واللهجات، ذكرت جاكلين كثيرا منها بصورة عامة، ثم قامت بشرح كل وظيفة مع تحليل صوتي لها كتنغيم مستقل له خاصية صوتية؛ تتضح معها قيمته الدلالية؛ بناءً على الأداء الصوتي له. تقول: "يمكن تعريف النغمة من خلال وظائفها التي تتضمن: وظيفة معجمية، وتحديدية، وتداولية، وسلوكية، وانفعالية، وتعريفية، وأسلوبية. ومن وجهة النظر اللسانية، غالبا ما توصف النغمية على أنها مجموع ظواهر التنبير المعجمي والتنغيمي، وكذلك

---

(١) الصوتيات: ١٤١.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٠.

مجموع عوامل الأداء، ومن بينها الإيقاع"[١] يجب أن نُدْخِل تلك العناصر ضمن تحليلنا للتنغيم في كل لغة نريد أن نعرف معانيها المختلفة.

ونحاول استعراض أهم وظائف التنغيم؛ لنبين القيمة الكبرى للتنغيم في إضافة معان جديدة للجملة. فقد برع المتكلمون في إبداع معان إضافية للجملة؛ باستخدام درجة الصوت (التنغيم)، فلا يمكن تحديد كل هذه الوظائف؛ لأن الإبداع البشري لا ينتهي، لهذا قالت جاكلين: "لا يوجد في الوقت الحالي نظام ممكنن للتعرف على التنغيم، على غرار الأنظمة الموجودة للتعرف على الكلام، ويعود ذلك إلى أنه يتم تشكيل نغمة القول بواسطة عدد كبير من العوامل التي إلى حد ما لا يمكن التنبؤ بها." [٢]، ومن هذه الوظائف:

أ- الوظيفة المعجمية:

ترى جاكلين أن الكلمة التي في المعجم تملك دلالات مختلفة، حسب طريقة تنغيمها؛ فكل تنغيم للكلمة يمنحها معنى يختلف عن معناها في التنغيم الآخر. تقول" التنبير المعجمي مفهوم مجرد. فهو خاصية باطنة للكلمات والمورفيمات، مخزنة في المعجم الذهني... في لغة ذات أنغام معجمية... يحمل مقطعان صوتيان مؤلفان من الفونيمات نفسها معنيين مختلفين، وذلك وفقا لنغم الكلمة ... في لغة ذات نبر معجمي... مثل الإنجليزية أو الألمانية أو الإيطالية أو الروسية، يمكن التمييز بين كلمتين تتضمنان التسلسل نفسه من الفونيمات بواسطة المقطع الصوتي الذي يحمل النبر الأساسي: هكذا، فإن الاسم ʻpermit (تصريح، ترخيص) بالإنجليزية يختلف عن كلمة per’mit (سمح)... نقول إن المقطع المنبور هو موقع مفضل لإرساء المورفيمات التنغيمية"[٣].

---

(١) الصوتيات: ١٢٦.

(٢) المرجع السابق: ١٤١.

(٣) الصوتيات: ١٢٧.

إن التنغيم المعجمي للكلمة (الكلمة في المعجم خارج السياق) يبين ما تملكه الكلمة من قدرات تعبيرية حسب طريقة تنغيمها، لذا حرصتْ كثيرٌ من المعاجم على تدوين كلماتها مقرونة بطرق نطقها المتعددة؛ لتتضح المعاني المختلفة التي ينتجها كل نطق لها، حسب هذا التنغيم أو ذاك.

ب- الوظيفة النحوية:

تقوم العلاقة بين التنغيم والنحو على أساس وظيفة تحديدية؛ يقوم بها التنغيم للتمييز بين الجملة النحوية الواحدة، فالنحو قالب تركيبي تُبنى على أساسه الجمل الصحيحة في اللغة، وتنوع التنغيم في الجملة الواحدة يمكنه أن يمنحها معان مختلفة من نفى أو إثبات أو تأكيد. "فالتنغيم، كالتنبير المعجمي، فئة مجردة، ... فهو يشير... إلى نظام لغوى متمايز لهيكلة القول (وظيفة تحديدية، يعينها في الوقت نفسه النحو والتداولية) وإلى نظام تعبير عن فوارق في المعنى والمواقف والانفعالات (وظائف سلوكية وانفعالية). ويعكس عدد من المواقف المختلفة مظاهر التنغيم المعقدة. فقراءة الجمل المنعزلة، وحتى الملتبسة منها، تلقى الضوء على (وظيفة التنغيم التحديدية) التي ترتبط بالنحو: ويميل الحد الأكبر إلى التموضع بين الفاعل والفعل"(١)
يقوم التنغيم بوظيفة تحديدية؛ يصنعها النحو بقواعده المحفورة في ذهن أبناء اللغة، والمحدِّدَة لأركان الجملة ودور تلك الأركان في بناء الجملة. هذا يوضح مدى تأثير التنغيم في صناعة القالب التركيبي للجملة، وكيف يمنحها كل هذه المعاني." كيف تُحدد (صوتية تركيبية) للجملة البسيطة، أي نحو متضمن للعلاقات بين الأبنية الصرفية التركيبية والأبنية العروضية. مهما كانت النظرية النحوية المتوخاة، وإذ ما تركنا جانبا مسألة الأمر والطلب، يمكن أن نعتبر أن الملفوظ يحيل قبل كل شيء، في الفرنسية وفى كل لسان آخر، إلى وضع علاقة إسنادية تقام باعتبارها إثباتا بالإيجاب أو النفي أو عدم إثبات... كثيرا ما يدور الكلام حول الجهة الاستفهامية أو الجهة التصريحية للملفوظ وما بعدها. توسم هذه الجهات باستعمال علامات صرفية

---

(١) الصوتيات: ١٢٩

وعلامات ترتيب الكلمات والتنغيم، استعمالا يؤلف بينها أو استعمالا مفردا لأحدها، ويمكن للجهة الاستفهامية، في الفرنسية وفى عديد من الألسنة الأخرى، ألا توسم إلا بالتنغيم، وبصفة أدق بتصاعد تناغمي في آخر الملفوظ"[١].

هذا الأمر جعل للتنغيم دورا أساسيا في توجيه دلالة الجملة، مهما كانت الجملة التي ينطق بها بسيطة، وهذا يحدث في كل اللغات. حيث يكون تصاعد التنغيم (تنغيم صاعد) دالا على الاستفهام بصورة عامة. "فإذا نطقت الجملة بتنغيم صاعد، فإنها تدل على الاستفهام مثلا. كما يقوم التنغيم بتمييز المراد من الاستفهام أو السؤال، كأن يكون المراد توبيخا أو تقبيحا أو استنكار.[٢]" فالصيغة التنغيمية منحنى نغمى خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي"[٣] لذا تبدو الوظيفة النحوية للتنغيم"في تحديد الإثبات والنفي في الجملة، فالأمثلة العربية التي وردت للنداء بدون حرف نداء أو أداة الاستفهام، كانت تعتمد على التنغيم للدلالة على هذا المعنى المعين. ويكون وجود التنغيم في هذه الحالة هو المميز الوحيد بين عضوي "الثنائي الأصغر"[٤].

ج ـ الوظيفة التداولية:

وكذلك الجانب التداولي الذي يقوم على الحوار المتداول بين شخصين (متكلم وسامع) يصنعان به دلالة الجملة، فالتداول له دور كبير في الجملة "فيمكن للتقطيع التداولي أن يبدل بعُمق التحديد الناتج من تركيبة الجملة، ذلك أن التداولية تُهيمن في القول، في نهاية الأمر، لأنها ذات طبيعة دلالية كما في الجملة: l'écolier part / à l'école وتسمح قراءة النصوص باكتشاف وجود بنيةٍ تفوق مستوى الجملة، يتم فيها إبراز المعلومات الجديدة، ... فدراسة محادثة ما توضح {وظيفة التنغيم الخطابية} في معناها الأوسع: إذ تساعد النغمية في تمييز المعلومات التي

(١) المعجم الموسوعي الجديد فى علوم اللغة: ٣٤٥

(٢) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث: ٢٣٤

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٦.

(٤) دراسة الصوت اللغوى: ٣١٥.

سبق وتبادلها المتكلم والسامع عن المعلومات الجديدة[١]. كما أنها تساعد في إدارة أدوار الكلام؛ فهي تشير إلى أن الجزم في قول ما نهائيٌّ أو أن هذا القول ينتظر أن يؤكده المحاور: إذ يمكن لـ {لا} (non) أن تشير إلى رفض قاطع، أو أن توحي إلى إمكانية مناقشة الرفض. وأحيانا يمكن لـ {لا} أن تعنى {نعم}."[٢]

د ـ الوظيفة الانفعالية:

يمكن أن يُحْدِثَ التنغيمُ بتأثير انفعال ما؛ تغيرا دلاليا في الجملة "يمكن لنا في الفرنسية وفى كل لسان آخر، أن نعبر عن موقف بوسائل معجمية كما هو الشأن في الملفوظ، للتأثير فيك؛ ولأحقق رغبتي سأقول لك (إنني جائع) أود أن أحصل على شيء آكله بفضل منك توّا. لكن ربما يكفى في الكلام، أن أتلفظ قائلا: إني جائع، تلفظا له منحنى تنغيمي معين. يمكن للتأثير في الغير والتعبير عن انفعال أن يُشار إليهما باستعمال عناصر معجمية تركيبية مصحوبة أو غير مصحوبة بتغير عروضي ناشئ عن الثقل الدلالي للكلمات المستعملة لكن يمكن للمؤثرات العروضية وحدها أن تكفي للقيام بهذه الوظائف ، فالأمر يتعلق فعلا بالدلالة على صعيد المواقف المؤداة بواسطة التنغيم"[٣] إن قدرتنا التعبيرية عن الانفعالات المختلفة التي صنعها فينا التنغيم تساعدنا على فهم حوارات كثيرة تدور بين أشخاص كثيرة؛ فنستنتج منها معانٍ، ويمكننا ملاحظة ذلك في حوارات الواقعة.

يلح إ.فوناغى على أنه يمكن تمييز التعبير عن الانفعالات من التعبير عن المواقف بواسطة اختلاف الاستعمال للمقاييس الصوتية. تستعمل الانفعالات البدائية كالفرح والغضب والحزن مقاييس غير المقاييس العروضية البحت مثل تهميس المجهور والضغط الحلقيّ أو التأنيف، يمكن أن نقول إن المتكلم يعبر، في هذه

---

(١) يعرف فى التداولية بالافتراض السابق." يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس مما يفترض سلفا أنه معلوم له. انظر "الإشهار القرآنى"د.عطية سليمان،كاديمية الكتاب١٧٥.

(٢) الصوتيات: ١٣٠.

(٣) المعجم الموسوعى الجديد في علوم اللغة: ٣٤٦

الحالة، عن انفعال ليتخلص منه دون أن ينتظر حتما من المخاطب جوابا، وخلافا لذلك فإن المتكلم يستعمل، في التعبير عن موقف مثل السخرية الخفية أو عدم التصديق، استعمالا متواضعا عليه في لسان معين، مقاييس عروضية أساسا؛ فهو ينتظر رد فعل من مخاطبه الذي يعنى بالرسالة، فالأمر يتمثل فعلا في تجسيم الوظيفة الندائية"[١].

هـ- الوظيفة الأسلوبية:

"اقترح بيارلايون نسقية صوتية تُسمى صوتية أسلوبية، يمكن في ما يخص الفرنسية، أن تلخص كما يلي:

إن المؤشرات الدالة هي التالية: متوسط المستوى التناغمى (سجل)/العدول التناغمي، / صورة الشكل التناغمي (الذي يمكن أن يتضمن التناغمية، والوجه الزمنى للمتغيرات التناغمية)/ متوسط الشدة الكلية/ عدولات الشدة/ الوقف/ مدة الملفوظ . إن التغير المنتظم لهذه المؤشرات، انطلاقا من قيمة مرجعة مستخرجة من الإنتاج المعتبر [محايدا] لملفوظ عادى تتسبب في تغيير يطرأ على تأويل السلوك الانفعالي. يمكن لملفوظ مثل: اشترى الطلبة موسوعة اللغة، أن يحيل إلى مواقف مختلفة للمتكلم حسب التنغيم المستعمل"[٢].

إن الأسلوبية التي يعنيها هنا هي أسلوبية الموضوع؛ حيث لكل موضوع خصائصه الصوتية الأسلوبية، الناتجة عن الانفعال المصاحب له، "هكذا يتميز الفرح والسخرية الخفية، بتغير إيجابي لكل المؤشرات ... ويتسم الإعجاب بتغير إيجابي لكل المؤشرات ... ويتسم الغضب بتنقيص مدة الملفوظ دون تغير في العدول التناغمي... "[٣]

وهناك أسلوبية تخص المتكلم نفسه؛ كتميزه بخصائص تنغيمية تخص

---

(١) المعجم الموسوعى الجديد في علوم اللغة: ٣٤٧

(٢) المرجع السابق: ٣٤٧.

(٣) المرجع السابق: ٣٤٧.

صوته هو دون سواه. كما لدى أصحاب المهن الكلامية " فيمكن أن يكون لبعض الخيارات التنغيمية ذات الطبيعة الأسلوبية ارتداد على مكونات أخرى نغمية: وهكذا غالبا ما يستخدم الخطباء في اللغة الفرنسية (مقدمو البرامج، أو رجال السياسة، أو الأساتذة) تنبيرا ابتدائيا... ويكثرون من استخدام نبرات الإلحاح الذي يهدف إلى إظهار إشراك المتحدث شخصيا في خطابه... بالإضافة إلى الخيارات الأسلوبية: كوقف الإلحاح (وقف أمام الكلمة المراد إظهارها). والوقف بين الأقوال. أثبتت دراسات دويز على اللغة الفرنسية أن رجال السياسة يقفون أكثر أثناء الكلام ولمدة أطول ما أن يتم انتخابهم"[(١)]

و ـ الوظيفة غير تمييزية للتنغيم:

هناك وظائف أخرى للتنغيم ترتبط بطبيعة اللغة المعينة ولا ترتبط بشخص المتكلم ولا بطبيعة الموضوع، فنجد "معظم أمثلة التنغيم في العربية (ولهجاتها) من النوع غير التمييزي الذي يعكس إما خاصية لهجية، أو عادة نطقية للأفراد، ولذا فإن تقعيده أمر يكاد يكون مستحيلا. فكل المحاولات التي قدمت حتى الآن لدراسة التنغيم في اللغة العربية قامت على اختيار مستوى معين من النطق وعلى اختيار نغمات الصوت بالنسبة لفرد معين داخل هذا المستوى. ولكن التنوع بين الأفراد في هذه الناحية يحول بين الباحث وبين تعميم النتائج. وأكثر ما يستخدم التنغيم في اللغات للدلالة على المعاني الإضافية، كالتأكيد والانفعال والدهشة والغضب...إلخ"[(٢)].

ز ـ علامات الترقيم:

ويرى د. تمام حسان وظيفة أخرى للتنغيم، يقول: "يقوم التنغيم في الكلام بوظيفة الترقيم في الكتابة غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة. وربما كان ذلك لأن ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر مما

---

(١) الصوتيات: ١٤٣.

(٢) دراسة الصوت اللغوى: ٣١٥

يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التأثير وربما كان ذلك لسبب آخر[١].

وقد قال بذلك من بعد أستاذنا د. تمام حسان كلود هاجيج " إن العديد من الأقوال، إذ لم نلق بالا إلي تنغيمها، وإذا ما عزلناها بشكل مصطنع، ستبدو لنا غير صحيحة نحويا: lui,venir? [آت، هو] مع تنغيم صاعد بسرعة نحو المستوى بالغ الحدة(والذي توحي به بشكل غير دقيق علامات الترقيم) تعنى، من بين ما تعنيه، كيف لنا أن نعتقد أنه لن يأتي أبداً؟[٢]" وهنا نجده يتفق مع د. تمام في أن التنغيم أكثر دقة في الدلالة علي المعنى من علامة الترقيم.

٢ـ٣ أنوع التنغيم:

تمتلك اللغات الإنسانية أنواعا من النغمات، تستخدمها في كلامها المنطوق هي:

١- النغمة المستوية (العادية) وهى النغمة التي توجد في عدد من مقاطع الكلمة بدرجة واحدة، ...

٢- النغمة الصاعدة: وهى تعنى وجود درجة منخفضة في مقطع واحد أو أكثر، تليها درجة أكثر علوا منها وقد تكون النغمة الصاعدة مركبة من نغمة منخفضة تليها نغمة متوسطة، وقد تكون مركبة من نغمة متوسطة، تليها نغمة عالية. (وتكون في حالات: الأمر ـ التعجب ـ التناقص).

٣- النغمة الهابطة: وهى تكون مع درجة عالية في مقطع أو أكثر، عليها درجة أكثر انخفاضا منها، وقد تكون النغمة الهابطة مركبة من نغمة متوسطة الدرجة تليها نغمة منخفضة، كما قد تكون مركبة من نغمة عالية الدرجة تليها نغمة متوسطة[٣]".

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٧

(٢) بنية الألسن: ٤٩

(٣) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث: ٢٣٢.

٢ـ٤ نوع التنغيم يحدد معنى العبارة:

يمكن وصف النظام التنغيمي للغة العربية بواسطة تقسيمه من وجهتي نظر مختلفين: إحداهما: شكل نغمة آخر مقطع وقع عليه النبر في الكلام.

والثانية: هي المدى الذي بين أعلى نغمة وأخفضها في الصوت سعة وضيقا. فأما من حيث وجهة النظر الأولى، فينقسم نظام تنغيم الفصحى إلى لحنين: الأول: ينتهي بنغمة هابطة على آخر مقطع وقع عليه النبر والثاني: ينتهي بنغمة صاعدة على المقطع المذكور. وأما من حيث وجهة النظر الثانية فينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: الواسع، والمتوسط، والضيق. ومن جميع هذه الاعتبارات معا نرى أن اللحن العربي للكلام يمكن أن يكون على أحد النماذج التنغيمية الستة الآتية:

الأول: الواسع. الثاني: الواسع.

الأول: المتوسط. الثاني: المتوسط.

الأول: الضيق. الثاني: الضيق.

[ربط وصف التنغيم بمعناه]

١ـ الواسع: ما كان نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصوتية بواسطة الهواء المندفع من الرئتين، فيسبب ذلك اهتزازا أكبر للأوتار الصوتية ومن ثم يعلو الصوت. ومن أمثلة استعماله الخطابة والتدريس ... والصياح الغاضب ونحو ذلك.

٢ـ المتوسط: يستعمل للمحادثات العادية، وهو أقل تطلبا لكمية الهواء وما يصحبها من علو الصوت.

٣ـ الضيق: فهو المستعمل في العبارات اليائسة الحزينة وفى الكلام بين شخصين يحاولان ألا يسمعهما ثالث... فالسعة والتوسط والضيق تتصل باصطلاحات علو الصوت وانخفاضه هنا.

أما الاصطلاحان: الأول والثاني فلا يصفان إلا نغمة آخر مقطع وقع عليه النبر في الجملة من الكلام؛ فإذا كان هذا المقطع منحدرا من أعلى إلى أسفل فذلك هو الشكل الأول للحن العربي، وإن كان صاعدا من أسفل إلى أعلى فهو الشكل الثاني، ومع أن الشكل الأول هو المستعمل في الإثبات والنفي والشرط والدعاء وجميع الجمل حتى إنه ليشارك الثاني في مجاله وهو الاستفهام والعرض

فيشمل الاستفهام بالظروف نحوها دون الأداتين (هل والهمزة) نرى الشكل الثاني قاصرا على الاستفهام بالأداتين فقط وهو النوع الوحيد من أنواع الاستفهام الذي ينتهي بنغمة صاعدة." [١]

إن كلام د.تمام حسان يبين ارتباط نوع التنغيم بمعنى العبارة؛ فيتنوع بين تنغيم صاعد وهابط، وتتنوع معه المعاني كما ذكر آنفا.

التنغيم المستوي عند د. تمام:

"إذا وقف المتكلم قبل تمام المعنى؛ وقف على نغمة مسطحة لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة، ومن أمثلة ذلك الوقف عند كل فاصلة مكتوبة في الآيات الآتية: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ [القيامة: ٧ -١٠] فالوقف على البصر والقمر أولا، والقمر ثانيا، وقف على معنى لم يتم؛ فتظل نغمة الكلام مسطحة دون صعود أو هبوط، أما الوقف عند المفر فالنغمة فيه هابطة ؛ لأنه وقف عند تمام معنى الاستفهام بغير الأداة أي استفهام بالظرف." [٢] ونرى حدوث ذلك بكثرة عند تحليلنا لسورة الواقعة .

{ الهيكل التنغيمي }

يقترح I.Fonagy مصطلح cliché mélodique (قالب تناغميّ) لوصف تشكيلات عروضية مستقلة ممثلة لخصائص الكلام في مختلف المستويات الخطابية أو التداولية أو السياقية" [٣] فيجعل لكل لغة مجموعة من القوالب التنغيمية محفوظة في ذاكرة أبناء هذه اللغة، هذه القوالب التناغمية تعطى تصورا للبناء الصوتي في تلك اللغة؛ صنعه التنغيم في الحوارات الخطابية أو التداولية أو السياقية؛ يتكرر في تلك اللغة باستمرار، مما يجعل الكلام مفهوما على الرغم من عدم وضوح بعض أصوات العبارة أحيانا، لهذا يقترح I.Fonagy هذا المصطلح ليصف به الأنماط

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٩ ـ٢٣٠.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣١.

(٣) المعجم الموسوعى الجديد في علوم اللغة: ٣٤٩.

المختلفة للكلام في هذه اللغة على مختلف مستويات التعبير فيها. فإذا سمعنا جزاءً من هذا القالب التناغمي أمكننا استكماله مما في ذاكرتنا من صورة كاملة لهذا القالب التناغمي لذا كان من السهل علينا فهم حديث الأصم الأبكم على الرغم من أنه لم ينطق بلفظة واحدة، بل نطق بأصوات يُفهم منها أنه يسأل أو يسخر أو ...، هذا لأننا كأبناء تلك اللغة لدينا قوالب أو هياكل تنغيمية محفوظة في الذاكرة للعبارة الاستفهامية والاستنكارية والسخرية؛ فنفهم كلامه، وإن لم ينطق بلفظة واحدة في كلامه كله، وقد استعانت الدراسات الحديثة في معاملها الصوتية بالأصوات التنغيمية التي يصدرها الأصم لفهم كلامه.

هنا تبدو قيمة القوالب التنغيمية في فهم الكلام الناقص "فإن التنظيم الإيقاعي والتنغيمي المحكم يؤدى إلى فهم حسن، حتى ولو لم يكن إنجاز القطع مرضيا بكل مكوناته، وهذا ما يعرفه جيدا من ... يهتمون بإنجاز وإدراك كلام الصم، أو الأشخاص الذين يتحكمون في التصويت تحكما رديئا"[١] فهؤلاء الأشخاص خاصة الصم يتم التفاهم معهم عن طريق الهياكل التنغيمية التي تصدر عنهم، التي يفهم منها السامع مقصدهم على الرغم من خلوها من أي لفظ منطوق.

وقد أشار د.تمام حسان قبله إلى قيمة الهيكل التنغيمي في بيان معنى العبارة؛ فجعله ضمن قرائن التعليق اللفظية في السياق التي تميز معاني الجمل؛ بناءً على القالب التنغيمي الذي ترد فيه، فجعل لكل سياق قالبا تناغميا يميزه "فالتنغيم هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق. نحب هنا أن نعقد شبها بين هذه الصيغ الصرفية التي للكلمات وبين صيغ أخرى تنغيمية تتصل بالمعاني النحوية التي للجملة لا للباب المفرد فالجملة العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة. فالهيكل التنغيمي الذي تأتى به الجملة الاستفهامية، وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة. فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة؛ فاؤها وعينها ولامها وزوائدها وملحقاتها نغمات معينة بعضها مرتفع وبعضها منخفض وبعضها يتفق مع النبر

---

(١) المعجم الموسوعى الجديد في علوم اللغة: ٣٤٥.

وبعضها لا يتفق معه، وبعضها صاعد من مستوى أسفل وبعضها هابط من مستوى أعلى فالصيغة التنغيمية منحنى نغمى خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي. كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفي للمثال[1]"

إن الهيكل التنغيمي الذي يشير إليه د. تمام يُعدُّ وسيلة يتوصل بها السامع لفهم رسالة المتكلم لولاه ما تحقق هذا التواصل بينهما، فالسامع لا تصل لأذنه رسالة المتكلم بكل أصواتها، لكن يصله الهيكل التنغيمي الخاص بها. فيقوم بحل شفرتها الصوتية؛ بمقابلتها بما في ذهنه من رسائل صوتية مماثلة محفوظة لديه ضمن البناء الصوتي للغته الأم؛ ومن خلال المقارنة بينهما يتضح معنى الرسالة؛ لوجود ما يشبهها في مخزونه الذهني، فيستدعيه ليسد به الشواغر الصوتية المختلفة التي في الرسالة؛ فقد استنتجها من القالب التنغيمي الذي لديه.

ويمكننا على ضوء هذه الفكرة أن صنع هيكلا تنغيميا لبعض آيات سورة الواقعة التي نرى بينها تطابقا صوتيا؛ يمكن أن يكوّن لنا إيقاعا متماثلا متكررا في كل آية من تلك الآيات التي جاءت في الهيكل التنغيمي نفسه.

كيفية صنع الهيكل التنغيمي:

في إطار معالجة قضية الهيكل التنغيمي ومدى صحة هذه الحقيقة الصوتية من خلال آيات سورة الواقعة كموضوع دراستنا؛ فإننا نحاول هنا بناء هيكل تنغيمي للآيات التي تتوافق صوتيا في سورة الواقعة؛ لهذا علينا عمل الآتي:

أولا: تحديد الآيات مع تلخيص أقوال المفسرين عن معناها الأساسي والإضافي.

ثانيا: مقابلة البناء الصوتي للآيات؛ بوضعها تحت بعض لبيان اختلافها ـ اتفاقها وتتمثل عناصر التوافق والاختلاف الصوتي في الآيات في الجوانب الآتية:

١ـ الحروف . ٢ ـ المقاطع: أنواعها وعددها وترتيبها. ٣ـ النبر. ٤ـ التنغيم.

فيصنع هذا التوافق في تلك العناصر الصوتية هيكلا تنغيميا متكررا في الآيات:

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٦.

ولهذا يجب علينا تحديد هذه النقاط في كل آية وهي:

أ - نوع التنغيم بالفاصلة: صاعد أو هابط.

ب - تحديد موضع النبر بفاصلة الآية، ومقابلته بموضع النبر في سائر الآيات.

ج - المعاني التي صنعها التنغيم وما ذكره المفسرون من معان أخرى للآيات.

ثالثا: عرض تصور لهيكل تنغيمي لتلك المجموعة يشمل كل الآيات نبينُ فيه:

١. العناصر الصوتية التوافقية التي صنعها هذا الهيكل التنغيمي في الآيات.

٢. بيان مواضع تلك العناصر بكل آية، ومقابلتها بأختها في الآيات الأخرى .

٣. بيان نقاط الخلاف بين بعض الآيات التي توضح تميزها الصوتي عن أختها.

مثال قرآني من سورة الواقعة:

يمكن معرفة صحة هذه الفكرة من خلال عقد مقارنة بين آيات تحمل هيكلا تنغيميا واحدا يتكرر في كل آية منها؛ وملاحظة عناصر التوافق الصوتي التي توجد في هذه الآيات، التي صنعت هيكلها التنغيمي، لنقول في نهاية الدراسة: إن الهيكل التنغيمي لهذه الآيات بكل خصائصه الصوتية؛ قادرٌ عند ذكره على استدعاء الآيات التي تماثله، وترتبط صوتيا بهيكله التنغيمي، وتنتمي إليه.

يمكننا تطبيق هذه الفكرة من خلال مجموعتين من الآيات في سورة الواقعة:

المجموعة الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ ﴾

في مقابل قوله : ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩ ﴾

المجموعة الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ ﴾

في مقابل قوله: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ ﴾

المجموعة الأولى (الآيات: ٨-٩)

نحاول تطبيق المقترح السابق بإنشاء الهيكل التنغيمي لهذه المجموعة المكونة من الآيتين (٩،٨) من سورة الواقعة؛ وهما آيتان متتاليتان مما يجعل الشعور بتطابقهما الصوتي واضحا، حيث نسمع في الآية الأولى هيكلا تنغيميا، ثم نجده يتكرر في الآية التالية لها، كأننا نكرر نطق الهيكل التنغيمي للآية الأولى.

أولا: أقوال المفسرين

١ـ القرطبي:

المعنى الأساسي:

"فأصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار؛... والمشأمة الميسرة، وكذلك الشأمة... وقال زيد بن أسلم: أصحاب الميمنة هم الذين أخذوا من شق آدم الأيمن يومئذ، وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر[١].

المعنى الإضافي:

ذكر أن: "التكرير في ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة للتفخيم والتعجيب، كقوله: الحاقة ما الحاقة و القارعة ما القارعة كما يقال: زيد، ما زيد! وفي حديث أم زرع رضي الله عنها: مالك وما مالك ! والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب ولأصحاب المشأمة من العقاب." [٢]

٢ـ الرازي:

المعنى الإضافي:

تناول الرازي المعاني الإضافية لهاتين الآيتين بتفصيل أكبر أظهر علم الرجل،

---

(١) تفسير القرطبي: ج٩ ص٦٣٦٨

(٢) تفسير القرطبي: ج٩ ص٦٣٦٨

وقدرته على التحليل الدلالي والغوص في أعماق المعنى، فقال "ما معنى قوله: { مَا أصحاب الميمنة} ؟ نقول: هو ضرب من البلاغة وتقريره هو أن يشرع المتكلم في بيان أمر ثم يسكت عن الكلام ويشير إلى أن السامع لا يقدر على سماعه كما يقول القائل لغيره: أخبرك بما جرى عليَّ ثم يقول هناك هو مجيباً لنفسه لا أخاف أن يحزنك وكما يقول القائل: من يعرف فلاناً فيكون أبلغ من أن يصفه ، لأن السامع إذا سمع وصفه يقول: هذا نهاية ما هو عليه، فإذا قال: من يعرف فلاناً بفرض السامع من نفسه شيئاً ، ثم يقول: فلان عند هذا المخبر أعظم مما فرضته وأنبه مما علمت منه.

المسألة السادسة: ما إعرابه ومنه يعرف معناه؟ نقول: { فأصحاب الميمنة } مبتدأ أراد المتكلم أن يذكر خبره فرجع عن ذكره وتركه وقوله: { مَا أصحاب الميمنة } جملة استفهامية على معنى التعجب كما تقول: لمدعي العلم ما معنى كذا مستفهماً ممتحناً زاعماً أنه لا يعرف الجواب حتى إنك تحب وتشتهي ألا يجيب عن سؤالك ولو أجاب لكرهته لأن كلامك مفهوم كأنك تقول: إنك لا تعرف الجواب ، إذا عرفت هذا فكأن المتكلم في أول الأمر مخبراً ثم لم يخبر بشيء لأن في الأخبار تطويلا ثم لم يسكت وقال ذلك ممتحناً زاعماً أنك لا تعرف كنهه ، وذلك لأن من يشرع في كلام ويذكر المبتدأ ثم يسكت عن الخبر قد يكون ذلك السكوت لحصول علمه بأن المخاطب قد علم الخبر من غير ذكر الخبر ، كما أن قائلا: إذا أراد أن يخبر غيره بأن زيداً وصل ، وقال: إن زيداً ثم قبل قوله: جاء وقع بصره على زيد ورآه جالساً عنده يسكت ولا يقول جاء لخروج الكلام عن الفائدة وقد يسكت عن ذكر الخبر من أول الأمر لعلمه بأن المبتدأ وحده يكفي لمن قال: من جاء فإنه إن قال: زيد يكون جواباً وكثيراً ما نقول: زيد ولا نقول: جاء ، وقد يكون السكوت عن الخبر إشارة إلى طول القصة كقول القائل: الغضبان من زيد ويسكت ثم يقول: ماذا أقول عنه. إذا علم هذا فنقول لما قال: { فأصحاب الميمنة } كان كأنه يريد أن يأتي بالخبر فسكت عنه ثم قال في نفسه: إن السكوت قد يوهم أنه لظهور حال الخبر كما يسكت على زيد في جواب من جاء فقال: { مَا أصحاب الميمنة } ممتحناً زاعماً أنه لا يفهم

ليكون ذلك دليلا على أن سكوته على المبتدأ لم يكن لظهور الأمر بل لخفائه وغرابته ، وهذا وجه بليغ ، وفيه وجه ظاهر وهو أن يقال: معناه أنه جملة واحدة استفهامية كأنه قال: وأصحاب الميمنة ما هم؟ على سبيل الاستفهام غير أنه أقام المظهر مقام المضمر وقال: { فأصحاب الميمنة مَا أصحاب الميمنة } والإتيان بالمظهر إشارة إلى تعظيم أمرهم حيث ذكرهم ظاهراً مرتين وكذلك القول في قوله تعالى: { وأصحاب المشأمة مَا أصحاب المشأمة } وكذلك في قوله: {الحاقة ❖ مَا الحاقة} [الحاقة: ٢،١] وفي قوله: { القارعة ❖ مَا القارعة } [القارعة: ٢،١]." [١]

خلاصة رأى الشيخين:

المعنى الأصلي: أصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. العبارة استفهامية.

المعنى الإضافي: ذكر المفسران معان إضافية كثيرة للآيتين، منها ما ذكره القرطبي من أن التكرار جاء لغرض التفخيم والتعجب، والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب ولأصحاب المشأمة من العقاب. وما ذكره الرازي من أسباب للسكوت عن إجابة هذا السؤال؛ فعلل ذلك بما طرحه من معان إضافية استلهمها من النص، منها أن السكوت كان:

١ـ لعظمة ما ستكون عليه الإجابة. ٢ـ لغرض التعجب. ٣ـ للعلم بالإجابة. ٤ـ خشية التطويل. ٥ـ لظهوره ومعرفة حاله. ٦ـ لخفاء الإجابة وغرابتها. ٧ـ لغرض الاستفهام عنهم فقط ، تعظيما لهم.

ثانيا ـ عناصر التوافق الصوتي في الآيتين:

أـ على مستوى الكلمات:

﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ ﴾
﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ ﴾

---

(١) التفسير الكبير للرازي "مفاتيح الغيب": المجلد ١٥، ج ٢٩، ص١٤١.

لا نجد اختلافا بين كلمات الآيتين سوى كلمة (الميمنة) في مقابل (المشأمة) وهما متضادان في المعنى؛ وعلى الرغم من ذلك فهما متطابقتان صوتيا في: الوزن الصرفي والمقاطع الصوتية {عددها ونوعها وترتيبها} مواضع نبرهما .

ب ـ على مستوى المقاطع:

جاءت المقاطع في الآية الأولى على هذه الصورة:

الأولى: ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص.

والثانية: ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص.

نرى الآيتين متطابقتين في مقاطعهما { عددها ونوعها وترتيبها} .

ج ـ على مستوى مواضع النبر فيهما:

الآية الأولى: فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ

النبر الأولى: أصحاب: حا: ص حʻح الميمنة: مَيْ: ص حʻص، يتكرر مرتين.

نبر ثانوي: أصحاب: أص: ص حʼص، الميمنة: بُلْ: ص حʼص، يتكرر مرتين.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {بُ اَلْ } فغيره إلى (بُلْ) بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص} إلى {ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الثانية: وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ

النبر الأولى: أصحاب: حا: ص حʻح ، المشأمة: مَشْ: ص حʻص.

نبر ثانوي: أصحاب: أَصْ: ص حʼص، المشأمة: بُلْ: ص حʼص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {بُ اَلْ } فغيره إلى (بُلْ) بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص} إلى {ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

وقع النبر في الآيتين في المواضع نفسها؛ مما أحدث الأثر الصوتي نفسه، نحو:

أ) أصحاب نجد النبر الأوليِّ على المقطع الثاني(حا) والنبر الثانوي على المقطع

الأول (أص)، وقد تكررت هذه الكلمة (أصحاب) أربع مرات في الآيتين.

ب) أما في الكلمتين (الميمنة- المشأمة) فيأتي النبر الأولى على المقطعين (مي - مش) وهما من نوع واحد (ص ح ص) وهو أكبر المقاطع في الآيتين، وكذلك النبر الثانوي فقد جاء بالكلمتين في موضع واحد، على آخر أصحاب وأول الكلمتين (الميمنة والمشأمة) فينتج لنا المقطع (بُلْ: ص ح ص) في الكلمتين.

د ـ على مستوى التنغيم:

التنغيم ـ كما ذكرت آنفا ـ هو تغيير في درجة الصوت؛ لغاية بنفس المتكلم ليُحمِّل العبارة معان إضافية نتيجة هذا التغيير، ويظهر هذا في موضع النبر في المقاطع المنبورة في الفاصلة؛ يحدد ذلك نوع التنغيم {صاعد. هابط. مستوى} لهذا يجب علينا عند وضع الهيكل التنغيمي لها أن نعرف مواضع النبر ونوعه، ونوع المقطع المنبور في الفاصلة.

فنجد أن الآيتين تطابقتا في مقاطعهما ومواضع نبرهما؛ لهذا يمكننا وضع هذا الهيكل التنغيمي لهما الذي يوضح نوع المقاطع وترتيبها ومواضع نبرهما وهو:

{ ص ح/ص حʼص/ص حʻح /ص حʼص/ص حʻص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح / ص حʻ ح/ص حʼص/ص حʻح /ص حʼص/ص حʻص/ص ح/ص ح ص.}

نوع التنغيم:

وقع التنغيم على المقطع المنبور بفاصلة الآيتين، وهو المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة، فكان في الآية الأولى بكلمة (الميمنة: مَيْ: ص حʻص)، وكان في الآية الثانية بكلمة (المشأمة: مَشْ: ص حʻص).وهو تنغيم **صاعد** لأن العبارة استفهامية. فأنتج هذا الاستفهام بعض المعاني الإضافية التي ذكرها المفسرون.

وهذا يجعلنا نقرأ الآيتين بهيكل تنغيمي واحد، فتكون طريقة الأداء واحدة فيهما.

لا نجد اختلافا بين الآيتين صوتيا في مواضع النبر أو المقاطع نوعها وترتيبها.

المجموعة الثانية: الآية (٢٧) والآية (٤١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧]

في مقابل قوله: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١]

نحاول الوصول هنا للهيكل التنغيمي لهذه المجموعة، وقد تكرر هذا الهيكل في آيتين غير متتاليتين، فنرى كيف أثر الهيكل التنغيمي الخاص بالآية الأولى على آية تبعد عنها بأربع عشرة آية، فعلى الرغم من تباعدهما إلا أنهما اتفقتا في هيكلهما التنغيمي (كما سنرى) فالآية الأولى رقم (٢٧) والثانية رقم (٤١).

أولا: أقوال المفسرين (القرطبي):

المعنى الأساسي: أصحاب اليمين.

قوله تعالى: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين رجع إلى ذكر منازل أصحاب الميمنة وهم السابقون على ما تقدم، والتكرير لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه...

أصحاب الشمال: "ذكر منازل أهل النار وسماهم أصحاب الشمال ، لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم , ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال: " ما أصحاب الشمال[(١)].

المعنى الإضافي: التكرار لتعظيم شأن المؤمنين، والتكرار مع أصحاب الشمال لتعظيم البلاء .

ثانيا: عناصر التوافق الصوتي في الآيتين:

أ- على مستوى الكلمات:

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧]

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١]

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨٢.

لا نجد اختلافا بين كلمات الآيتين سوى كلمة (اليمين) في مقابل (الشمال) وهما متضادان في المعنى؛ وعلى الرغم من ذلك فهما متطابقتان صوتيا في: الوزن الصرفي والمقاطع الصوتية {عددها ونوعها وترتيبها} مواضع النبر.

ب- على مستوى المقاطع:

مقاطع الآية الأولى: ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح / ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

مقاطع الآية الثانية: ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح / ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

نرى الآيتين متطابقتين في مقاطعهما { عددها ونوعها وترتيبها}.

ج- على مستوى مواضع النبر:

الآية الأولى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧]

نبرأولى: أصحاب: حا: ص حʻح اليمين: مى: ص حʻح اليمين: مين: ص حʻح ص

نبرثانوي: أصحاب: أَصْ: ص ح'ص اليمين: ال: ص ح'ص اليمين: ال: ص ح' ص

نبر السياق: وقع نبر السياق على {بُ الْ} فغيره لـ {بُلْ} بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص} إلى {ص ح ص} بإسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الثانية: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١]

نبر أولى: أصحاب: حا: ص حʻح، الشمال: ما: ص حʻح، الشمال: مال: ص حʻ ح ص.

نبر ثانوي: أصحاب: أص: ص ح'ص، الشمال: اَش: ص ح'ص.

نبر السياق: وقع في الآية الثانية على قوله {بُ اَلْش } فغيره إلى (بُشْ) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص+ص ح} إلى {ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، و لام التعريف لأنها لام شمسية.

وقع النبر في الآيتين في المواضع نفسها؛ مما أحدث الأثر الصوتي نفسه، نحو:

أ) أصحاب نجد النبر الأولى على المقطع الثاني(حا) والنبر الثانوي على المقطع الأول (أص)، وقد تكررت هذه الكلمة (أصحاب) أربع مرات في الآيتين.

ب) أما في الكلمتين (اليمين- الشمال) فيأتي النبر الأولى على المقطع (مي) في "اليمين" الأولى، وهى من النوع ص ح'ص، وأما"اليمين" الثانية وهى كلمة الفاصلة، فيقع النبر فيها على المقطع (مين) وهو من النوع ص ح'ح ص.

في "الشمال" الأولى يقع النبر على المقطع (ما) وهو من النوع ص ح'ص، أما في الشمال الثانية، وهى كلمة الفاصلة؛ فيقع النبر فيها على المقطع(مال)، وهو من نوع ص ح'ح ص.

نبر السياق: وقع على أول كلمتي (اليمين الأولى، والشمال الأولى) مع آخر كلمة أصحاب (ب)؛ فأنتج لنا المقطع (بل: ص ح ص) مع كلمة اليمين والمقطع (بش: ص ح ص) مع كلمة الشمال.

د ـ على مستوى التنغيم:

فنجد أن الآيتين تطابقتا في مقاطعهما ومواضع نبرهما، كذلك صيغة الاستفهام التي تُدخل العبارة ضمن الإنشاء وليس الإخبار، وأداة الاستفهام فيهما واحدة (ما)؛ لهذا يمكننا وضع هذا الهيكل التنغيمي لهما الذي يوضح نوع المقاطع وترتيبها ومواضع نبرهما وهو:

{ص ح/ص ح'ص/ص ح'ح /ص ح'ص/ص ح/ص ح'ح/ ص ح/ص ح ح/ ص ح'ص/ص ح'ح /ص ح'ص/ص ح/ص ح'ح ص} .

نوع التنغيم:

التنغيم صاعد حيث وقع على المقطع الأخير المنبور بفاصلة الآيتين وهو (مينْ: ص ح'ح ص ـ مال: ص ح'ح ص) ذلك لأن العبارة استفهامية؛ فأضافت معان.

المعاني الإضافية:

أضاف الاستفهام إلى الآيتين معان كثيرة؛ لم يذكرها المفسرون، منها:

أ. يمكن أن نفهم من مد المقطع المنبور في آخر الآيتين (مين، مال: ص ح'ح ص) حجم الوعد والوعيد في الآيتين، نتيجة طول هذا المقطع.

ب ـ يعطى المد الطويل معنى السؤال مع تجهيل المسئول عنه؛ مما يدفع السامع للبحث عن المسئول عنه؛ فيثير انتباهه ليستقبل صفاته، حيث يلي هذا السؤال

صفات هذه الجماعة، كأن الآيات التالية هي إجابة عن ذلك السؤال. ولا نجد هذا في المجموعة الأولى؛ لأنه هناك في مقام ذكر أقسام الناس يوم القيامة.

ج- نجد المد هنا في مقطع طويل منبور، وهو موضع التنغيم في آخر الآيتين؛ حيث يبين المد الطويل شدة حاجة السائل إلى الإجابة السريعة فتأتى الإجابة في الآيات التي تلي السؤالين مباشرة، فكان من الضروري أن يكون النبر والتنغيم على مقطع مديد مغلق؛ فهو المقطع الوحيد من مقاطع العربية الذي يحتوى على حركة طويلة في وسطه ؛ ويمكن للقارئ أن يُشْبع هذه الحركة الطويل أكثر من غيرها، فيبدو التنغيم الصاعد واضحا مع طول النفس، ونهايته في هذا المقطع.

مقارنة بين الهيكل التنغيمي في المجموعتين:

لو أنَّنا قارنَّا بين سؤالي المجموعة الثانية وسؤالي المجموعة الأولى؛ فنجد أن:

١- النبر والتنغيم أتيا في سؤالي المجموعة الأولى على المقطع الثالث حين نعد من الآخر في الفاصلة، وهو مقطع طويل مغلق حركته قصيرة (ص حَ ص)، فيكون التنغيم أقل شدة وضغطا على القفص الصدري؛ ذلك لوجوده على هذا المقطع المتوسط، وأن هذا المقطع حركته قصيرة، فلا يمكن أن نمد النفس معه وكذلك لأنه بوسط الكلمة، عكس ما في الثانية، فمقطعها مديد وحركتها طويلة.

حدث هذا نتيجة لاختلاف المعنى في المجموعتين، فالسؤالان في المجموعة الأولى لا يحتاجان إلى إجابة لأن الحق سبحانه يعدد هنا أقسام الناس يوم القيامة؛ فيكون المعنى هنا تعظيما لمكانة أصحاب الجنة ولعذاب أهل النار، لذا لا ينتظر السامع إجابة عن هذا السؤال، فهو لا يسأل عن صفاتهم بل يعددهم فظهر هذا المعنى في الملامح الصوتية للسؤال من: قصر حركة المقطع، كذا كان النبر والتنغيم على هذا المقطع المتوسط المنبور أقل من المجموعة الثانية.

أما في المجموعة الثانية - فكما ذكرت آنفا - كان المقطع الأخير مديدا مغلقا، وهو موضع النبر والتنغيم، لذا كان أشد وأطول من سابقه؛ انتظارا للإجابة على

سؤال قد طُرِح، فهو سؤال للاستفهام، لذا تلته الإجابة مباشرة، فكان مد الحركة الطويلة في هذا المقطع بمثابة إعطاء مدة زمنية أكبر للسامع ليفكر في الإجابة، ويستقبلها باهتمام كبير وشوق لمعرفة هذا الشيء، بعد لحظة تفكير سريعة فيه.

تطبيق يؤكد اختلاف الهيكل التنغيمي في المجموعتين:

ولو حاولنا وضع إحدى آيتي المجموعتين مكان الآية التي تقابلها في المجموعة الأخرى؛ لظهر الفرق في الهيكل التنغيمي بين المجموعتين، فسنجد عدم تطابق بينهما، فلكل مجموعة هيكل تنغيمي خاص بها، وستكتشف ذلك أذن السامع التي ترفض هذا التغيير وتشعر بارتجاج لاختلاف الهيكلين، فلو حاولنا القراءة هكذا:

﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾

فتبدو قيمة الهيكل التنغيمي في تصحيح القراءة؛ لأن القارئ عندما يقرأ الآية الثانية يستدعى من ذاكرته القريبة الهيكل التنغيمي للآية الأولى فيشعر باختلاف بينهما؛ نتيجة لعدم تطابق هيكلهما التنغيمي المحفوظ بالذاكرة، فيقرأهما هكذا:

﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ ﴾

ثالثاً: الحوار

ورد في لسان العرب في مادة "حور" أن الحوار: هو الحركة من خلال قولهم حار يحور: كل شيء تغير من حال إلى حال آخر ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة"[1]، والحوار مصدر الرجوع من شيء إلى شيء آخر وهو ما يدل على وجود تقلب وعدم ثبات، وهو صيرورة أحوال، قوامها تحول من حال إلى آخر أي هي حركة تغير. لقد"عُرف الحوار باعتباره شكلا من أشكال التواصل منذ القديم... فالحوار يتجاوز مجال التبادل القولي، إلى تعدد المرجعيات واختلاف الأصوات، فهو

(١) لسان العرب لابن منظور: مادة الحاء ج٣ ص ٢٩

كل نشاط إنساني يتجه إلى الآخر. ويتجاوز حدود الذات. وقد تكون وسائله اللغة والإشارة والصلاة أو المشاعر"[١].

"تنظر اللسانيات إلى الحوار ضمن ثنائية دى سوسير التقليدية اللغة والكلام. واللغة نظام من القواعد والعلامات المتفق عليها مسبقا. أما الكلام فهو نشاط فردي وفعل محسوس مادي يتجه به أحدهم إلى الآخر، ومن سماته قيامه على حرية التعبير والتصرف في المدونة. فلكلٍّ طريقته الخاصة في تركيب الألفاظ ... ويكون الحوار بهذا نشاطا تواصليا قصديا أداته اللغة، وهو موجه إلى مخاطب قصد تقديم معلومة معينة أو توضيح رأى ما، فهو نشاط لغوي خاضع للوصف السلوكي ضمن ثنائية المثير والاستجابة، إذ يكون سؤال أحدهم مثيرا والجواب عنه هو الاستجابة الملائمة له"[٢].

يقوم الحوار على وجود شخصين يتحدثان ويتحاوران معا؛ فلابد من وجودهما كأقل عدد ممكن من المتكلمين لإجراء أي حوار في المجتمع. ويقوم الحوار - بناءً على ذلك - على أسس تداولية تحقق التواصل الشفهي بينهما، وتضع له قواعده ومقاييسه التي لا يخرج عليها المتحاوران، ومادام الأمر متعلقا بكلام بين شخصين؛ لهذا يجب دراسته صوتيا لبيان قيمة تلك الملامح الصوتية في تحقيق التواصل بينهما، وما تضيفه من معان للحديث المنطوق، لا تتحقق في حالة إن كان الحديث مكتوبا. يظهر هذا بالنص القرآني؛ كنص الأصل فيه أنه منطوق.

الحوار القرآني:

"إن البحث عن تجليات الحوار في النص القرآني دراسة لمواقع الحضور والتكلم، وتعيين لآلياته في البلاغ والإبلاغ وإذ ننشغل بالعلاقات التي ينشئها كل متكلم مع ملفوظه ومتلقيه ومرجعياته في ذلك، فإننا نسعى إلى تبين مسلكه في الإعلان عن نفسه، وسبله في العرض أو الاعتراض على أن كل صوت في هذه الشبكة

---

(١) الحوار فى القرآن ظاهرة حجاجية وبيانية: هادية السالمى، كلية العلوم الإنسانية صفاقس ٢٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٣.

هو موصول بمنظومة يدافع عنها، ويبين عن مسلماتها لتحويلها إلى واقع عام."[١]
بهذه الكلمات أوضحت هادية السالمي قيمة الحوار القرآني في بيان العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وما ينشئه المتكلم من شبكة العلاقات بينه وبين أطراف متعددة، ودور الكلمات والجمل بأصواتهما في تدعيم هذه العلاقة وإضافة معان جديدة للنص. يمكن ملاحظة ذلك بتحليل حوارات السورة؛ فقد بدأت السورة بالإخبار عن يوم القيامة؛ وما وقع فيه من أهوال على أنها وقعت بالفعل؛ باستخدام الفعل "وقعت" في قالب شرطي ليُعِدَّ المتلقي لاستقبال هذا اليوم والتفاعل معه؛ كأنه قد حدث، فيستحضره بكل أحداثه وآثاره، فيكون ذلك أكبر موعظة له، ويستمر الإخبار من الآيات١ إلى ٦، وبعدها يظهر الحوار الأول، وهو عبارة عن خطاب من الله لكل البشر لإخبارهم بهذا اليوم.

ونعرض فيما يأتي لتلك الحوارات القرآنية التي وردت في سورة الواقعة:

---

(١) الحوار فى القرآن ظاهرة حجاجية وبيانية: ص٦١

الحوار الأول

يبدأ الحوار الأول بتوجيه الخطاب من الله تعالى إلى خلقه جميعا بقوله:
﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٧]

عناصر الحوار: المتكلم (الله سبحانه وتعالى)، والمخاطب (كل الخلق).

يخاطب الله سبحانه خلقه قائلا: عندما تقوم الساعة ستكونون أزواجا ثلاثة حسب عملكم في الدنيا. فعبرت الآية عن هذا المعنى بألفاظ قليلة محدودة، استخدم عناصر صوتية فوق تركيبية؛ لتعبر عن معان إضافية.

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معاني الحوار:

أ - نبر المقطع (كُنْ) أكد على زمن الحدث أنه كان في الماضي.

ب - النبر على المقطع (تُمْ) لتوجيه الخطاب لهم دون غيرهم.

ج - العنصر الإشاري (تُمْ) حدد المخاطب بالعبارة، في صورة تداولية، فبين أنه حديث موجه من الخالق سبحانه إلى خلقه، جاء في كتلة صوتية واحدة، تُنطق بنبضة صدرية واحدة ومقطع صوتي واحد؛ فأعطى معنى الشدة والحزم.

ثانيا: التنغيم

أ- في حالة الوصل بين الآيات: يكون التنغيم مسطحا (مستويا) لأنه ذكر أصناف الناس يوم القيامة بصورة عامة، ثم تلي ذلك بوصف لكل صنف منهم، فالحديث عن الناس وأصنافهم ممتد من هذه الآية إلى ثلاث آيات بعدها، فيصبح التنغيم في آخر هذه الآية الحوارية مستويا لأنه متصل؛ يسير على تنغيم واحد.

ب - في حالة الوقف عند الفاصلة: يكون التنغيم (هابطا) فالآية الحوارية جاءت في جملة إخبارية موجهة إلى المخاطبين؛ تخبر عن أقسامهم في الآخرة، ويمكن الوقوف عندها؛ لانتهاء المعنى فلا ننتظر معنى آخر؛ فيكون التنغيم هابطا.

مكان التنغيم: جاء التنغيم على المقطع المنبور قبل الأخير من الفاصلة (ثلاثة: لا: ص حʻح) أي المقطع (لا)، ويليه المقطع (ثة)، الذي ينتهي بهاء السكت؛ التي ينتهي معها النفس تماما، وبهذا يكون امتداد النفس طويلا في المقطع (لا)، ثم يمتد النفس ضعيفا مع هاء السكت التي تنتهي معها الآية بالوقف عندها. ومن هنا كان هذا التنغيم نازلا؛ لأننا لم نقف على مقطع مديد حركته طويل(ص ح ح ص)، بل وقفنا على مقطع طويل مغلق (ص ح ص) منتهى بهاء السكت.

الحوار الثاني

تأتى بعد الحوار السابق كل آيات السورة في صورة إخبارية حتى نصل إلى الآية (٤٩) فيظهر حوار جديد يوجه الله الخطاب فيه لنبيه الكريم قائلا:

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠]

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه وتعالى). المخاطب: (رسوله الكريم).

يتحول الحديث إلى حوار بين الله سبحانه ورسوله في شكل أمر له بأن يقول لهؤلاء المنكرين الذين يحاجون الله بآبائهم الذين ماتوا كيف يعودون! بأنه تعالى جامعهم من أولهم إلى آخرهم؛ لميقات يوم المعلوم، وهو خطاب لهم عن طريق نبيه (صلى الله عليه وسلم)، تمثل هذا الخطاب في فعل الأمر (قل).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار:

أكد الحق سبحانه على تغليظ القول وتشديده لهم من خلال ملامح صوتية هي:

أ- نبر فعل الأمر الذي جاء كله في مقطع واحد (قُلْ) فأعطى معنى الشدة والغلظة.

ب- التأكيد على حدث البعث بـ (إنَّ) فكان مقطعها الأول منبورا للغرض السابق.

ج- التأكيد على عملية البعث بنبر كلمة البعث بنبرين (أولى وثانوي) وهى كلمة (لمجموعون: مج: ص ح ʼص{نبر ثانوي} ، عو: ص ح ʻح {نبر أولى}).

د- بيان ارتباط هذا اليوم بوقت محدد بنبرين {ثانوي وأولى} على الكلمة الدالة على الوقت (ميقات: مِيْ{ ص ح ʼح } ، قات {ص ح ʻح ص})

هـ- التأكيد على معلومية يوم البعث بنبرين على كلمة المعلومية (مَعْلُومْ: مَعْ {ص ح ʼص} ، لُومْ {ص ح ʻح ص)

و- النبران اللذان على كلمتي (الأولين: أو/ لي، والآخرين: ول/ رين) أعطيا معنى شمول البعث كل أشخاص الحدث؛ فشمل الآباء والأبناء {أولين وآخرين}.

ثانيا التنغيم:

جاء الحوار في آيتين فأصبح لدينا فاصلتان؛ انتهت كل منهما بمقطع واحد (ص ح ح ص) منبور؛ وهو موضع التنغيم؛ لأنه أكبر مقطع في الفاصلتين، وكان منبورا ووقع في آخرهما، ولهذا كان لدينا تنغيمان في الفاصلتين.

١- **في الآية الأولى (الأخرين):** جاء التنغيم في هذه الآية مسطحا (مستويا)، لأننا وقفنا على الفاصلة مع عدم تمام المعنى، فالمعنى هنا ممتد إلى الآية التالية، يقول د. تمام "إذا وقف المتكلم قبل تمام المعنى؛ وقف على نغمة مسطحة لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة،...."[(١)] ووقع التنغيم على المقطع (رين: ص ح ح ص) المنبور.

٢- **في الآية الثانية (معلوم):** جاء التنغيم هنا هابطا، لأننا أمام عبارة إخبارية، تنتهي الرسالة الإخبارية بنهايتها، فلا ينتظر المتكلم من السامع ردا عليها، وقد وقع التنغيم على المقطع (لوم: ص ح ح ص) المنبور.

---

(١) المرجع السابق: ٢٣١.

الحوار الثالث

يتحول الحوار السابق غير المباشر بين الله وعباده إلى حوار مباشر وموجَّه لهم، فتحول خطابه سبحانه نحوهم؛ ليصبح مخاطبا إياهم في هذا الحوار الجديد بالالتفات نحوهم، فيتحول من مخاطبتهم ضمنيا إلى خطاب مباشرة لهم، من قوله: قل لهم يا محمد، إلى قوله سبحانه لهم مباشرة: ثم إنكم أيها..

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه وتعالى) مخاطب: (المكذبون بالبعث).

يوجه الحق سبحانه الخطاب بالتهديد والوعيد لهؤلاء القوم الضالين المكذبين مع بيان عقابهم عنده، بجملة واحدة ممتدة جاءت في عدة آيات، استعان الحوار فيها بوسائل صوتية مختلفة؛ لتوصيل هذا المعنى التهديدي لهم، فحرص النص من خلال تلك العناصر الصوتية المصاحبة له على إبراز معان خفية أظهرتها تلك العناصر.

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار:

جاءت عناصر صوتية في الحوار أوجدت معان إضافية يمكن أن استنتاج منها:

أ- التأكيد على عقابهم بإنَّ المؤكدة، وبإسناده لهم بضمير مخاطب متصل بـ(إنِّ) ليكوِّنا معا كلمة واحدة من ثلاثة مقاطع، أُبْرز مقطعها الأول بنبر أوليّ، لإظهار ذلك التأكيد الذي في (إنّ)، وتوجيه الخطاب متهما إياهم بالمقطع (كُمْ).

ب - التأكيد على توجيه الخطاب إليهم، ولكن بطريقة جديدة، وهى النداء عليهم بأداة النداء المخصصة للاسم المعرف، (أيُّها)، لتحديدهم بأداة التعريف (ال)، ثم وصفهم بصفات ثابتة فيهم، وهى الضلال والكذب، وتتحول الصفة إلى اسم لهم.

ج- التأكيد على التصاق تلك الصفات السابقة بهم؛ وإبراز ما بها من معان مكروهة؛ وذلك بالنبر عليها بنبرين (أوليٍّ وثانوي): (الضَّالّون: ضال/ لو)

(المكذِّبون: كذ/ بون) فكان النبران على الكلمتين مشعرين بتوجيه الخطاب لهم في شكل اتهام، مع وصف سيء لهم؛ وذلك بالنداء عليهم بتلك الصفات التي أصبحت في مقام الاسم لهم يُنادُون به، وجاء النبران في كلمتين متتاليتين؛ وفى موقعين متقاربين في الكلمتين، فتكرر النبر بنوعيه في الكلمتين أربع مرات متتالية، مما أعطى إيقاعا منتظما متكررا، دل على معنى الشدة والحزم.

د. جاء المقطع (ص ح ح ص) لأول مرة في وسط الآية (الضالون) مما أعطى الكلمة مدة زمنية أطول في النطق بإشباع الحركة الطويلة التي بوسط المقطع، مما يشعر بالوعيد مع مد النفس الآتي من حركة هذا المقطع في (الضالون).

هـ. التأكيد على إسناد فعل الأكل من الزقوم إليهم بصيغة اسم الفاعل، ثم النبر عليها بنبرين {ثانوي وأوليِّ} (لأكلون: ل/ لو) مما أكد قيامهم هم بهذا الفعل، أي لأكلون أنتم وحدكم.

و. توجيه الخطاب إليهم من خلال كلمات متتالية متفقة صوتيا أكَّدَ على توجيه الاتهام لهم بتلك الصفات واختصاصهم بها؛ فجاءت متفقة صوتيا بصورة كبيرة من حيث: الوزن والمقطع والنبر وصيغة الجمع، ويمكننا النطق بهذه الكلمات بصورة متتالية ككلمات مستقلة؛ لبيان هذا التوافق الصوتي الذي بينها، وهى: [الضالون، المكذبون، لأكلون، مالئون، فشاربون، فشاربون] فجاءت جميعها منبورة بنبرين للتأكيد عليها، ولإبراز ما بها من معان خفية، وأتت منتهية جميعها بالمقطع (ص ح ح ص) ومنتهية أيضا بصوتين متتاليين متكررين فيهم جميعا هما: (صوت صائت الواو)، و(صوت صامت النون).

ز. تكرار صوتيْ الواو والنون بنهايات الكلمات السابقة صنع فيها إيقاعا واحدا متكررا منتظما، فلم نجد تغييرا أو تبديلا من الواو والنون إلى ياء ونون؛ كذلك الكلمات الأخرى المشتركة معها في الفاصلة بتلك الآيات؛ جاءت حاملة النهاية الصوتية الواو والنون [زقوم، البطون] على الرغم من أنها مفردة وليست جمعا.

ح- الربط الصوتي بين الآيات المتتالية: وذلك بالتمهيد للانتقال من فواصل منتهية بواو ونون إلى فواصل منتهية بياء ونون؛ وذلك بوضع كلمة في فاصلة الآية الأولى منتهية بواو ونون (البطون)، ثم تليها كلمة في أول الآية الثانية منتهية بواو ونون (شاربون)، ثم تأتى (شاربون) مرة ثانية في الموضع نفسه في أول الآية الثالثة، ثم يبدأ الانتهاء بياء ونون من فاصلة الآية الثانية والثالثة والرابعة؛ فلا نشعر بالانتقال من فواصل تنتهي بواو ونون وإلى فواصل تنتهي بياء ونون؛ لاحظ هذه الترتيب: ﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

ثانيا: التنغيم

يتكون هذا الحوار من عدة آيات، تعبر عن فكرة واحدة هي عقاب هؤلاء القوم، وهى تتفق في أن فواصلها تنتهي جميعا بالمقطع (ص ح ح ص) وهو مقطع منبور، وعليه يظهر التنغيم الخاص بكل آية، وعلى الرغم من هذا فلكل آية منها تنغيم خاص؛ لأنه يرتبط بمكونات حوارية خاصة به، ففي:

١- **الآية الأولى:** التنغيم مستوى (مسطح) لأن المعنى لم ينته عند تلك الآية، لكن انقسام المعنى في آيتين مع الوقوف على آخر مقطع من الآية الأولى أضاف معنى آخر للآية، بسبب هذا الوقف، وهو معنى شدة التهديد والوعيد، وذلك بوضع فاصل زمني بين (إن) وخبرها الذي هو حكم على المبتدأ (الضالون المكذبون) مما يجعل السامع يفكر في ماهية هذا الوعيد! فيُظهر التنغيم المسطح حاجة السامع إلى معرفة هذا الوعيد؛ فيسرع إلى سماع الآية التالية.

٢- **الآية الثانية:** التنغيم فيها هابط، حيث يمكننا مع الوقوف على آخر تلك الآية السكوت لانتهاء المعنى عندها بمعرفة عقاب هؤلاء القوم، فهي جملة خبرية.

٣- **الآية الثالثة:** التنغيم فيها هابط أيضا، فالآية تضيف معنى آخر للمشهد وهو وصف كمية أكلهم من شجرة الزقوم وتستمر الآيات بهذا التنغيم الهابط لآخرها.

الحوار الرابع

هذا الحوار هو الأكبر في تلك السورة، وهو حوار حجاجي بين الحق سبحانه وخلقه، يبدأ من الآية ٥٧ حتى الآية **٧٤**.

يمكننا دراسة هذا الحوار من عدة محاور تمثل جوانب صوتية مختلفة، هي:

١. المحور الأول: "الحوار" وقدرة الأصوات على جعله يحمل معان إضافية.

٢. الهياكل التنغيمية التي تتكرر في الآيات مع كل نعمة؛ لتصنع تناغما بالآيات، شارك كل هيكل تنغيمي في إيجاد إيقاع منتظم نتيجة لتكرار بعض الأصوات.

المحور الأول: (الحوار)

مقدمة الحوار: " فضل الله على كل البشر "

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

عناصر الحوار: المتكلم (الله سبحانه وتعالى)، المخاطب (كل الخلق).

كانت هذه الآية هي اللافتة الكبرى التي وضِعتْ في بداية الحوار، لتعلن عن القضية التي سيناقشها هذا الحوار، فالله خلقهم ويأمل منهم أن يصدقوه، فأعلن عن فضله في إيجادهم من العدم بلفظ الجمع تعظيما للصانع وصنعته.

(فلولا تصدقون) إعلان عن كفرهم، فكان يأمل سبحانه أن يكون ردهم على نعمته عليهم بشكره عليها، لكنهم جحدوا بأنعم الله عليهم، وقد عبرت الآية عن ذلك في هذا الحوار.

أولا: المصاحبات صوتية وأثرها على معنى الحوار

أ- النبر الأوليِّ على ضميري المتكلم (نحن: نح) و(خلقناكم: نا) أبرزا عظمة الله الخالق والصانع سبحانه، وأكد على إسناد هذا العمل له وحده.

ب- النبر بنبرين على فعل الخلق (خلقناكم: لق/ نا) كان تعظيما لحدث الحلق.

ج- النبر بنبرين على كلمة الرجاء (فلولا: ف/لو) بين أمله سبحانه في تصديقهم

د ـ النبران على (تصدقون: صد/قون) بيّنا سبب كفرهم وهو عدم تصديق البعث.
هـ ـ النبر الأولِّ في (تصدقون) جاء على واو الجماعة لبيان عموم إنكارهم.

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم هابطا، حيث انتهت الآية مع بيان معناها؛ على مقطع مديد مغلق منبور؛ فحَمَّل الآية معان إضافية منها: التأكيد على رغبة الحق سبحانه في تصديقهم بالبعث، وحث الآخرين على التصديق به، وبيان أهمية ذلك التصديق.

نعم الله على خلقه

هذا حوار حجاجي كبير من طرف واحد هو الله، حيث تكلم سبحانه مخاطبا عباده، بحديث عدَّد فيه نعمه عليهم في صورة حوارية حجاجية تقوم على طرح السؤال عن النعمة كمقدمة للحديث عن تلك النعمة، ثم السؤال عمن أوجدها، وهو سؤال تقريري غرضه تقرير نسب هذه النعمة لصاحبها، ثم بيان ماذا يحدث لو أن الحق سبحانه سلب منهم هذه النعمة ؟

أولا: نعمة الخلق

السؤال الأول: يبدأ الحديث عن تلك النعمة بسؤال عن بداية عملية الخلق ، قائلا: هل رأيتم الشيء الذي تخلقون منه ؟

الآية الأولى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معاني الحوار

بدأ الحق سبحانه حديثه عن هذه النعمة بسؤال عما قبل البعث، وهو بداية الخلق، فقامت عناصر صوتية في السؤال بإبراز ما تضمنه من معان، وهى:

١ـ السؤال بالهمزة مع استخدام الفعل رأى الذي يحوى همزة أيضا؛ أدى إلى تكرار الهمزة مرتين في كلمة واحد في مقطعين منبورين بالكلمة (أفرأيتم: أ/َ.../أي/...) مما أعطى الكلمة اهتزازا شديدا نظرا لأن الهمزة صوت حنجري انفجاري، ليناسب طبيعة السؤال المباشر الموجه لهم فتضمن معنى التقرير.

٢. التأكيد على بداية الخلق؛ بإبرازها بالنبر عليها بنبرين (تمنون: تم / نون).

٣. تكرار نونين بمقطع واحد(تمنون: نون) بينهما صوت الواو الضيق، مع وجود صوت الميم قبله أتى بنغم خفي جميل بسبب صوتيْ الغنة (م .ن) بالكلمة.

٤. التوزيع الصوتي للميم والنون في الآية: جاءت الميم ثلاث مرات في كلمات متتالية بوسط الآية: أفرأيتُمْ، مَا، تُمْنون، وجاءت النون مرتين في كلمة واحدة: {تمنون} بينهما صوت الواو، إن التوزيع الجيد لصوتي الميم والنون في الآية أدى إلى شيوع صوت اللغنة الرخيم في الآية كلها.

التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة في (تمنون: نون {ص ح ح ص} هو تنغيم صاعد؛ لأنه استفهام تضمن معنى الاستنكار وأنهم يرونه فلماذا الكفر؟

الآية الثانية: ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ ﴾

جاءت هذه الآية امتدادا للحوار بربط السؤال الأول بالسؤال التالي له، فالضمير في الآية التالية في (تخلقونه) يعود على ما تمنون، فإن كنتم رأيتم ما تمنون؛ فهل أنتم خلقتموه أم نحن الخالقون؟! سؤال يحتاج إلى عناصر صوتية لإبرازه، فهو موجه من الله إلى عباده؛ أضافتْ الملامحُ الصوتية معان جديدة له؛ لم تستطع اللغة المكتوبة إظهارها، فظهر ذلك من خلال النبر الذي نجده بالآية، وتظهر أكثر بالمقارنة بين الكلمتين اللتين بهما همزتي الاستفهام في الآيتين: (أفرأيتم؟) و(أأنتم؟) فيتضح من تلك المقارنة أن:

١. (أفرأيتم) تتكون من: همزة الاستفهام + الفاء + الفعل رأى+ ضمير الجمع. تقسم مقطعيا إلى: أ: ص ح/ف: ص ح/ر: ص ح/ أيْ: ص ح ص/ تم: ص ح ص. هذا يعنى أن الهمزتين (همزة الاستفهام وهمزة الفعل) وقعتا بين مقطعين (ف/ر: ص ح) قصيرين، فأوجد ذلك فاصلا بين الهمزتين؛ مما قلل من شدة انفجارهما، وهما في الوقت ذاته موضع النبرين بالكلمة، فكان النبر الثانوي على همزة الاستفهام في مقطع قصير (أ: ص ح) وكانت همزة الفعل موضع النبر الأوليّ في المقطع (أيْ: ص ح ص) فتوالى مقطعين منبورين بنبرتين

أحداهما أشد من الأخر أوجد هزتين متتاليتين بالكلمة.

٢ـ (أأنتم) تتكون من: همزة الاستفهام + ضمير المخاطب الجمعي (أنتم).

تتكون مقطعيا من: أ : ص ح/ أَنْ: ص ح ص/ تُمْ: ص ح ص.

هذا يعنى أن الهمزتين هنا قد جاءتا متتاليتين دون فاصل مقطعي بينهما ، كما رأينا في الكلمة السابقة ، مما أدى إلى تغليظ المعنى للإحساس بالشدة الناتجة عن توالى صوتين انفجاريين دون فاصل، مما أحدث هزة انفجارية أكبر من الهزة التي في (أفرأيتم؟) ذلك لأنه يوجه الخطاب إليهم هم مباشرة بضمير منفصل، مع الاستفهام الذي جاء من خلال مواجهة مباشرة بين المتكلم والمخاطب، فهذا السؤال عبارة عن استفهام استنكاري؛ يحمل معنى نفى خلقهم للمنى، واتهامهم بالكذب لو أنهم قالوا : نحن الخالقون.

هذا يعنى أن الهمزتين هنا قد جاءتا متتاليتين دون فاصل مقطعي بينهما ، كما رأينا في الكلمة السابقة ، مما أدى إلى تغليظ المعنى للإحساس بالشدة الناتجة عن توالى صوتين انفجاريين دون فاصل، مما أحدث هزة انفجارية أكبر من الهزة التي في (أفرأيتم؟) ذلك لأنه يوجه الخطاب إليهم هم مباشرة بضمير منفصل، مع الاستفهام الذي جاء من خلال مواجهة مباشرة بين المتكلم والمخاطب، فهذا السؤال يحمل معنى الاتهام لهم بأنهم من خلقوا منيهم !

الإجابة في السؤال:

السؤال: أأنتم؟ يحتاج إلى إجابة سريعة، أتت الإجابة من خلال النبر بنبرين على كلمة الحدث (تخلقونه: تخ / قو) إنها عملية الخلق التي حملت من خلال النبرين معنى الرفض لكونهم قد خلقوا أي شيء، فكانت الإجابة بـ (لا) مسموعة في هذين النبرين، لقد سبقت هذه الكلمة (أأنتم) كلمة الحدث الذي نسأل عنه، فكانت كافية بعناصرها الصوتية في الدلالة على الرفض أن يكونوا قد فعلوا ذلك، فلو أن الحق سبحانه قال: أأنتم تخلقونه؟! فقط وسكت لكفى، ولفُهِمَ أن المقصود من الاستفهام نفى أن يكونوا هم الخالقون، لكن مجيء العناصر الصوتية الخطابية التي تحدثنا عنها آنفا حمل معنى الاتهام لهم بالكذب، فكان اتهاما صريحا مباشرا؛ وليس سؤالا عمن خلقهم فهم ، يعرفونه .

يأتي النصف الثاني من السؤال ليقرر حقيقة هم يعلمونها أيضا أنه خالقهم، استكمالا لبناء السؤال بوضع الإجابة في النصف الثاني من العبارة، لأن أَمْ هنا للتخيير، فهل هم الخالقون أم الله سبحانه؟ هذا السؤال تكون إجابته باختيار أحد الشقين: هم أو الله سبحانه وتعالى، وقد بدأت الإجابة وانتهت مع الشق الأول من السؤال، فهم لم ولن يخلقوا ذبابة ،هذا المعنى أدركناه آنفا من النبرين اللذين على كلمة (تخلقونه) أما الشق الثاني فجاء ليؤكد نسب الصنعة إلى صانعها، ليس بما نعرف من عناصر صوتية (الفونيمات التركيبية)، بل بعناصر صوتية أخرى تضاف إلى ما سبق وهى الضغط على مقاطع معينة في العبارة الجديدة لتضيف معان جديدة، منها: النبر على المقطع الأول من (نحن: نح) لإبراز هذا الضمير المعبر عن عظمة الصانع، مع وضْعِه في أول العبارة تعظيما للخالق سبحانه.

ثم يأتي تعظيم آخر للصانع سبحانه بالكلمة التالية المنبورة بنبرين (الخالقون: خا /قون) وذلك بإسناد الحدث إليه في صيغة اسم الفاعل مجموعا جمعا سالما؛ تعظيما له ولصنعته، ويبدو هذا التعظيم بوضوح في المقطع (قون: ص ح'ح ص)المنبور في آخر الكلمة مع الفاصلة؛ حين يشبع القارئ هذا الصوت الضيق الذي بين القاف والنون (الواو) كيفما شاء؛ فيكون بمثابة صيحة عالية تقول: اعلم أيها السامع أنني أنا الخالق ولا خالق سواى، وما كان لنا أن نشعر بهذا المعنى لولا وجود المقطع (قون) منبورا في نهاية السؤال، ونهاية الفاصلة، ونهاية النفس الخارج من صدر القارئ حاملا معه ذلك المعنى العظيم، ثم تليه سكتة الوقف.

فارق آخر بين (أفرأيتم وأأنتم) أن الأولى تحمل طلب النظر إلى أصل الخلق وتدبره في صيغة سؤال، أما الثانية فتعنى توجيه الاتهام لهم بالكذب فيما ادعواه بعدم البعث، في صيغة سؤال.

التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(الخالقون: قون {ص ح' ح ص} وهو تنغيم صاعد؛ لأنه استفهام تضمن معنى النفي، فهم لم يخلقونه.

الآية الثالثة: ﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠ ﴾

قال الحق مخاطبا خلقه: إننا نحن وحْدَنا قدَّرْنا بينكم الموت، فقدَرنا على إماتتكم كما قدرنا على خلقكم، وحدَّدْنا لكم الآجال، فلم يسبقنا أحد بهذا العمل، هذه الآية تعظيم للذات الإلهية، وما لله سبحانه من قدرة لم ولن يسبقه إليها أحد؛ من خلق وبعث وتغيير وتبديل في الخلق كما يشاء سبحانه إنه هو القادر العظيم.

هذا المعنى يحتاج لوسائل صوتية لإبرازه، نراها أولا في الجانب التركيبي، حيث بدأ الجملتين بضمير المتكلم الجمعي (نحن) للتعظيم، وأسند الفعل خلقناكم إلى ضمير جمعي (نا) كذلك وجَّه الحديث إليهم بضمير المخاطب (كم) وجعله مُقَدَّما على المفعول (الموت) للتأكيد على تخصيصهم هم بالخاطب.

عناصر الحوار: ضمائر المتكلم (نحن، نا). ضمير المخاطب (كم).

أولا: المصاحبات صوتية وأثرها على معنى الحوار

١ـ النبر الأوليّ على (نحن: نح) أبرز الضمير الجمعي الذي تكرر مرتين بالآية

٢ـ النبران على (قدَّرنا: قد/ در) أكَّدا نسب التقدير إلي الله وحده، بضمير جمعي.

٣ـ النبران على (مسبوقين: مس/قين) نفى نسبة السبق في هذا العمل إلى سواه.

٤ـ تكرار (نحن) مرتين؛ أحدث تكرارا لإيقاع واحد منبور في آية واحدة.

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(بمسبوقين: قين {ص ح ح ص} وهو تنغيم مستوى؛ لأن معنى الجملة لم ينته، حتى يصل إلى الآية التالية.

الآية الرابعة: ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦١ ﴾

هذه الآية امتداد للجملة السابقة (وما نحن بمسبوقين) ومعمولها، مما يؤكد غلبة الجانب الصوتي في بناء النص القرآني على الجانب التركيبي؛ حيث أتتْ الجملة الواحدة في أكثر من آية؛ ليحقق ذلك التركيب انسجاما صوتيا من خلال تقسيمها إلى آيات، تنتهي بفواصل متماثلة تقريبا، محدثا نغما خفيا ينتقل معنا من آية إلى أخرى؛ فنسمع صداه عند نهاية الآية في الفاصلة، مما يجعل القارئ المتابع

لهذا المعنى ينتقل من آية إلى آية، بنغم خفي يصاحبه في نهاية كل آية، فيستمر في متابعة النص مشدودا إليه بهذين العنصرين، فتصبح عملية متابعة عناصر الجملة محاطةً بهذا النغم الخفي، فيجتمع في ذهنه المعنى والنغم في إيقاع منتظم متكرر.

عناصر الحوار: متكلم (نون الجمع بالأفعال: نبدل ـ ننشئكم).

مخاطب (كُمْ: ننشئكم ـ أمثالكم) و (واو الجماعة: تعلمون).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على المعنى في الحوار

هذا الحوار استمرار لما في الآية السابقة من خطاب بين الحق سبحانه وخلقه، جاء حاملا المعنى الممتد في الآيات، مع معان أخرى أظهرتها عناصر صوتية، منها:

١ـ الوقوف عند فاصلة الآية السابقة (مسبوقين) جعلت المتلقي شغوفا؛ مشدودا لمعرفة معمول اسم الفاعل الآتي في الآية التالية، ذلك لانتهاء فاصلة الآية بالمقطع (ص ح ح ص) الذي إذا أشبعنا الحركة الطويلة التي فيه؛لأعطتنا مدة زمنية أطول فتُتِيح لنا فرصة للتفكير في ماهية هذا المعمول، وهنا يحاول المتلقي الربط بين الصوت وما يتابعه من معنى؛ مما يجعله متعلقا بالآية التالية.

٢ـ إبراز معنى التهديد بتوجيه الخطاب إليهم بغلظة بهذين النبرين اللذين على هاتين الكلمتين: (أمثالكم: أم / ثا) و (ننشئكم: نن / ش).

٣ـ المقطع (كُمْ) جاء مرتين متتاليتين في كلمة (أمثالكم) وكلمة (ننشئكم) ليؤكد على توجيه الخطاب لهم دون سواهم.

٤ـ كلمة "أمثالكم" تعنى أنه سبحانه لم يسبقه ولم يغلبه أحد في هذا العمل (الخلق والبعث) إنه أمر هينٌ عليه، خاصة إذا كان خلق أمثالكم، فخلق السماوات والأرض أكبر عند الله من خلق الناس ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧]، هنا تحمل كلمة (أمثالكم) معنى التقليل من مشقة خلقهم بالنسبة لخلق السماوات والأرض.

ملاحظة دلالية: نرى تطورا دلاليا لهذه الكلمة بتوسيع دلالتها؛ لتحمل معنى جديدا في عصرنا؛ حيث يستخدمها الناس الآن في خطابهم الحواري مع الآخرين

بمعنى التقليل من شأنهم فيقولون: أمثالكم لا يجلسوا معنا، تقليلا من شأن من يخاطبونهم، والسخرية منهم، لتصبح المثلية بالعبارة المعاصرة ببنائها الصوتي نفسه؛ تحمل معنى جديدا هو الدونية.

٥- العنصر الإشاري (ضمير الجمع في تعلمون) حقق لنا أهدافا صوتية ودلالية منها: ظهور الواو والنون بالمقطع الأخير لفاصلة الآية حقق انسجاما صوتيا مع باقي فواصل الآيات التي قبلها والتي بعدها، وقد أعطى الجمع معنى شمول جهلهم بقدرة الله قدرته على خلق أمثالهم؛ فهم كلهم لا يعلمون.

ثانيا التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(تعلمون: مون {ص ح ح ص} وهو تنغيم هابط؛ لأن العبارة إخبارية تتضمن معنى التهديد.

الآية الخامسة: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

يستمر الحوار بين الحق وخلقه؛ بتذكيرهم بعملية الخلق الأولى للإنسان من طين، وأنهم قد تبين لهم ذلك بالعلم اليقيني؛ ثم يشير إلى مشكلة الإنسان الكبرى النسيان فيأمل لو أنهم تذكروا خلقهم الأول من طين، ليعلموا قدرته على البعث.

عناصر الحوار: المتكلم (الحق سبحانه). مخاطب (خلقه جميعا).

عناصر إشارية: ضمير المخاطب الجمعي لشمولهم جميعا (تُمْ - واو الجماعة).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

جاء الحوار بعناصر صوتية كثيرة أظهرت معان جديدة منها:

١- توجيه الخطاب لهم بالضمير (تُمْ) جاء في مقطع واحد.

٢- وجود نبرين على الكلمتين (م النَّشأة: مُنْ/ نَشْ، أة الأولى: ةلْ/ أو) حددا المقصود بالعلم، فهما الدليل القاطع علي البعث، وهو علمهم بالنشأة الأولى التي كانت من الطين؛ فأكد على ذلك العلم، وأظهره بنبرين على كل من الصفة والموصوف.

٣. نبر كلمة الرجاء (فلولا: ف/لو) بنبرين أظهر الرغبة والرجاء بأن يصدقوا.

٤. نبر كلمة (تذكرون: ذك/ رون) بنبرين أظهر مشكلة الإنسان: كثرة النسيان.

٥. بدأت الآية بمقطع منبور (ولقد: و: ص ح) أظهر تحقق حدوث العلم لديهم.

ثانيا: التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(تذكرون: رون {ص ح ح ص} وهو تنغيم صاعد؛ لأن العبارة طلبية؛ تضمنت معنى الرجاء.

العناصر الحجاجية في الحوار حول نعمة الخلق:

بدأ الحوار بالحديث حول نعمة خلق الإنسان، وهى النعمة التي يجب على الإنسان أن يبدأ بالنظر إليها إذا أراد أن يذكر نعم الله عليه ويعددها، فكانت نعمة الخلق في خمس آيات؛ وفى المقابل كانت النعمة التي تليها نعمة إخراج الزرع في عدد آيات مساوٍ لها (خمس آيات)، ولكن نعمة الخلق كانت مقدمةً على نعمة الزرع؛ لأنها أصل نشأة الإنسان؛ حيث سيفكر بعد ذلك في طعامه وشرابه.

اعتمد الحوار على عناصر حجاجية دعمته وأكدت قوله، نذكر بعضها هنا:

١. بدأ الحديث عن النعمة بسؤال، وجه الأنظار نحو بداية الخلق الثاني للإنسان في شكل سؤال يحتاج لجواب؛ ليرفع مرتبة الحوار إلى النقاش، سؤال ثم جواب

٢. قدَّم الدليل المادي (ما تمنون) لبيان حدث غيبي البعث كوسيلة إقناع حجاجي

٣. الفعل (رأيتم) تعنى الرؤية بالعين؛ تأكيدا على صدق حدث يُرى بالعين.

٤. بدأ المرحلة الثانية من الحوار بسؤال، مما أظهر تطورا ونموا في الحوار.

٥. السؤال الثاني انتزع الإجابة منهم بسؤالهم عمن خلق المنى؛ كأنه لا يعرفه؛ ليتلقى الإجابة منهم؛ بصورة فورية بأنه الله، فيكون دليلا على البعث.

٦. الوسيلة الإقناعية بالحوار تقوم على تقديم الإجابة في السؤال بالتخيير بـ أَمْ.

٧. تأتى الإجابة الحجاجية من الحق على السؤال السابق بتوجيه الحوار ناحية الحديث عن نهاية الإنسان (الموت) قبل الحديث عن بدايته، فقد أجَّلْنا لكم الآجال التي ستموتون بعدها، ثم تأتى بعد ذلك حجة أخرى، أننا لم نسبق

بهذا الصنيع ولم نغلب من قبل ولا من بعد، ثم ينمو الحوار الحجاجى في قوله: بل نحن قادرون على أن نستبدلكم بأمثالكم من الخلق، وأن نخلقكم في ما لا تعلمون.

٨. يقدم الحجة على قوله السابق بتذكيرهم بعلمهم بالخلق الأولى من طين؛ فيقدم الإجابة قبل السؤال، حيث بدأ بتذكيرهم بهذا العلم السابق في تركيب معين هو: (لام التأكيد + حرف التحقيق قد + الفعل علمتم أي سلفا بالخلق الأول) آملا أن يتذكروا هذا العلم؛ كدليل مادي لديهم على قدرته على البعث؛ لكن مشكلتهم هي عدم تذكرهم، هنا يسير الحوار الحجاجي في اتجاه مناقشة مشكلة سبب إنكارهم للبعث، لا لجهلهم بقدرته سبحانه على فعل ذلك، بل لنسيانهم، وهو آفة كل علم.

٩. الاتجاه بالحوار ناحية أدلة لا تقبل الجدال يُقرُّ بها كل البشر "النشأة الأولى" للإنسان من طين، تلك أهم أساليب القرآن الحجاجية بإرجاع الأمر إلى أصله كما قال سبحانه ردا على من أنكر من المشركين تحويل القبلة ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (١٤٢) ﴾ [البقرة: ١٤٢] فأصل القضية أن الكون كله ملك لله؛ فليفعل في ملكه ما يشاء، فلماذا تجادلونه في ملكه؟! كذلك أنتم تعلمون أن أصل خلقكم كان من طين، فكيف تنكرون عليَّ عملية بعثكم من جديد، فلماذا الجدال؟!

لتنتهي بذلك مناقشة تلك القضية الحوارية بين الله تعالى وخلقه حول نعمته عليهم وهى خلقهم وبعثهم، فيبدو الحوار متكامل الجوانب، قدَّم فيه أدلته المقنعة وبصورة حجاجية منطقية مقنعة أيضا، و في لغة عالية البناء.

ثانيا: نعمة الزرع

ينتقل الحديث إلى نعمة أخرى تلي نعمة الخلق، هي نعمة إخراج الزرع؛ فلولا الزارع الحقيقي لهذا النبات سبحانه وتعالى ما رأينا زرعا قط.

الآية الأولى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

بدأ الحق سبحانه حديثه عن نعمة الزرع بصيغة السؤال السابق نفسها: همزة الاستفهام +همزة الفعل رأى+ فاعل(تم)+ مفعول(ما) فتكرر النمط الاستفهامي مع كل نعمة، مع نهاية مقطعية واحدة عند الفاصلة بالمقطع (ص ح ح ص) مما جعل السؤال الجديد يحمل الملامح الصوتية السابقة نفسها، فوجه حديثه إليهم، مخاطبا إياهم، سائلهم عن رؤيتهم لتلك النعمة "الزرع".

مقابلة الصوتية بين نعمتي الزرع والخلق:

١. أن عدد المقاطع واحد فيهما (٨) مع زيادة مقطع واحد (ر) في نعمة الزرع.
٢. تكرار العبارة (أفرأيتم ما تمنون - أفرأيتم ما تحرثون) عدا اسم النعمة فيهما.
٣. نوع المقاطع وترتيبها واحد في الآيتين وكذلك نبرهما مما أدى إلى توافقهما.
٤. المقطع الأخير في فاصلة الآيتين هو(ص ح ح ص) مع صوتي النون الواو.

التنغيم: جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة في(تحرثون: ثون {ص ح ح ص} وهو تنغيم صاعد؛ لأنه استفهام تضمن معنى الاستنكار، لأنهم يرونه .

الآية الثانية: ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

هذا هو السؤال الثاني كالذي في النعمة السابقة، عمن يزرع وليس عمن يحرث.

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه). مخاطب (عباده جميعا).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

تقوم العناصر الصوتية في هذه الآية على ما ذكرناه آنفا في الآية السابقة التي تتحدث عن نعمة الخلق في قوله تعالى: "أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون"، فينطلق الحديث بالكيفية الصوتية السابقة نفسها؛ حيث يتم أداء هذه الآية بطريقة حوارية مطابقة صوتيا تماما للآية السابقة، ذلك لوجود السؤال نفسه في الآيتين؛ وما يتبعه من تطابق في الأداء الصوتي عند إلقاء أي من السؤالين؛ نظرا لما تفرضه طبيعة الحوار الاستفهامي الصوتية؛ كنبر المقاطع نفسها بالآيتين؛ كذا تقسيم الآيتين إلى المقاطع الصوتية نفسها، بترتيبهما السابق الذي في الآيتين.

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(الزارعون: عون {ص ح ح ص} وهو تنغيم صاعد؛ لأنه استفهام تضمن معنى النفي، فهم لم يزرعونه.

الآية الثالثة: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

تمضى الآيات في الحديث عن نعمة الزرع؛ فيقول الحق: ماذا لو سلبنا منكم هذه النعمة؟ معلنا أن الأمر راجع لمشيئته هو، موضحا التوقيت المناسب للحدث فهو سبحانه لن يسلب الزرع إلا إذا صار شجرا يحمل ثمرا، فقبل هذا لن تكون هناك خسارة كبيرة لهم عند تحطيمه، فيكون بعد ذلك ندم وحسرة على ما كان حبّا فصار زرعا، ثم أصبح فجأة حُطاما، وهنا تأتي الصيحات الانفعالية والصرخات الاستغاثية التي سنراها في الآيتين التاليتين لهذه الآية.

عناصر الحوار: المتكلم (الله سبحانه) ❖❖❖ المخاطب (جميع خلقه).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

عبرت الكلمات عن معان ظاهرة وخفية بالآية من خلال:

١. إبراز معنى الشرط بالنبر على (لو) فتنطق دفعة واحدة بمقطع واحد منبور.
٢. إظهار معنى التهديد والوعيد و بيان قدرة الله عليهم؛ بوضع (لو) بأول الآية.
٣. وجود نبرين على كلمة التحول (لجعلناه) أظهر أن التحول بيد الله سبحانه.
٤. الفاء في أول جواب الشرط؛ أوجد فاصلا صوتيا بين الحدث ونتيجته: فَظَلْتُمْ.
٥. تقديم (فظلتم) أدى لبيان أهمية صفة الاستمرار علي الحدث نفسه (تفكهون).
٦. تأخير (تفكهون) لتصبح الفاصلة؛ أدى للتوافق الصوتي مع الفواصل السابقة
٧. نبر المقطع (تف) في (تفكهون) أعطى معنى استمرار الندم بتاء المضارعة.
٨. المقطع (تُمْ) في(فظلتم) وجه الخطاب والاتهام لهم، بإسناد الحدث لكم (أنتم).

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو (تفكهون): هون {ص ح ح ص} وهو تنغيم هابط؛ لأن الجملة إخبارية ينتهي المعنى بها، تضمنت معنى الحسرة.

الآية الرابعة والخامسة: ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

عناصر الحوار: المتكلم (الذين تحطم زرعهم) المخاطب (الزارع: الله سبحانه)

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار:

يتحول الحوار بتحول عناصره (متكلم/مخاطب) فَيتم تبادل المواقع؛ فيصبح المخاطب للمرة الأولى متكلما، فالذين حرثوا أرضهم في حزن على ما وقع بهم من بلاء، وعلى ما أنفقوا عليها من أموال، فأضحت حُطاما، لهذا جاءت العبارة الحوارية هنا معبرة عن الحسرة والندامة على ما حدث لهم؛ فماذا يفعلون، إنهم يصرخون ويعلنون ندمهم وحسرتهم؛ لذا جاءت عبارتا الحسرة والندم في آيتين قصيرتين عبرتا عن هذا الموقف، وما نراه بالآيتين من تركيب صوتي يعبر بدقة عن هذا الندم والحزن في صرخات وصيحات نادبة نادمة على ما ضاع منهم، فجاءت في قالب صوتي معين بخصائص صوتية تناسب هذا الموقف. أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

١- فاصلتا الآيتين انتهتا بالمقطع (ص ح ح ص) بالحروف نفسها (مغرمون: مون، محرومون: مون) فجاء الإيقاع واحدا متطابقا فيهما، فبدا هذا المقطع الأخير كأنه هاء الندبة التي تكون بآخر الكلمة نحو: واإسلاماه. وأسفاه مما يلائم حالة الحزن والحسرة التي هم فيها، فعبرت الصيحات والصرخات عن حالهم.

٢- تأثير النبر على معاني الكلمات وإبراز عناصرها الحوارية:

أ- النبر على المقطع الأول (إنّا: إِنْ) أظهر معنى التأكيد على وقوع المصيبة بهم.

ب- وجود النبر السابق بكلمة واحد (إنّا: إنّ+ اسمها) أظهر ارتباطهم بالحدث.

ج- تطابق موضع النبرين بـ(مغرمون ومحرومون) أوجد إيقاعا متطابقا بهما.

د- النبر على المقطع (نحن: نَحْ) أظهر إحساسهم بأن المصيبة تخصهم وحدهم.

هـ- النبر على(بل) أبراز معنى الإضراب عن المعنى السابق (الغرم: خسارة الحَبِّ) لينتقل إلى مستوى أكبر في البلاء، هو حرمانهم التام من الرزق.

ثانيا التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلتين وهما (مغرمون: مون ومحرمون: مون: ص ح ح ص) وهو تنغيم هابط في الفاصلتين؛ لأن العبارتين إخباريتان؛ تضمنتا معنى الحسرة والندم مع صيحة الاستغاثة والرجاء في رزق جديد. العناصر الحجاجية في الحوار:

هذا الحوار الذي تم بين الله تبارك وتعالى وبين عباده المنكرين لنعمته عليهم، الذين صرخوا نتيجة ما حدث لهم، ليس ردا على خطاب الله لهم فالحدث يستنفر المنكرين أكثر من القول ويقنعهم، فما أعظمها من حجة لا تقبل الجدال، فهم قوم خصمون، فقام الحوار على عناصر حجاجية مقنعة، لو أنهم يعقلونها:

١. السؤال (أفرأيتم ما تحرثون؟) حدد نوع الرؤية أنها عينية؛ فلا حجة بعدها.
٢. السؤال السابق يقدم الدليل الماديّ الملموس القريب منهم وهو عملية الزرع.
٣. كلمة تحرثون بالسؤال السابق وجهت الأنظار نحو دورهم الحقيقي بالحدث.
٤. الانتقال من الحديث عن دورهم بالحدث إلى الحدث نفسه، مع نسبته لفاعله.
٥. السؤال الثاني قدم الفاعل غير الحقيقي على الفاعل الحقيقي ليصبح الرفض لهذا الفاعل مقدما على بيان الفاعل الحقيقي للحدث، ويصبح تأييد نسب الحدث للفاعل التالي منطقيا وهو الخيار الوحيد.
٦. طرح فكرة ضياع النعمة منهم، ورد فعلهم إذا حدث هذا؛ جعلهم يرون ذلك كله في أذهانهم كأنه حدث فعلا، كان أكبر حجة لإقناعهم بخطورة الموقف.
٧. ذكر صيحة الندم والاستغاثة التي يقولونها جعلتهم يعيشون في قلب الحدث.
٨. قصر الآية الرابعة والخامسة في نعمة الزرع في مقابل نعمة الخلق؛ نظرا للطبيعة الحوارية لكل من نعمتي الزرع والخلق، فنجد أن آية:

الزرع: أخذت جانبا من الحدث وهو سلب النعمة ولحظة الندم والحسرة عليها، فجاءت في جمل قصيرة هي في حقيقتها صيحات استغاثة يصدرها المحرومون
الخلق: هي امتداد للحوار العقلي بين الحق سبحانه وخلقه حول قدرته على البعث؛ فيثبت قدرته على البعث من خلال تذكيرهم بالنشأة الأولى من طين.

٩- قصر الآيتين الرابعة والخامسة جاء مناسبا لصيحات وصرخات الحسرة .

١٠- نمو انفعالهم من الإحساس بالخسارة فقط إلى الإحساس بالحرمان التام صوره ترتيب الصيحات: من(إنا لمغرمون >> بل نحن محرومون) .

ثالثا : نعمة الماء

ينتقل الحوار بنا إلى نعمة كبرى من نعم الله علينا "نعمة الماء" سائلا عنها باسمها ، هل رأيتموها؟ إنه سؤال لا يحتاج إلى جواب؛ لأن كل الناس لا حياة لهم بدونها ، ثم يأتي السؤال التالي عمن أنزلها من السماء ، فماذا ستفعلون لو أننا حولناها إلى ملح أجاج، لكن لا نجد هنا صراخا ولا صياحا لفقدانهم الماء ، كما رأينا عند تحطم الزرع، لأنه لا حياة بعد هذا الحدث ، فالقوم كلهم قد ماتوا؛ فلا نجد من يصرخ أو يصيح فالناس لا يحيون بلا ماء ، وفى المقابل فإن الإنسان إن لم يجد زرعا فإنه يحيا بالماء لفترة كبيرة ، مما يستوجب شكرهم عليها ، فكان الصمت عن ذكر عاقبة تحول الماء إلى ملح أبلغ من ذكرها لهم.

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه) مخاطب (جميع خلقه).

جاء الحديث عن هذه النعمة في ثلاث آيات فقط ، وكذلك النعمة التالية ، هي نعمة إيقاد النار ، خلافا لما رأينا في النعمتين السابقتين ، لماذا؟ لأن كلاهما نعم ظاهرة لا يمكن أن تدخل في قضايا جدلية ، بل إن أدلة نسبها إليه واضحة جلية لا تحتاج إلى برهان ، فقد ربطها الحق بأدلة كونية لا يصل إلي فهم كنهها أبناء عصر النبوة.

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

يقوم الحوار حول نعمة الماء على المنهج السابق ، وبعناصره الصوتية السابقة ، مع ملامح صوتية جديدة تخص نعمة الماء وتبرزها ، منها :

١- تكرار السؤال السابق عن النعمة (أفرأيتم) وإسناد صفتها إلى الأمثلة الخمسة لتنتهي بالمقطع (ص ح ح ص) المنتهى بواو ونون (تشربون) فيتوافقا صوتيا.

٢- (أنزلتموه) جاءت منبورة بنبرين؛ أظهرا ارتباط الماء بالسماء وعدم قدرتهم على إنزاله مما يثبت عجزهم عن دوام الحياة ، فضلا عن بدأ الحياة أو البعث.

٣. تكرار صوت الزاي ثلاث مرات بالآية كصوت صفير أشاع فيها نغما جميلا

٤. النبران على (تشكرون: تش/ رون) أبرزا الغرض من ذكر النعمة: شكرها.

٥. الصوت (الجيم) الانفجاري المزدوج الذي تكرر في كلمة واحدة (أُجاجا) أحدث هزة أبرزت شدة ملوحة الماء، فهو يبدأ انفجاريا وينتهي احتكاكيا.

٦. توجيه الخطاب لهم في كلمة شرطية (فلولا) منبورة بنبرين متتاليين، دفعهم وحثهم على ضرورة شكر تلك النعمة التي لا حياة لهم بدونها "الماء".

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم في الآيات الثلاثة كالآتي:

١. **الآية الأولى:** جاء التنغيم فيها كما في الآية الأولى من نعمتي الخلق والزرع. فكلها جمل الاستفهامية، فكان التنغيم فيها صاعدا، تضمن معنى تقرير الرؤية.

٢. **الآية الثانية:** جاء التنغيم فيها كما في الآية الثانية من نعمتي الخلق والزرع، فكلها جمل الاستفهامية، فكان التنغيم صاعدا، تضمن معنى نفي إنزالهم للماء.

٣. **الآية الثالثة:** جاء التنغيم فيها هابطا حاملا معنى الرجاء في أن يشكروه.

رابعا: نعمة إيقاد النار من الشجر الأخضر

يوجه الحق سبحانه أنظار خلقه ناحية نعمة ينعمون بها ولا يشكرونه عليها ألا وهى نعمة إيقاد النار من الشجر الأخضر؛ ذاكرا صفة النار بـ(التي تورون) وأرجعها إلى أصلها (الشجر الأخضر المشبع بالماء) فكيف يصبح الماء نارا؟! ثم يذكر لهم سبب حديثه عن النار؛ أنها تذكرة لهم بنار جهنم، ومتاع للمسافرين يحملونها معهم، ثم يوجه حديثه بعد ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم؛ آمرا إياه أن يشكره على تلك النعم، وذلك بتسبيحه سبحانه، وهنا ينتقل الحوار من حديث بين الله وعباده موجها خطابه لهم؛ إلى توجيه خطابه لنبيه؛ لكن مقصود خطابه أنه موجه إلى المؤمنين به كافة؛ بأن يسبحوا جميعا باسم ربهم العظيم.

عناصر الحوار:

١. متكلم (اللّه سبحانه) المخاطب (جميع خلقه)

٢. متكلم (اللّه سبحانه) المخاطب(نبيه الكريم عليه السلام)

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

١. تكرار السؤال الأول ذاته (أفرأيتم) بكل خصائصه الصوتية والدلالية السابقة.

٢. تكرار السؤال الثاني ذاته (أأنتم) بكل خصائصه الصوتية والدلالية السابقة.

٣. تأتى الآية الثالثة بإجابة للسؤال الثاني تفيد بيان العلة في وجود النار بتقديم الفاعل (نحن) على الفعل (جعلناها) تعظيما لخالق النار في مقطع منبور .

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم في الآيات الثلاثة كالآتي:

١. **الآية الأولى:** جاء التنغيم فيها كما في الآية الأولى من النعم السابقة. فكلها جمل الاستفهامية، فكان التنغيم فيها صاعدا، وتضمن معنى التقرير.

٢. **الآية الثانية:** جاء التنغيم فيها كما في الآية الثانية من النعم السابقة، فكلها جمل الاستفهامية، كان التنغيم صاعدا، تضمن معنى نفى كونهم خلقوا شجرها.

٣. **الآية الثالثة:** التنغيم فيها هابط، لأنها عبارة إخبارية، مع معنى التقرير.

مقاربة بين البناء الصوتي لآيات النعم

جاءت كل نعمة من النعم الأربعة التي ذكرها الحق سبحانه (الخلق. الزرع. الماء. النار) في بناء صوتي مستقل، لكن ما لاحظته على ذلك البناء هو اتفاق كل نعمتين متتاليتين في بنائهما الصوتي، فاختلافا صوتيا عن آيات النعمتين التاليتين لهما، ويمكن بيان ذلك من خلال هذا الجدول:

اسم النعمة	عدد آياتها	السؤال الأول	المفعول	السؤال الثاني	الجملة الأولى	الجملة الثانية	تعقيب الله لها
الخلق	٥	أفرأيتم	ما تمنون	أأنتم	تخلقونه	أم نحن الخالقون	نحن قدرنا
الزرع	٥	أفرأيتم	ما تحرثون	أأنتم	تزرعونه	أم نحن الزارعون	لونشاء لجعلناه
الماء	٣	أفرأيتم	الذي تشربون	أأنتم	أنزلتموه	أم نحن المنزلون	لو نشاء جعلناه
النار	٣	أفرأيتم	التي تورون	أأنتم	أنشأتم	أم نحن المنشئون	نحن جعلناها

ملاحظات على هذا الجدول:

هذا الجدول يُبيّن مواضع الاتفاق والاختلاف الصوتي بين آيات نعم اللّٰه على اختلافها؛ مما أوجد لنا إيقاعا متماثلا في كل آية مع الموضع الذي يقابلها بالآية الأخرى، وقد يحدث هذا التوافق أو الاختلاف في نعمة أخري تالية لها أو بينهما فاصل بنعمة ثالثة، مما يجعلنا نوقن أن هذا النص جاء في شكل بناء صوتي محكم، ترابط الإيقاع داخله بصورة عامة، حيث قدم فيها نغما على آخر أو كرر نغما عدة مرات. فنرى منظومة إيقاعية متناسقة ومنسجمة صوتيا معا.

فمن مواضع الاتفاق ما يأتي:

١. أداة الاستفهام في السؤالين واحدة في كل النعم (أفرأيتم ـ أأنتم) الهمزة.

٢. عدد الآيات في النعمتين الأولى والثانية واحد(٥) والثالثة والرابعة واحد(٣)

٣. السؤال الأول مفعوله اسم موصول (ما) في نعمة الخلق والزرع، و(الذي ـ التي) في نعمة الماء والنار.

٤. السؤال الثاني جاء في جملتين متوافقتين في تركيبهما النحوي والصوتي:

أ ـ الجملة الأولى مكونة من: فعل + فاعل+ مفعول (تخلقونه....)

ب ـ الجملة الثانية مكونة من: مبتدأ + خبر اسم فاعل (نحن الخالقون...)

ج ـ الضمائر في الجملتين واحد: نحن + ضمير الجمع السالم في الاسم والفعل (تخلقونه ❖ خالقون). تكرر هذا النمط مع كل النعم الأربعة.

٥. الاتفاق في البناء التركيبي الصوتي للسؤالين اللذين تكررا مع كل نعمة:

السؤال الأول: أفرأيتم + ما + تفعلون؟ يتكرر هذا السؤال مع استبدال يفعلون.
السؤال الثاني: أأنتم + تفعلونه + أم + نحن +الفاعلون.

هذا التوافق الصوتي في السؤالين نتج عن توافق في بناء كلمات السؤالين، وتكرار بعضها، مما يجعلها تبدو كأنها كلمات متطابقة تماما، فنتج عن ذلك أيضا توافق في عدد ونوع المقاطع بتلك الكلمات، وكذلك مواضع النبرين فيهما

٦. التعقيب على النعم الأربعة: (أعنى الجملة التي أتت بعد السؤال الثاني في كل نعمة من النعم الأربعة، فقد اتفقت كل آيتين معا في بنائهما التركيبي، نحو:
   أ. الأولى والرابعة: اتفقتا في التكوين: نحن+ فعلنا.(نحن قدَّرْنا ـ نحن جعلناها)
   ب ـ الثانية والثالثة: اتفقتا في التكوين: لو+ نشاء+ فعلناه. (لو نشاء لجعلناه ـ لو نشاء جعلناه). مع حذف اللام في الآية الثالثة (جعلناه) .

هذا الاتفاق التركيبي تبعه اتفاق صوتي؛ في المقاطع ومواضع النبرين. مواضع الاختلاف بين الآيات:

١. الاختلاف في عدد آيات كل نعمتين عن أختيهما؛ فالأولى والثانية جاءتا في خمس آيات، والثالثة والرابعة في ثلاث آيات.
٢. اختلاف المعاني التي تُنْتج في كل نعمة عن الأخرى؛ نظرا لطبيعة كل نعمة
٣. اختلاف بين الآيات التي أتت تعقيبا على السؤال الثاني؛ نظرا لطبيعة الحوار الخاص بالنعمة وصفاتها؛ ودخول العنصر الحجاجي عليها، مما جعل التعقيب يسير في اتجاهات مختلفة حسب نوع النعمة وخصائصها، كما نرى فيما يأتي:
   أ. نعمة الخلق: سار الحوار الحجاجى في التعقيب ناحية التذكير بالخلق الأول.
   ب ـ نعمة الزرع: سار الحوار ناحية ما يحدث عند تحطيم الزرع من خسارة.
   ج ـ نعمة الماء: سار الحوار ناحية تحول الماء إلى ملح، طالبا منهم شكرها.
   د. نعمة النار: سار الحوار ناحية قيمة النار المادية(متاع للمقوين) والمعنوية (تذكرتهم بنار الآخرة).

هذا الاختلاف في آيات التعقيب أعطى لكل نعمة قيمة حجاجية خاصة بها، ومذاقا صوتيا جعلها مختلفة تبعا لطبيعة حوارها الخاص. هنا يصبح للاختلاف قيمة صوتية، إلى جانب قيمته الدلالية التي يطرحها كل حوار على حدة.

هذا الاتفاق والاختلاف بين كل نعمتين أوجدا إيقاعا ذا ملامح صوتية خاصة؛ مما يجعل القارئ للقرآن يسير خلف نغم خفي؛ فما يكاد يألفه حتى يفاجأ بتغيره، فالإيقاع في القرآن ليس موزونا، نعرفه فنتوقع حدوثه في الآية التالية، بل إنه دائما متغير متجدد، وعلى الرغم من هذا التغيير فهناك إيقاع خفي تسمعه الأذن، وتدركه النفس، إنه إيقاع القرآن العظيم الذي تخشع له القلوب المؤمنة بربها؛ فتزداد قربا منه وخشية له.

المحور الثاني: الهياكل التنغيمية

إن المحور السابق الذي يقوم على تحليل الحوارات التي وردت في الآيات التي تتحدث عن نعم الله؛ دفعنا إلى الحديث عن النغم المتناسق والمتكرر بآيات النعم؛ مما يشكل لنا بناءً صوتيا متناسقا متناغما، جاء في صورة قوالب صوتية متناغمة؛ مما يمكن أن نطلق عليه اسم الهيكل التنغيمي، وقد نشأت هذه القوالب من تكرار كلمات معينة مع كل نعمة جاءت في صورة سؤالين متكررين في كل نعمة بالترتيب ذاته، ثم تعقيب يلي كل من السؤالين. مما يصنع لنا هيكلا تنغيميا يُصب فيه كل سؤال من السؤالين، ثم نجد الهيكل يتكرر مع كل نعمة منهم.

ولكي نحلل تلك القوالب التنغيمية ونحل شفرته؛ كان علينا عقد مقارنة بين الآيات المتشابهة صوتيا، ووضعها تحت بعضها في شكل مجموعات، ثم نلاحظ عناصر الاتفاق الصوتي والاختلاف فيما بينهم .

أولا: الهيكل التنغيمي للمجموعة الأولى

تكون الهيكل التنغيمي من تكرار السؤال الأول الذي جاء في بداية كل نعمة من النعم الأربعة، وقد جمعناه في هذه المجموعة التي تتكون من:

أ- السؤال عن نعمة الخلق: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

ب- السؤال عن نعمة الزرع: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

ج- السؤال عن نعمة الماء: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

د- السؤال عن نعمة النار : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾

نشأ هذا الهيكل التنغيمي لتلك المجموعة من اتفاق كل آياته في:

١. الكلمات: كلمة السؤال "أفرأيتم" تكررت في الآية الأولى من كل نعمة.

٢. المقاطع ومواضع النبر:

تتفق مقاطع هذه الآيات بصورة كبيرة، كذلك في ترتيبها ومواضع نبرها، مع اختلافات طفيفة من زيادة مقطع أو نقصه أو تغير موضع نبر، يتضح هذا بالمقابلة بينها:

أ ـ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾

أَ / فَ / رَ / أَيْ / تُمْ / ما / تُمْ / نُوْنْ

ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح' ح ص/ص ح' ح ص.

ب ـ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾

أَ / فَ / رَ / أَيْ / تُمْ / ما / تَحْ / رُ/ ثُوْنْ

ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح' ص/**ص ح**/ص ح' ح ص.

ج ـ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

أَ / فَ / رَ / أَيْ / تُ / مُلْ / ما / ءَلْ / لَ / ذِى / تَشْ / رَ / بُوْنْ

ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح' ص/**ص ح**/ص ح' ح ص.

د ـ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾

أَ / فَ/ رَ / أَيْ / تُ / مُنْ / نا / رَلْ / لَ / تِي / تُو / رُوْنْ

ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح' ح /ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح' ح/ص ح' ح ص.

ملاحظات على التركيب المقطعي ومواضع النبر في هذه المجموعة:

جاء التركيب المقطعي في الآيات الأربعة مقسما على قسمين، الأول: يضم الآيتين الأولى والثانية، والثاني: يضم الآيتين الثالثة والرابعة، وكل قسم منهما جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها ومواضع النبر فيه، وذلك من أول الآيتين إلى آخرهما مع زيادة مقطع واحد بإحدى الآيتين، فيصبح لدينا هيكل لكل قسم.

أ- القسم الأول: يشمل الآية الأولى والثانية من المجموعة؛ جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها مع زيادة مقطع قصير مفتوح في الآية الثانية، كما ترى:

١- ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح'ص/ص ح'ح ص

٢- ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح'ص/ص ح/ص ح'ح ص.

فيصبح الهيكل التنغيمي لهذا القسم هو: ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح'ص/**ص ح**/ص ح'ح ص.

ب- القسم الثاني: يشمل الآية الثالثة والرابعة من المجموعة، جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها مع زيادة مقطع قصير مفتوح في الآية الثالثة، كما ترى:

٣- ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح'ص/**ص ح**/ص ح'ح ص.

٤- ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح' ح/ص ح'ح ص.

فيصبح الهيكل التنغيمي لهذا القسم هو: ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح'ص/**ص ح**/ص ح'ح ص

ثانيا: التنغيم:

جاء التنغيم في الآيات الأربعة متفقا تماما، لأن كل الآيات جاءت في صورة سؤال، ومنتهية بالمقطع (ص ح'ح ص) الذي هو موضع النبر والتنغيم، فكان التنغيم فيهم جميعا صاعدا، يحمل معنى التقرير .

الخلاصة:

نستنتج من ملاحظة هذا التطابق بين السؤالين الواردين في كل قسم من القسمين مما يجعلنا نقول: إن الهيكل التنغيمي في كل قسم يكوّنُ إيقاعا متطابقا عند تكراره في كل من الآيتين المتتاليتين.

ثالثا: الهيكل التنغيمي للمجموعة الثانية

تكون الهيكل التنغيمي من تكرار السؤال الثاني الذي جاء في الآية الثانية

من كل نعمة من النعم الأربعة، وقد جمعناه في هذه المجموعة التي تتكون من:

أ - ﴿ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

ب - ﴿ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

ج - ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

د - ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

نشأ هذا الهيكل التنغيمي لتلك المجموعة من أتفاق كل آياته في:

١- الكلمات: كلمة السؤال "أأنتم" حيث تكررت في الآية الأولى من كل نعمة.

٢- المقاطع والنبر: تتفق مقاطع هذه الآيات بصورة كبيرة، وكذلك في مواضع النبر، مع اختلافات طفيفة من زيادة مقطع أو نقصه أو تغيير موضع نبر، يتضح هذا بالمقابلة بينها:

أ - ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾

أَ /أَنْ /تُمْ /تَخْ /لُ /قُو/ نَ/ هُ/أَمْ/ نَحْ/نُلْ /خَا /لِ / قُونْ

ص حَ /ص حَ ص/ص حَ ص/ص ح ص/ص حَ ص/ص حَ/ص حَ ح /ص حَ/ ص حَ/ص حَ ص/ص حَ ص/ص ح ص/ص حَ ح /ص حَ/ص حَ ح ص.

ب - ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾

أَ / أَنْ / تَمْ /تَزْ /رَ /عُو /نَ /هُ /أَمْ / نَحْ /نُزْ /زَا / رِ/ عُونْ

ص حَ /ص حَ ص/ص حَ ص/ص ح ص/ص حَ/ص حَ ح /ص حَ/ص حَ/ص حَ ص/ص حَ ص/ص ح ص/ص حَ ح /ص حَ/ص حَ ح ص.

ج - ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾

أَ / أَنْ / تُمْ / أَنْ /زَلْ /تُ /مُو /هُ / مِ/ نَلْ / مُزْ /نِ/ أَمْ / نَحْ/نُلْ/ مُنْ/ زِ/ لُونْ

ص حَ /ص حَ ص/ص حَ ص/ص ح ص/ص ح ص/ص حَ ص/ص حَ/ص حَ ح /ص حَ/ص حَ/ص حَ ص/ص حَ ص/ص حَ ص/ص حَ/ص حَ ص/ص ح ص/ص حَ ص/ص حَ/ص حَ ح ص.

د ـ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾

أَ / أَنْ / تَمْ/ أَنْ /شَأْ / تُمْ / شَ/ جَ/ رَ/ تَ /ها /أَمْ /نَحْ /نُلْ/مُنْ /شِ/ ئُونْ

ص ح' /ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ص/ص ح/ ص ح'ح ص.

ملاحظات على التركيب المقطعي ومواضع النبر في هذه المجموعة:

جاء التركيب المقطعي في الآيات الأربعة مقسما على قسمين الأول: يضم الآيتين الأولى والثانية، والثاني: يضم الآيتين الثالثة والرابعة، ، وكل قسم منهما جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها ومواضع النبر فيه، وذلك من أول الآيتين إلى آخرهما مع زيادة مقطع واحد بإحدى الآيتين، فيصبح لديناهيكل لكل قسم .

أ- القسم الأول: يشمل الآية الأولى والثانية من المجموعة؛ جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها دون زيادة أو نقص مع اختلاف موضع النبر واحد، كما ترى:

١. ص ح' /ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ص/ص ح/ص ح'ح /ص ح/ ص ح/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح/ص ح'ح ص.

٢. ص ح' /ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح/ص ح'ح /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح/ص ح'ح ص.

فيصبح الهيكل التنغيمي لهذا القسم هو: ص ح' /ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ص/ص ح/ص ح'ح /ص ح/ ص ح/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح/ص ح'ح ص.

ب- القسم الثاني: يشمل الآية الثالثة والرابعة من المجموعة، جاء متفقا في عدد مقاطعه؛ مع زيادة مقطع واحد في الآية الثالثة عن الرابعة، أما ترتيب المقاطع ونوعها، فجاء متفقا من المقطع الأول حتى الخامس، ومن الأول حتى السادس حين نعد من الآخر، ويصبح الاختلاف في وسط الآيتين فقط كما ترى:

٣. ص ح' /ص ح'ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح'ص/***ص ح/ص ح'ح /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح/***ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ص/ص ح/ص ح' ح ص.

٤. ص ح’/ص ح‘ص/ص ح’ص/ص ح‘ص/ص ح ص/**ص ح ص/ص ح‘/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/**ص ح‘ص/ص ح‘ص/ص ح ص/ص ح’ص/ص ح/ ص ح‘ح ص.

ويمكن أن نصنع لهذا القسم هيكلا تنغيميا تقريبيا مختلفا عما سبقه، حيث يتفق أوله وآخره، ويختلف في وسطه في كلا الآيتين، فيصبح كما ترى:

ص ح’/ص ح‘ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح’ص/**ص ح/ص ح/ص ح‘ح /ص ح/ص ح/ص ح‘ص/ص ح‘ص/ص ح/**ص ح‘ص/ص ح‘ص/ص ح ص/ص ح’ص/ص ح/ص ح‘ ح ص.

لماذا كان الاتفاق بين الآيتين في أول المقاطع وآخرها، وكان الاختلاف في وسطها فقط؟ ذلك لأنها المنطقة الواقعة في الوسط، فلا تدركها أذن السامع، أما ما يقع في بؤرة إدراكها؛ فهو أول الآية وآخرها الذي يبقى في ذاكرته القريبة.

٣ـ التنغيم:

جاء التنغيم في الآيات الأربعة متفقا تماما، لأن كل الآيات جاءت في شكل سؤال، ومنتهية بالمقطع (ص ح‘ح ص) الذي هو موضع النبر والتنغيم، فكان التنغيم فيهما صاعدا، يحمل معنى تقرير نسب فعل هذه الأشياء لله وحده، وكذلك نفى نسب ذلك لغيره.

الخلاصة:

نستنتج من ملاحظة هذا التطابق بين السؤالين الواردين في كل قسم من القسمين مما يجعلنا نقول: إن الهيكل التنغيمي في كل قسم يكوّنُ إيقاعا متطابقا عند تكراره في كل من الآيتين المتتاليتين.

الحوار الخامس:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾

هذا حوار جديد بين الحق سبحانه وخلقه، يشير فيه إلى عظمة ما يقسم به سبحانه، فهو لا يقسم بالنجوم؛ بل بمواقع النجوم، ثم جاءت جملة (لو تعلمون)

فاصلة بين المتلازمين (الصفة والموصوف) فالأصل: وإنه لقسم عظيم، فجاءت الجملة الاعتراضية لتقطع المسار الفكري والتتابع الذهني للمعنى الممتد في الآية؛ فيستوقف السامع بتوجيه الخطاب ناحية خلقه، فيتحول الحديث من إخبار لهم إلى خطاب لهم، مما جعلهم مشاركين في الحوار كأحد أطراف هذه القضية، لقد جاءت هذه الجملة الشرطية، لتشير إلى لب القضية وهو أنه لا عظمة لهذا القسم لديهم، وذلك لكفرهم بالله، وجهلهم بالفرق بين النجوم ومواقع النجوم.

الحوار السادس: (لحظة خروج الروح)

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

هذا حوار بين الحق تبارك وتعالى وخلقه حول القدرة الإلهية على الموت، بعرض لحظة خروج الروح، فحينها يتبدل الحديث، وتهتز النفوس، وتخشع القلوب وترتجف؛ لخوفها من لقاء ربها، ساعتها لا تسمع صوتا ولا تجد جدالا ولا حوارا؛ فسكتت الألسن وسجدت الجباه لباريها، فما أعظمها من ساعة، وما أشدها من لحظة؛ تغور فيها العيون في الصدور؛ فلا ترى مما حولها سوى مقامها عند ربها، إنها لحظة يذكرنا الله بها لنستحضرها في نفوسنا قبل أن نتجرأ عليه فنكذب بكتابه، فإذا كنتم تكذبون بالكتاب، فلماذا لا تكذبون بهذا الحدث،وتلك اللحظة؛ فمالك هذه اللحظة وصاحب القول الفصل فيها، هو منزل هذا الكتاب الذي تكذبونه، فهل تكذبون بلحظة الموت؟!

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه) مخاطب (الذين يكذبون بالكتاب الكريم)

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

إنها لحظة مليئة بالرهبة والهيبة تحتاج لإيقاع يصورها بدقة ويستحضرها في أذهان من حول الميت ليعيشوها مع كل آمال الميت وآلام الموت، نحو:

١. (أفبهذا) استفهام حمل كل معاني الاستنكار والتعجب، التي أبرزتها:

أ ـ همزة الاستفهام المنبورة في أولها أعطت معنى التعجب، واتهامهم بالإنكار.

ب ـ نبر هاء التنبيه أعطى معنى الدهشة لإنكارهم ما يشير إليه. أي هذا الحديث.

٢ـ النبر على (أَنْ) في (أَنْتُمْ) وجه الخطاب إليهم وحدهم، واتهمهم بالكذب؛ فقلل من شأنهم. [أأنتم من يكذب بهذا الحديث؟ فمن أنتم حتى تكذبوا المحيي المميت!]

٣ـ النبران على (مدهنون: مد/نون) أبرزا معنى الاستنكار، مع وصفهم بالنفاق.

٤ـ النبران على (تجعلون: تج/ لو) أبرزا معنى التحول الذي في الفعل من الحق إلى الباطل. مع إسناد جريمة التحول من الحق إلي الباطل إليهم، واتهامهم بها.

٥ـ النبر على المقطع الأول (أنَّكم: أَنْ) أكَّد إسناد الفعل لهم، وقد خصهم المقطع (كُمْ) بالخطاب، مع اتهامهم بجريمة الكذب، فقدَّم أداة التأكيد (أنَّ) والضمير (كم) على الحدث (تكذبون) ليخصهم بذلك وحدهم قبل الحديث عن الفعل نفسه.

٦ـ النبران على (تكذبون: كذ/ بون) أبرزا هول جريمتهم (التكذيب بكتاب اللّه)

٧ـ فلولا: إنها محطة انتقال من قضية عدم التصديق بالقرآن إلى قضية أخرى وهى خروج الروح من الجسد، فلابد من وقفة صوتية تبرز حالة الانتقال هذه؛ وذلك بالنبر على كلمة الشرط بنبرين (فلولا: فـ/ لو) لإثارة انتباه السامع لهذا التحول، مع (إذا) التي هي ظرف لما يستقبل من الزمان، أي عندما يصل الأمر إلى تلك اللحظة (بلوغ الروح إلى الحلقوم) يجب أن نعيد حساباتنا ونظرتنا إلى ما حولنا؛ فالأمر جد خطير، فيبدأ الحديث عن قضية جديدة؛ هي خروج الروح.

٨ـ النبران على (الحلقوم: حل / قوم)أبرزا الموضع الذي فيه الروح الآن؛ وأنها قد بلغت مرحلة اللاعودة إلى الجسد، على الرغم من أنها لازالت في الجسد.

٩ـ المقطع الأخير بالفاصلة (قوم: ص ح ح ص) منتهى بصوت الميم؛ فهو بهذا

يختلف عن المقطع (ص ح ح ص) الذي في نهاية الفواصل السابقة واللاحقة حيث تنتهي بصوت النون؛ مما أظهر الاختلاف في الحدث بين الآيات السابقة واللاحقة، فالموضع الذي فيه الروح الآن يحتاج إلى انتباه شديد، فهذا الشخص لم يعد قادرا على الكلام الآن؛ فانتبه أيها السامع إلى هذه الوقف الرهيب الذي صنعه التحول من صوت النون إلى الميم في نهاية الفاصلة (الحلقوم: قوم).

١٠. النبر على (وأنتم: أن) يقول: إنني أوجّه الخطاب إليكم أنتم يا من في داخل الحدث، وتشاركون هذا الإنسان لحظة انتهاء حياته، فوضع أنتم في أول الجملة؛ ليخصهم بالخطاب، وليعلن وجودهم السلبي، فلا يصنعون شيئا للميت إلا النظر.

١١. النبران على(حينئذ: حي/إذ) حدد وقت الحدث الذي هم بداخله، وهو التقاء لحظة خروج الروح مع لحظة نظرهم للميت، فأبرز النبران معا ذلك التوقيت.

١٢. النبران على (تنظرون: تن/رون) أظهرا دورهم لحظة خروج الروح أنهم ينظرون للميت فقط دون فعل أي شيء له. إنها تصور عجز الإنسان، وضعفه.

١٣. قدم (نحن) منبور أولها لإبراز موقع الحق سبحانه داخل الصورة في لحظة خروج الروح، فالقرب من الميت لله وحده، وهو أكبر من قربكم أنتم منه .

١٤. النبر على مقطع (مِنْ) في (منكم) خص نفسه في خطابه بأنه الأكثر قربا.

١٥. ثم أسرع بالرد على سؤال توقع أن يسأله أحد الحضور، وهو: أين الله في تلك الصورة ووسط هذا الحدث؟ فتكون الإجابة هي {ولكن لا تبصرون} أي أن العيب فيكم، وذلك بنبر الحدث بنبرين (تبصرون: تب / رون) مما بين أن أصل مشكلة عدم وجود الحق في الصورة؛ هو في عدم إبصارهم هم لما حولهم.

١٦. يأتي الحوار الحجاجي الفاصل في القضية كلها، وهو طلب الحق منهم إرجاع الروح إلى الجسد؛ الذي لم ينقصه شيء بخروجها؛ كدليل على صدقهم، مما استوجب وجود عناصر صوتية لإبراز معنى التحدي لهم، نحو:

أ - النبر بنبرين على (فلولا: ف/ لو) أبرزا معنى التحدي الذي يتضمن داخله معنى العجز واليأس من أن يفعلوا ذلك.

ب ـ وتأكد ذلك العجز واليأس من أن يفعلوه من خلال الشك في صدق قولهم بـ (إنْ) المنبورة، التي تضمنت معنى الشك على الرغم من أن معناها الشرط.

ج ـ النبر على المقطع الأول (كُنْ) في كنتُمْ؛ شكك فيما يدّعونه من قدرة على فعل ذلك، فـ (كُنْ) دالت على أن زمن وقوع حدث الموت كان في الماضي.

ج ـ النبران على (ترجعونها: تر/عو) أظهرا موضع التحدي وهو إرجاع الروح

د. تكرار (إن كنتم) بالآيتين أكدَّ معنى الشك في الموضعين (أي إن كنتم غير محاسبين: وهم محاسبون) و (إن كنتم صادقين: وهم كاذبون) ثم جاء الشرط (فلولا) الذي ربط بين العبارتين، فكانت العبارتان (غير مدينين ـ صادقين) كاذبتين؛ لعدم حدوث جواب الشرط (ترجعونها) لعدم قدرتهم على ذلك.

هـ ـ تكرار (فلولا) بخصائصها الصوتية مرتين في هذا الحوار أكد على معنى الافتراض في هذين الشرطين، فيفترض أولا: أن روح إنسان ما قد بلغت الحلقوم. ثانيا: أنهم غير محاسبين. ثم يأتي جواب هذين الشرطين واحدا، هو إرجاعهم هذه الروح إلى الجسد. فكان واجبا إبرازهما بنبرهما بنبرين.

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم في هذا الحوار متنوعا لتنوع العبارات التي فيه؛ ما بين عبارة استفهامية وخبرية وإنشائية وطلبية وشرطية، مما يجعل منه حوارا متناغما مختلف الإيقاع لما سبق من أسباب، لهذا يجب عرض كل آية فيه بصورة مستقلة عن أختها لبيان التنغيم الخاص بها. من الآية ٨١ إلى الآية ٨٧.

١ـ التنغيم في الآية: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾

جاء التنغيم صاعدا، فهي جملة استفهامية، تتضمن معنى الاستنكار لتكذيبهم لكتاب الله، وقع على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (نون: ص ح' ح ص).

٢ـ التنغيم في الآية: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

جاء التنغيم صاعدا، فهي جملة معطوفة على الاستفهام السابق، تتضمن معنى الاستنكار أيضا، ولكن من جَعْلِهم رزقَهم هو التكذيب بكتاب الله، وقد وقع التنغيم أيضا على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (بون: ص ح' ح ص).

٣ـ التنغيم في الآية: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾

جاء التنغيم مستويا؛ لأن المعنى لم يكتمل مع نهاية الآية، والسامع متحفز لسماع جواب الشرط، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (قوم: ص حʻح ص) .

٤ـ التنغيم في الآية: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾

جاء التنغيم مستويا؛ لأن الآية جملة حالية واصفة لحالهم وقت خروج الروح، وليست جوابا للشرط الذي في الآية السابقة، فلازال السامع ينتظر جوابا لهذا الشرط، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (رون: ص حʻح ص).

٥ـ التنغيم في الآية: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

جاء التنغيم مستويا؛ لأن الآية جملة حالية واصفة لمكان الله سبحانه وقت خروج الروح، وليست جوابا للشرط الذي في الآية (٨٣) فلازال السامع ينتظر جوابا لهذا الشرط، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (رون: ص حʻح ص)، وقد توافق هذا التنغيم مع تنغيم الآية السابقة في موضع التنغيم [بالمقطع الأخير من الفاصلة] ونوع المقطع [المقطع: ص ح ح ص] المنبور بالنبر نفسه [ص حʻح ص] المتطابق تماما في حروفه [رون] مما يجعل التنغيم في هاتين الآيتين المتتاليتين متطابقا تمام التطابق.

٦ـ التنغيم في الآية: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾

جاء التنغيم مستويا؛ فقد جاءت هذه الآية بشرط جديد يضاف للشرط السابق دون جواب للشرط الأول؛ فيقول الحق سبحانه لهم: إن كنتم غير مدينين، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (نين: ص حʻح ص).

٧ـ التنغيم في الآية: ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

جاء التنغيم هابطا؛ فقد كانت هذه الآية جوابا لشرطين، حيث طلب الله سبحانه من منهم إرجاع هذه الروح التي بلغت الحلقوم، ولكنها لم تزل داخل الجسد، وهذا تحد لهم؛ ليثبتوا صدقهم المزعوم. فتنتهي الجملة الطلبية بشرط

ثالث، وهو إن كنتم صادقين فأرجعوها، وبذلك ينتهي معها معنى الآيات كلها، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (قين: ص ح ُح ص).

العناصر الحجاجية بالحوار:

اعتمد الحوار على عناصر إقناع جعلت المخاطب عاجزا عن أن يرد عليها:

١. إجراء مقابلة بين شيء مادي ملموس وشيء معنوي يعتمد على الإقناع فقط فلكي يقنعهم بعظمة القرآن وأنه من عند الله الذي أنزله، قدم لهم دليلا على أنه منه، هو قدرته على الإماتة، وعجزكم عن أن تفعلوا للميت شيئا، وهم حضور في هذه اللحظة، فخروج الروح شيء لا يُرى بالعين، ولكنهم جميعا لا ينكرونه؛ وكذلك نزول القرآن من عند الله لم نر نزوله بأعيننا، ولكننا صدقناه بقلوبنا.

٢. تحديد موضع الروح (الحلقوم) بينَّ عجزهم ببلوغ الروح موضع اللارجعة، فهو حجة أثبتت كذبهم، فلم يطلب الحق منهم خلق الروح؛ ولكن إرجاعها فقط.

٣. ودليل أكبر على عجزهم هو حضورهم في موقع الحدث، ومشاركتها فيه بالنظر إلى الميت، فلم يسمعوا عن حادثة الموت، بل هم شركاء فيها بأعينهم.

٤. تحديد مسافة القرب من الميت لحظة خروج الروح، حجة عليهم مادية تبين ضعف قدرتهم على أن يفعلوا له شيئا، فعلى الرغم من قربهم المزعوم منه إلا أن هناك من هو أقرب إليه منكم، وله فاعلية وتأثير في حدث؛ وهو الله سبحانه.

٥. كلمة (لا تبصرون) حجة مادية يرد بها على من يقول: إننا لا نرى الله هنا، فبين العلة في عدم ظهوره لهم، بأنه بسبب عدم إبصارهم، فالعيب فيكم أنتم.

٦. ثم تأتى الحجة الدامغة الدالة على عجزهم وكذبهم، وهى طلبه منهم إرجاع الروح للميت، على الرغم من أنها لم تخرج من الجسد فهي لازالت في الحلقوم.

هذا الحوار بتلك الصورة المنطقية المقنعة والعناصر الصوتية المبينة لكثير من المعاني بينَّ قدرة الحوار الخطابي على توصيل كثير من المعاني، والإقناع بها، بلغة سليمة عالية، فالحوار وسيلة تواصلية إنسانية فعَّالة أساسية بين البشر.

الحوار الأخير

﴿ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ ﴾ ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦ ﴾

هذا الحوار هو حديث موجه من الله سبحانه إلى نبيه الكريم، يبلغه سلام أصحاب اليمين عليه، ويطلب منه أن يسبح باسم الله العظيم.

المراجع والمصادر

أولا المراجع العربية

أسس علم اللغة، ماريوباي ترجمة د. أحمد مختار عمر. عالم الكتب القاهرة ١٩٩٨.

أصوات اللغة. د. عبد الرحمن أيوب. مطبعة الكيلاني. ط٣، القاهرة ١٩٦٨.

أصوات اللغة العربية د.عبد الغفار جامد هلال، مطبعة الجبلاوي بولاق.١٩٨٨

الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية ط٣. ١٩٩٩.

إملاء ما من به الرحمن، العكبري. دار الحديث القاهرة بدون تاريخ.

الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوى الحديث، د.عطية سليمان أحمد ، دار الكتب العلمية، ش. الشيخ ريحان القاهرة ٢٠٠٥م.

الإيقاع التكراري في شعر الملك عبد الله الأول بن الحسن، د. علاء الدين أحمد الغرايبة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها.

البيان في روائع القرآن. د. تمام حسان. عالم الكتب القاهرة ١٩٩٣

البيان في غريب القرآن لابن الأنبا ري. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠

بنية الألسن: كلود هاجيج، تر/ أحمد حاجي صفر. المنظمة العربية للترجمة. الكويت، ط١، يناير ٢٠١٦م

التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ١٩٩٧

التطور اللغوي علله وقوانينه. رمضان عبد التواب الخانجي القاهرة ١٩٩٥.

تفسير الرازي، المكتبة التوفيقية. القاهرة ٢٠٠٣.

تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مكتبة التراث الإسلامي. سوريا حلب ١٩٨٠.

تفسير القرطبي. القرطبي.دار الريان القاهرة.ب ت.

الحوار في القرآن ظاهرة حجاجية وبيانية، هادية السالم، كلية العلوم الإنسانية، صفاقس.

الخصائص ابن جني. تحقيق محمد علي النجار. الهيئة المصرية الكتاب القاهرة ١٩٨٠.

دراسة السمع والكلام د. سعد مصلوح. عالم الكتب القاهرة ١٩٩٥.

الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث د. حسام البهنساوي دار زهراء الشرق ٢٠٠٥.

دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر. عالم الكتب القاهرة ١٩٨١.

دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب ٢٠٠١م.

دروس في علم الأصوات العربية،لجان كانتينو،تر/صالح القرماوي. تونس ١٩٦٦ص١٩١.

روح المعاني في القرآن العظيم والسبع المساني. الألوسي البغدادي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ب ت.

سرصناعة الإعراب ، ابن جني، تحقيق مصطفى السقا وآخرين القاهرة ١٠٥٤.

الصاهل والشاحج لأبى العلاء المعرى، تحقيق بنت الشاطئ القاهرة ١٩٧٥.

الصوتيات: جاكلين فيسيار، ترجمة بسام بركة و روز الكلش.المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى بيروت نوفمبر ٢٠١٣.

علم الأصوات برتيل مالمبرج ترجمة د. عبد الصبور شاهين. مكتبة الشباب القاهرة ١٩٨٦.

فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب الخانجي، القاهرة ١٩٩٩.

فقه اللغات السامية. بروكلمان. ترجمة د.رمضان عبد التواب طبعة جامعة الرياض ١٩٧٧.

القاموس المحيط، الفيروزأبادى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨.

اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان. الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢. ١٩٨٥.

اللغة العربية بين المعيارية والوصفية د. تمام حسان. القاهرة ١٩٥٨.

مبادئ في علم الأصوات العام. لابركرمبي. ترجمة د. محمد فتح اللّه. القاهرة ١٩٨٨.

مبادئ اللسانيات العامة. لأندرية مارتنيه. ترجمة أحمد الحمو. دمشق ١٩٨٥.

المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د. رمضان عبد التواب الخانجي، ط٣ ١٩٩٧.

المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة ،إشراف أوزوالد دوكرو ـ جان ـ ماري شافار ، ترجمة عبد القادر المهيرى ـ حمادى صمود ، المركز الوطني للترجمة تونس، ٢٠١٠.

من وظائف الصوت اللغوي، د. أحمد كشك، مطبعة المدينة دار السلام ١٩٨٦.

موسيقي الشعر العربي، د.شكري عياد ، دار المعرفة القاهرة ١٩٧٨.

نظرية القوة الإيقاعية في الخطاب اللغوي، د.حازم كمال، مكتبة الآداب٢٠١٢

ثانيا: المراجع الأجنبية

A.martient Elementes of general Linguisties، 1964,

D, JONES The phoneme, Its Nature and use, 1962

H,Stetson Buse of phonogy